297.09
B31hA
V.1
C.1

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

حياة سيد العرب

وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية

تأليف

حسين عبد الله باسلامه

عضو مجلس الشورى

الجزء الاول

﴿ قيمته ريالان عربيان ﴾

48661

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

المطبعة الماجدية بمكة

Gift. F. Bey Thomson. Cat. Mar. 1936

الحمد لله الذى خلق الخلق فاختار منهم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختار من بنى هاشم سيد العرب محمداً ﷺ رسولا ونبيا الى الناس كافة بشيرا ونذيرا لقوم يفقهون. صلى الله عليه وآله وصحبه الذين اهتدوا بهديه واستضاؤا بنوره وسموا بارشاده وسلم تسليما كثيرا ما تداول الجديدان وتعاقب النيران.

أما بعد: فقد رأيت كثيرا من علماء العصر قد دونوا سير بعض مشاهير الاسلام على أسلوب رائق سهل التناول يتسنى لناشئة العصران يقتطفوا من ثمارها ويجنوا من حكمها ما يفيدهم فى معترك الحياة ومار من تصدى لتدوين حياة سيد العرب ﷺ التى عليها مدار الرابطة الاسلامية والتى هى نبراس التقدم ودستور النهوض وغذاء أرواح الامم الراقية على ذلك الاسلوب العصرى غير بعض مختصرات أشبه بفهرسة للحوادث والغزوات خلية من ضالة القارى المنشودة حيث ان الغرض من دراسة كتب التاريخ والسير

والتراجم ومافى معنى ذلك هو الوقوف على ماوقع فى غابر الاجيال من تقدم ورقي ونهوض من مبـارات الأبطال ومسابقة الأمم الذين خطوا خطوات واسعة فى سبيل التقدم والرقي وكيف سادوا العالم وتقدمت بمساعيهم أمتهم على سائر الامم حتى علا منارهم وسما ذكرهم وتشيد مجدهم وتضخم بنيانهم وصاروا المثل الأعلا فى الرقي والتقدم . وكذلك الوقوف على أطوار طغاة العالم و بغاتهم وغطرسة المتغطرسين فيهم وهوس المتهوسين منهم وكيف حفروا عن حتفهم بظلفهم حتى اندك صرحهم وتلاشي مجدهم وتدهورت عروشهم فشقيت بهم أمتهم واحترقت قلوبهم بشررهم وصار واعظة لكل متعظ

فبدراسة ذلك يتنور القاريء فيكون خبيرا بما كان بصيرا بما سيكون ثم تصفح سيرة سيد العرب ﷺ وتأملها تأمل المسترشد عرف كيف تكون الدعوة الى الاصلاح وكيف ترتبط الامـة برابطة الاخاء الصحيح وكيف تكون الثقة بالنفس والاعتماد على الله ثم الاعتماد على الامـة وكيف ينبغى أن يكون الفرد فى الامة طاهر الذيل شريف النفس عالى الهمة متمتعا بحرية الضمير لاتأخذه فى الحق لومة لائم ، لا يتخلى عن نصرة الضعيف ولا يتأخر عن الواجب متخلقا بمكارم الاخلاق التي منهـا الشفقة والرحمة والنصح لكل مستنصح والارشاد لكل مسترشد والذب عن دينه وأمته وقومـه وعشيرته حيث أن سيرة سيد العرب ﷺ تحتوى على حيـاته التى هى أساس النهضة الاسلامية فيرى القاريء كيف نشأ ﷺ وكيف كابد من

المشقة فى التفاهم مع امته وقومه وعشيرته وكيف توصل الى نشر دعوته وكيف ثابر على الدعوة حتى وصل الى التفاهم مع قومه، وتمكن من نشل أمته من حضيض جهلها الى سماء رقيها التى وصلت اليه، وكيف قادها بحكمته وسلك بها سبيل الرشاد حتى أصبحت بفضله الامة العربية كتلة واحدة اذا اشتكي منها عضو تداعت له الامة بأجمعها وصارت بتعاليمه وأرشاده أعظم الامم قيادة، وعلما ورابطة، ومدنية، وعمرانا، ومجدا وسؤددا، وفخرا، سداها الاسلام ولحمتها الايمان.

فلذلك اعتمدت على الله تعالى وقمت بتدوين حياة سيد العرب ﷺ وخصصتها من كتب التفسير، والحديث، والسير، والتاريخ، والانساب والتراجم، ولم آل جهدا عن تصفح ماوقع فى يدى من الكتب المتعلقة بهذا الموضوع فمارأيت روايتين متعارضتين الا أخذت أصحهما ولا عبارتين مترادفتين الا أثبت أرجحهما. وقد أسندت بعض الحوادث الى مخرجيها ورواتها التى اقتضت الضرورة اسنادها كي يروق بال القارىء ويعلم شدة حرصى على التثبت فى صحة النقل كما انى قد بذلت قصارى جهدى فى تحرير نسب العرب حيث أن الروايات فى الانساب كثيرة جدا ومن أصعب الصعاب الوصول الى نسب للعرب متفق عليه غير نسب النبى ﷺ وانما أعتمدت على أصح ماظهر لى فى ذلك وما وافق الحديث النبوى الشريف المذكور فى محله. وكذلك اجتهدت كثيرا فى الوصول الى معرفة أسماء أول من أسلم من الصحابة قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقبل دخول دار الارقم

حتى أحصيتهم فردا فردا فبلغوا اثنين وتسعين صحابيا لان اكثر أصحاب السير والتاريخ والتراجم يذكرون ان عمر رضى الله عنه لما أسلم كان تمام الاربعين فظهر بالاحصاء غيرذلك . وكذلك تتبعت من تسمى فى عصر النبى ﷺ محمدا لاجل النبوة وأحصيتهم ستة عشر حيث ان بعض المتأخرين ذكر في تاريخه ان هذا الاسم لم يكن شائعا ومعروفا عند العرب قبل الاسلام ولذلك لم يتسم به احد غير النبي ﷺ .وأيضا أحصيت أسماء من هاجر الهجرتين الى الحبشة. وأسماء الانصار الذين بايعوا النبى ﷺ فى العقبة الاولى . والثانية والثالثة . وأسماء من حضر وقعة بدر الكبرى ومن استشهد بها وكذلك من استشهد بأحد وغيرها . ولاحظت على كل اعتراض جاء من بعض المستشرقين ، والمبشرين والالحاديين والماديين ، والمشككين فى صحة كتب الاسلام وتاريخ العرب والطعن فى سيرة سيد العرب ونبى الاسلام والاعتراض علي التنبؤ ونزول الوحى وسلام الجمادات على النبى ﷺ والمعراج والحكم على بنى قريظة وغير ذلك مماوقفت عليه فى بعض الجرائد والمجلات السيارة وكذلك حررت الغزوات ورتبتها وبينت كلما جرى فيهاولاحظت عليها بما يقتضى بيانه وغير ذلك مما لا يستغنى عنه القاري، وصغته بحمدالله تعالى وسطا بين التطويل الممل والاختصار المخل وسميته (حياة سيد العرب - وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية)، فاسأله تعالى أن ينجح مقاصد المؤمنين ويعلى منار الموحدين ويلم شعث المسلمين ويجمع كلمتهم ويصلح فساد قلوبهم ويهديهم الى صراطه المستقيم انه بالاجابة جدير ولما يشاء قدير .

مقدمة

فى أصل العرب ومساكنهم

كتب كثير من علماء الانساب والتاريخ فى أصل العرب وقد كثرت الاقوال وتضاربت الآراء خصوصا بين القديم والحديث فالاعتماد عند المتقدمين على الكتب المدونة وعند بعض العصريين على الآثار القديمة التى نقب عنها من جوف الارض وحيث ان أمر التنقيب عقيم فى جزيرة العرب وبالاخص لم يجر حتى اليوم فى الربع الخالى مع صحراء الاحقاف فأصبح الاعتماد فيما يتعلق بشئون العرب حتما على الكتب المدونة لانه لم يكن امامنا ما ينفي صحتها . غير ان كتب التاريخ والانساب المتعلقة بأصل العرب وتقسيمهم تحتوي على أقوال كثيرة فقد لخصت منها ما يأتي بعد جهد كبير وفحص دقيق .

يرجع أصل العرب الى سام بن نوح عليه السلام كان مسكنهم قبل ان يسكنوا الجزيرة جهات العراق ثم نزح فريق منهم الى الجزيرة التى يكون موقعها بالنسبة للعراق غرب جنوبى فسمى بنو سام النازحين منهم اليها

(عربا) اى الغربيين لان حرف الغين المعجمة كان مفقودا من اللغة السامية فكانوا ينطقون بالعين المهملة عوضا عن الغين المعجمة و يضعونها موضعها ومن ذلك الحين أطلق علي من نزح من بنى سام الى الجزيرة العربية اسم العرب ثم سميت الجزيرة باسمهم .

والذى نزح الى الجزيرة هم (عاد) ومسكنهم الاحقاف المسماة الآن بصحراء الاحقاف الواقعة فى القسم الجنوبى من الجزيرة . و (ثمود) ومسكنهم الحجر ووادى القرى بين الحجاز والشام المسمى الآن بمدائن صالح الواقع فى القسم الشمالى من الجزيرة .و (طسم) و (جديس) ومسكنهما اليمامة الواقعة فى قلب الجزيرة والبحرين المسماة الآن بالاحساء الواقعة فى القسم الشرقى من الجزيرة على الخليج العربي المسمى الآن بالخليج الفارسي . و (عمليق) ومسكنهم عمان الواقع فى القسم الشرقى بجنوب من الجزيرة

قال الجرجانى ان بنى عمليق ملكوا مصر ومنهم فرعون ابراهيم وفرعون يوسف وفرعون موسى . و (أميم) ومسكنهم رمل عالج بين اليمامة والشحر وهو المسمى الآن بالربع الخالى . و(عبيل) ومسكنهم الجحفة بقرب المدينة و (عبد ضخم) ومسكنهم الطائف . و (حضورا) ومسكنهم الرس . وأما الكلدانيون قال ابن خلدون فى تاريخه أنهم من الطبقة التى قبل نوح عليه السلام فهم من بني آدم ولم يكونوا من بنى سام بن نوح .

ويحد الجزيرة العربية شرقا بحر الهند والخليج العربي المسمى بالخليج الفارسي — لان العرب استعمرته و بنت فيه ملاحتها قبل الفرس — و بعض العراق الى الكوفة . وغربا البحر الاحمر الى ايلة وهي العقبة ثم الى البلقاء المسماة (الاردن) و بعض باديه الشام وفلسطين . وشمالا من الكوفة والفرات بالعراق الى عانة و بالس من الجزيرة الفراتية الى سلمية والى مشاريق غوطة دمشق الى مشاريق حوران الى البلقاء من برية الشام و بعض فلسطين . وجنوبا بحر الهند .

وتنقسم الجزيرة الى خمسة أقسام كبيرة . الاول القسم الشرقي وهو يشتمل على عمان ، وقطر ، والاحساء ، والكويت ، وما حاذى ذلك من مدن وقرى من الجهة الشمالية الى الكوفة . الثاني القسم الغربي وهو يشتمل على اليمن ، وتهامة وعسير ، والحجاز الى ايلة وما حاذاها من جهة الشمال الى البلقاء . الثالث القسم الشمالي وهو يشتمل على كل ما وقع بين الكوفة وحوران والبلقاء الى ايلة من قرى و بادية . الرابع القسم الجنوبي وهو يشتمل على حضرموت ، الخامس قلب الجزيرة وهو يشتمل على عموم نجد بما فيه اليمامة ، والقصيم ، وشمر ، وجبلي سلمى ، وأجا ، وما جاور ذلك مع الربع الخالي بصحراء الاحقاف ونجران .

عاد

كان منزل (عاد) بالاحقاف بين اليمن ، وحضرموت ؛ وعمان ، واليه تنسب الامة العربية من قحطان وعدنان . وعاد هو اول ملك تملك من العرب وقد طال عمره وكثر نسله. قال ابن خلدون في تاريخه انه ولد له اربعة آلاف ولد ذكر لصلبه وتزوج الف إمرأة وعاش الف سنة . ثم ملك بعده بنوه شداد ، وشديد ، وإرم ، وشداد هو الذى سار بقومه في الاقطار فاتحاً واستولى على كثير من الاقاليم كالشام ، والعراق ، والهند ، ومصر ؛ فاتسع ملك بني عاد وعلا كعبهم فطغوا وبغوا وأكثروا في الارض الفساد فبعث الله تعالى منهم (هود) عليه السلام نبياً وهو هود بن عبدالله بن رباح الخلودى بن عاد فارسله الله تعالى اليهم ليصلح ما اعوج منهم فدعاهم الى الله تعالى وأمرهم بالمعروف ونهاهم عن المنكر وذلك شأن الانبياء فى أممهم فلم يؤمنوا به فأهلكهم الله تعالى بالريح فخلفهم فى ارضهم وديارهم نبى الله هود عليه السلام ومن آمن معه من قومه ثم ولد لهود عليه السلام ولدان وهما قحطان ؛ وقالغ ؛ فولد لقحطان أربعة أولاد وهم حضرموت ، ويعرب ، وجرهم والسلف ، فمن حضرموت (الحضارم) وهم سكان جنوب الجزيرة الى اليوم وسميت القطعة التى سكنوها باسم جدهم حضرموت ، ومنهم ملوك

(كندة) قال ابن خلدون في تاريخه أول من ملك منهم عمرو الاشنب ابن ربيعة بن يرام بن حضرموت ، ومن ملوكهم ذوعيل بن ذوقيعان قد غزا الصين وقتل ملكها وأخذ سيفه ، كذلك سنان ذو الم غزا الصين ، والروم ثم من ملوكهم حماد بن بدعيل قد غزا فارس فى عهد سابور ذى الاكتاف وهو أول من اتخذ الحجاب من ملوكهم ، ومن ملوكهم يشرح ذو الملك بن ودب فكان أول من رتب الرواتب ، وأقام الحرس ، والروابط . وتوارث ملكهم الى البعثة النبوية وكان ملكهم فى ذلك العصر (وائل بن حجر) رضي الله عنه وقد وفد على النبي ﷺ بنفسه فأكرمه وأحسن منزله وايده فى ملكه وارسل معه معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه وله معه قصة تأتي فى الوفود . ومن يعرب اليمانيون وهم سكان القسم الغربي الجنوبى من الجزيرة الى اليوم وهو القسم الواقع بين حضرموت وعسير ومنهم ملوك سبا والتبابعة وقد توارث ملكهم الى زمن البعثة ولاحد ملوكهم (سيف بن يزن الحميرى) قصة مع عبد المطلب جد النبي ﷺ تتعلق بمبعث النبي ﷺ سنأتي فى هذا الجزء . واما جرهم فكان مسكنهم الحجاز ثم اضمحلوا او اندمجوا في العدنانيين من قبل البعثة النبوية . واما (السلف) فقد اندمجوا فى اليمانيين . قال ابن خلدون و أهل التورات لايعرفون شيئاً من أخبار عاد ، و ثمود ، لانهم لم يقع لهم ذكر فى التوراة ، ولا لهود ، ولا لصالح عليهما السلام

بل ولا لاحد من العرب العاربة لان سياق الاخبار فى التوراة عن أولئك الامم انما هو لمن كان فى عمود النسب ما بين موسى وآدم صلوات الله عليهم وليس لاحد من آباء هؤلاء الاجيال ذكر فى عمود ذلك النسب فلم يذكروا فيها .

وعليه فليهدا بال الملاحدة فى قولهم ان النبي ﷺ أخذ أخبار الامم السالفة من التوراة فظهر أن هؤلاء العرب العرباء لم يكن لهم ذكر فى التوراة وقد جاء فى القرآن المجيد جمل من اخبارهم لم يكن لها نظير فى التوراة فلم يبق لمفترياتهم محل .

واما بنو (فالغ) بن هود عليه السلام فنزحوا من جنوب الجزيرة الى شمالها واقاموا بين بابل والجزيرة الفراتية وسوريه وفلسطين وتناسلوا فيها واقتبسوا شيئا من لغة تلك البلاد الاشورية والسريانية واختلطت مع لغتهم العربية فتولدت منها لغة سميت (بالعبرانية) نسبة الى جدهم هود عليه السلام المسمى عندهم (عابر) فصار يطلق على تلك اللغة (العبرانية) . ومن بنى فالغ بن هود عليه السلام نبي الله (ابراهيم) ﷺ وهو ابراهيم بن تارح المسمى آزر بن ناحور بن شاروخ بن ارغو بن فالغ بن عابر وهو نبي الله هود عليه السلام . ثم ان ابراهيم ﷺ رحل بهاجر أم ولده اسماعيل مع ابنها اسماعيل عليه السلام من فلسطين الى مكة المكرمة وتركهما بها وعاد الى فلسطين فنشأ اسماعيل عليه السلام بمكة

وصاهر بني جرهم وتكلم اللغة العربية من أصل نشأته .

ومن ولد اسماعيل عليه السلام (عدنان) ومن عدنان (معد) ومن ولد معد (نزار) ومن ولد نزار (انمار) وقد اضمحل بنو انمار أو اندمجوا في بجيلة ، وخثعم ، ومن ولد نزار ايضا (أياد) وقد اندمج بعض ولده في مضر و من ولد أياد (قس بن ساعدة الايادى) الذى يضرب به المثل فى البلاغة وهو اول من أظهر التوحيد بمكة مع ورقة بن نوفل ، وزيد ابن عمرو بن نوفل . ومن ولد نزار أيضا (ربيعة) ومسكن بنيه بين اليمامة والبحرين ، والعراق ، ومن بني نزار أيضا (مضر) ومن مضر قريش .

فبنو عدنان هم سكان نجد الاقريشا فهم سكان مكة وضواحيها ولا يشارك بنى عدنان من العرب في أرض نجد من القحطانيين الا (طى) من كهلان فيما بين جبلي (سلمى) و (أجا) ثم تفرق بنو عدنان فى تهامة والحجاز ، والعراق ، والجزيرة . وسورية وبعد الاسلام تفرقوا فى عموم الاقطار .

فحاصل ما تقدم ان العدنانيين والقحطانيين يرجعون في النسب الى أصل واحد ، وأب واحد ، ومسكن واحد ، ولغة واحدة ، وجد واحد ، وهو هود عليه السلام وهود هو من بنى عاد كما تقدم . واما من قال ان العدنانيين هم العرب المستعربة فذلك لان ابراهيم عليه السلام كان من سكان فلسطين وكانت لغته المستعارة العبرانية كما تقدم ثم لما نشأ ولده اسماعيل عليه السلام

بمكة وتكلم العربية التى اقتبسها من جرهم اعتبره المؤرخون انه أعجمى واستعرب وسموا بنيه العرب المستعربة والصحيح انه من أصل عربي وجده الخامس هود عليه السلام فاذا كان سلفه نزحوا من جنوب الجزيرة الى شمالها وتغيرت بسبب ذلك لغتهم العربية باللغة العبرانية فهل يخرجهم ذلك من أصلهم العربى بناء على تغير اللغة فما أظن أن هذه القاعدة صحيحة عند علماء النسب حيث ان تغير اللغة لا يغير الاصل . وأما قول المؤرخين ان العرب تنقسم الى ثلاثة اقسام بائدة ، وعاربة ومستعربة فهذا اصطلاح جرى عليه المؤرخون ولا يكون حجة يستند عليها فى اصل العرب والصحيح ان بنى عاد لم ينقطع نسلهم وذلك انه لما هلك بنو عاد وهم قوم هود عليه السلام بقى هود ومن آمن معه من بنى عاد وذلك بنص القرآن المجيد ثم تناسلوا ويؤيد ذلك ماروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ليس فى العرب قبيلة الا وقد ولدت رسول الله ﷺ مضرها ، وربيعتها ، ويمانيها . رواه عبد بن حميد وابن ابى اسامة ، وابن المنذر . ولم يفرق ابن عباس بين مضر وربيعة واليمانيين بل سماهم العرب فلم يقل فى ربيعة ومضر العرب المستعربة . وكذلك ما روى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ « خلق الله الخلق فاختار من الخلق بنى آدم واختار من بنى آدم العرب واختار من العرب مضر واختار من مضر قريشا واختار من قريش بنى هاشم واختارنى من بني هاشم

خانا خيار من خيار الى خيار فمن أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضى ابغضهم » رواه الطبرانى ، والحاكم والبيهقى وابو نعيم . فهذا قول سيد العرب ﷺ الذى قوله المرجع فى كل شىء يقول « واختار من العرب مضر » ومن المعلوم ان مضر من ولد عدنان وعدنان من ولد اسماعيل عليه السلام وعليه فيكون اسماعيل من اصل عربى يرجع الى هود بن عاد المتفرع منه الفرعان العدنانى والقحطانى ، فمضر بقول سيد العرب من اخيار العرب ولا يكون الخيار الا من الاصل المختار منه والاصل المختار منه مضر ، هم العرب العرباء الحقيقيون فلو كان اسماعيل من اصل اعجمى واستعرب لما انطبق عليه هذا الاختيار ومن كان اصله عربياً وتغيرت لغته بأسباب التغرب فلا يجزم باستعجامه واذا تعلم بنود لغتهم الاصلية العربية وتكلموا بها بعد استعجام لسانهم فلا يقال لهم المستعربة حيث ان هذه القاعدة هى المعروفة والمتبعة عند علماء الانساب ولو ان كل من تغيرت لغته بلغة أخرى وجب انتسابه الى الامة التى اقتبس لغتها لضاعت الانساب واصبح كل شخص ابن نفسه او ابن لغته التى يتكلم بها وهذا ليس بصحيح ولا حدث به التاريخ ولا قال به احد من علماء النسب بل حدثنا التاريخ عن الامم التى دخلت فى الاسلام وتكلمت بلغته وصار بعضهم من علماء الاسلام لا يزال نسبهم الاصلى محفوظا لهم . ومن أولئك الاعلام محمد بن اسماعيل البخاري ، والنيسابوري ، والاصفهانى ، والماردينى ، والخراسانى ، والفيروزبادى وغيرهم . وحتى الآن موجود من أبناء العرب فى عموم اقطار الدنيا

مثل الهند وجاوا وتركيا وغيرها قد تغيرت لغتهم العربية بلغة تلك البلاد الاعجمية ولم تزل انسابهم محفوظة ولا يزالون عربا وهم لا يعرفون كلمة واحدة من اللغة العربية . فمن ذلك تبين ان العدنانيين والقحطانيين من ابناء هود بن عاد . وقد وجدت في (سبائك الذهب فى انساب العرب) للشيخ محمد امين البغدادى السويدى انه جمع الفرعين العدنانى والقحطانى الى هود بن عاد ووجدت في كتب الانساب ما يؤيد ذلك عند ما يرفعون نسب اسماعيل الى سام بن نوح نجد فى وسط النسب اسم (عابر) وهو هود عليه السلام .

قريش

قريش هم بنو فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وسكان الحرم من قريش سبعة بطون ويقال لهم قريش البواطن وهم قصى ، وأسد ، وتيم ، ومخزوم ، وعدى ، و جمح ، وسهم وسكان الظواهر منهم خمسة بطون ويقال لهم أيضا قريش الظواهر وهم بنو الحارث بن فهر ، وبنو محارب بن فهر ، وبنو عامر بن لؤى ، وبنو زهرة بن كلاب ، وبنو تيم الاردم . فمن قصى عبد مناف ، وعبد الدار وعبد العزى ، وعدى ، ومن عبد مناف نوفل ، والمطلب ، وعبد شمس ، وهاشم ومن هاشم عبد المطلب . ومن عبد المطلب سيد العرب محمد ﷺ

حضارة العرب

حضارة العرب قديمة جدا ومشهورة عند الامم وهم معروفون بالعزة والمنعة ، والفخار ، وقد اثبت علماء التاريخ حتى فى العصر الحاضر ان العرب هم أول من صنع السفن و بنو ملاحتهم فى الخليج العربى — المسمى حديثا بالخليج الفارسى — وقد جابوا البحار وطرقوا سواحل الخليج العربى والمحيط الهندى مع سواحل الهند واخترقوا المحيط الاعظم الى أن بلغوا الصين وكذلك طرقوا ساحل أفريقة الشرقى الى أن بلغوا رأس الرجا الصالح منتهى أفريقية الجنوبية و بعض سواحل أفريقية الغربى قبل أن يؤسس الفنيقيون ملاحتهم فى البحر الابيض المتوسط وقال بعض الباحثين من العصريين أنهم أول من اكتشف أمريكه قبل (خرستاف كلمبوس) وان اكتشافهم وقع صدفة و هو انه لما تغلب عليهم الاسبانيول والبرتغال فى الاندلس وخرجوا من ذلك الاقليم يمم بعضهم جهة الغرب حتى بلغوا امريكه . وقال بعض الباحثين من العصريين أيضا ان أصل الفنيقيين من العرب وانهم نزحوا الى ساحل سوريه وهو الحد الشمالى لجزيرة العرب واسسوا ملاحتهم على البحر الابيض المتوسط وهذا معقول ولا يبعد عن الحقيقة لان سوريه و جزيرة العرب شىء واحد وهم لا يزلون عربا الى اليوم والى ما شاء الله .

ملوك العرب

كان ملك العرب فى ثمانية قبائل سبعة من قحطان وواحدة من عدنان أما السبعة الذين هم من قحطان فهم (١) حمير (٢) همدان (٣) كندة (٤) لخم (٥) دوس (٦) جفنة (٧) بنو الصوار وأما القبيلة التى من العدنانيين فهم بنو (قنص)

فكان ملوك بنى الصوار هم أهل البأس والشرف القديم، والعز التليد، و الملك الوطيد، والمجد الاثيل، فقد فتحوا البلدان واخضعوا الممالك وقهروا الاقران وتركوا الآثار العظيمة التى لايزال المنقبون يعثرون على بعضها في كثير من الاقاليم ولايزال التاريخ يحدثنا باخبارهم العظيمة التي سادوا بها على الامم الاخرى فى تلك العصور. ومن هؤلاء الملوك يعرب بن قحطان، وسبا بن يشجب، والحارث الرائشى، وابرهة ذى المنار، وعمرو ذى الاذعار، وافريقس بانى أفريقية، وسمر يرعش بانى سمرقند، وتبع الاكبر، وتبع الاوسط، واسمه أسعد ويكنى أبا بكر، وتبع الاصغر واسمه عمرو بن حسان بن أبى كرب.

وأما بنو قنص فهم الملوك العدنانيون وهم بنو قنص بن معد بن عدنان فقد ملكوا العراق والجزيرة الفراتية ولهم غارات على الروم، والفرس.

وسائر العرب بعد الملوك طبقتان كسائر الامم اهل مدر ، واهل وبر ، فاما أهل المدر فهم الحضر سكان المدن والقرى فكانوا أصحاب زرع من نخيل ، وكرم ، واهل الوبر هم قطان الصحارى وعمار الفلوات معيشتهم من البان الابل ولحومها وفى زمان النجعة ووقت التبدى يرعون ماشيتهم جهات ايماض البرق ومنشأ السحاب وجلجلة الرعد فيؤمون منتجعين لمنابت الكلا مرتادين لمواقع القطر . وهذه حالتهم قديما وحديثاً حتى اليوم ..

علومهم

كانت علوم العرب التي يفاخرون بها غيرهم قديما هي علم لسانهم ، وإحكام لغتهم : ونظم الاشعار التي هي سجل تاريخهم ومجدهم ، وتأليف الخطب ، وعلم الاخبار والتاريخ ، والنسب ، والفلك بما اشتمل عليه من سير الكواكب وارصاد النجوم وعلم القيافة ، ولهم معرفة بقص الاثر فى الرمال حتى يعلموا الجهة التى ذهب اليها صاحب الاثر وهو ضرب من القيافة ولست تجد أمة من الامم تحفظ نسبها منذ الخليقة الى اليوم غير العرب . ومن الاسف أنه يوجد فى هذا العصر من سموا أنفسهم (دكاترة الادب) أو سماهم من على شاكلتهم يزيفون هذا العلم ويعدونه من لزوم مالا يلزم والظاهر أنهم يجهلون أنسابهم أو انهم من طبقة مجهولة أو منحطة أو من قبيل (والناس أعداء لما جهلوا

وكانت العرب تجوب البلاد للتجارة حتى سماهم بعض المؤرخين العصريين فينيقيي الشرق مع ان التاريخ أثبت أنهم أقدم من الفينيقيين في الملاحة والتجارة فكانوا اذا دخلوا بلدا للتجارة يتعرفون أخبار الناس وأحوالهم وما هم عليه من علم ، واخلاق ، وصناعة ، وأدب ، فمنهم من دخل مصر فاقتبس من علم أهلها ، ومنهم من دخل بلاد فارس فاقتبس من الفرس حكمهم ، وأخبارهم ومنهم من دخل الشام واقتبس من علم الأشوريين، والفينيقيين ، والرومان وعلم أخبارهم و وقف على فلسفة اليونان وتاريخهم ؛ وعلم الاسرائيليين وتاريخهم ومنهم من دخل الهند والسند وأحاط بشيء من أخلاقهم ، وعاداتهم ؛ وذلك على حسب مدارك الرواد بقدر استعداد كل شخص منهم في عقليته ونفسيته وفرط ذكائه وقوة عنايته وطول تجاربه .

وكان من تلك العلوم التي اختص بها العرب في القديم وكانت لهم السابقية فيه على غيرهم من الامم علم الفلك وتقويم البلدان وطرق البحار و بذلك توصلوا الى أقصى الشين ومنتهى أفريقية وأسسوا لهم مراكز تجارية في معظم المرافىء التي رادوها وتمكنوا من استعمارها استعمارا تجاريا .

ديانة العرب

كانت ديانة العرب في غابر الاجيال مختلفة فمنهم من كان يعبد الشمس (كحمير) ومنهم من يعبد القمر (ككنانة) وكانت تميم تعبد (الدبران) ولخم وجذام تعبدان (المشترى) وقيس تعبد(الشعرى العبور) وأسد تعبد

(عطارد) ومنهم من كان يعبد الاصنام كثقيف، واياد ، كانتا تعبدان (اللات) في نخلة من جهة الطائف - وهي بعلو السيل الكبير - و بنو كلب تعبد (ود) بدومة الجندل وهي الجوف وهذيل تعبد (سواع) ومذحج و بعض قبائل اليمن تعبد (يغوث) وهمدان تعبد (يعوق) وذو الكلاع بأرض حمير تعبد (نسرا) والأوس، والخزرج تعبدان (مناة) وقريش و بنو كنانة تعبدان (العزى) وأعظم أصنامهم (هبل) وكان منصوبا على ظهر الكعبة و (أساف ونائلة) كانا منصوبين على الصفا والمروة ؛ وكان لحنيفة صنم يعبدونه من (حيس) والحيس هو تمر يخلط بسمن واقط فلحقتهم مجاعة في بعض السنين فأكلوه فقال بعض الشعراء في ذلك .

أكلت حنيفة ربها على التقحم والمجاعة
لم يحذروا من ربهم سوء العواقب والتبلعة

وجميع عبدة الاوثان من العرب كانت تعترف لله تعالى بالربوبية وانما كانت عبادتهم لها ضربا من التدين بدين الصابئة في تعظيم الكواكب والاصنام الممثلة بها في الهياكل لا على ما يعتقده بعض الجهال بديانات الامم وآراء الفرق من ان العرب كانت تعتقد في الاوثان أنها الاله الخالق للعالم بل ذلك لا يتصوره عاقل وقد قال تعالى حكاية عنهم (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وانما كانوا ينكرون البعث والنشور ، والمعاد ، والجزاء في اليوم الآخر ويرون أن العالم لا يخرب ولا يفنى .

ولما بعث الله سبحانه وتعالى نبينا محمدا ﷺ بالهدى ودين الحق واظهره على الدين كله توحد دين العرب بالاسلام وانسلخوا من الجهالة والهمجية وأصبحوا قادة الامم فى كل شىء ومرجعا فى العلوم والمعارف والحضارة والعمران بفضل تعاليم القرآن وارشاده

التشريع عند العرب

كان للعرب أحكام وشرائع يدينون بها منها (الحج) فكانوا يحجون البيت ويعتمرون ويحرمون ويطوفون ويسعون ويقفون الموقف ويرمون الجمرات . ومنها الغسل من الجنابة ، والمضمضة والاستنشاق ومسح الرأس ، والسواك ، والاستنجاء ، وتقليم الاظافر ، ونتف الابط ولا ينكحون الامهات ، ولا البنات ، فجاء الاسلام بابقاء ذلك على وجه مخصوص . وكانوا يعيبون المتزوج بامرأة ابيه ويقطعون يد السارق اليمنى وكانوا يجمعون بين الاختين فجاء الاسلام بمنع ذلك . وكانوا يعدون الظهار طلاقا وتعتد المرأة عن الوفاة بحول وكانوا اذا التبس عليهم أمر ردوه الى كهنتهم وهم الذين لهم أتباع من الجن يخدمونهم . وكانوا يعولون على عيافة الطير وزجره فى حركاتهم ومقاصدهم وهو ان يعتبره عند قصده بما يراه من الطير تارة باسمه وتارة بطيرانه يمينا أو شمالا وتارة بصوته ومقدار ما يصوت وتارة بمسقطه الذى يسقط فيه وجاءت الشريعة بابطال ذلك .

وظهر للعرب بعد دخولهم الاسلام ان الشريعة المحمدية هي أشرف ، واطهر ، واعدل واصلح لمبادىء عموم البشر من عرب وعجم وقد بنى عليها تشريع اعظم الامم المتمدنة في هذا العصر ومن ينكر ذلك فليرنا مبدأ تشريع الامم قبل الاسلام ان استطاع لذلك سبيلا حتى يجرى تطبيقها على تشريعهم اليوم وتظهر الحقيقة . ولم اقصد بأن الامم المتمدنة قد طبقت تشريعها على الشريعة المحمدية حرفا بحرف وانما القصد انهم لم يكونوا قبل الاسلام على شيء من احكام التشريع ولما اطلعوا على التشريع الاسلامي نظموا لانفسهم تشريعا خاصا بنوا قواعده على قواعد التشريع الاسلامي وليس منه في شيء . والذي يوجب الاسف انه يوجد في بعض من يدعي الاسلام من ينكر التشريع الاسلامي لانه لم يجده منظماً على نسق قوانين أوربا القضائية فلو رزق شيئاً من العقل لادرك معنى التشريع ولكن الالحاد جعله لا يعقل ولا يفهم وغاية ما وصل اليه من العلم انه قال ليس في الاسلام تشريع منظم كما هو موجود عند الامم الراقية ، وهو يجهل ان مبنى تشريع الامم الراقية على قوله كان على التشريع الاسلامي ولكن بشكل آخر غير الشكل الموجود عند المسلمين

أيام العرب وحروبها

ايام العرب هى حروبها المشهورة وكانت تسمى الحادثة العظيمة التى تقع فيها مجزرة كبرى بيوم كذا وهذه الايام كثيرة وقد لخصت منها مايأتى

(يوم البسوس) :وهو أعظم ايامها كان بين بكر بن وائل ، وتغلب بن وائل وكان للبسوس خالة جساس ناقة فرآها كليب بن وائل قد كسرت بيض حمام فى حماه كان قد اجاره فرمي ضرعها بسهم فوثب جساس على كليب فقتله فهاجت الحروب بسبب ذلك ودامت بين الفريقين أربعين سنة . (يوم داحس) كان لقيس على فزارة (يوم النسار) كان بين ضبة وبين تميم ايام الفجار وبين بكر ابن وائل وبنى تميم وكان فى الاربعة الايام الاول بين كنانة وبين نصر بن معاوية ولم يكن فيه كبير وبين قريش وهوازن (ويوم ذى قار) كان من أعظم ايام العرب وكان لبنى شيبان وكان كسرى ابرويز قد غزاهم بجيش فظفر فيه بنو اسنان وهو اليوم الذى انتصرت فيه العرب على العجم (يوم الزحرحان) كان بين بنى دارم وعامر بن صعصعة والثانى بين تميم وبين عامر (يوم الفلج) كان فيه وقعتان الاولى لبنى عامر على بنى حنيفة والاخرى لبنى حنيفة على بنى عامر وأهل اليمامة (يوم لهابة) كان بين بنى كعب وعبد شمس (يوم ملحفة) كان لبنى يربوع على قابوس بن المنذر ابن ماء السماء (يوم مروت) كان بين غنم وبنى قشير (يوم الشقيقة)

كان على بني شيبان « يوم أراب » كان الغلب على بنى يربوع (يوم ذى أراطة) كان بين بني حنيفة وجعدة « يوم عاقل » كان بين جشم وحنظلة (يوم درنى) كان لبنى طهية على تيم اللات (يوم العضاى) كان بين بكر ابن وائل وتميم وهو آخر ايامهم (يوم الغبيط) كان لبنى يربوع دون مجاشع (يوم السكفاة) كان بين فزارة وبنى عمرو وبنى تميم (يوم القرين) كان بين خثعم وكنانة (يوم بسيان) كان لبنى فزارة على تميم (يوم قواقد) كان لمجاشع على بكر بن وائل « يوم الحسي » كان لبكر على تغلب « يوم السربات » كان بين عبس وحنظلة « يوم الستار » كان بين الغوث وجديلة « يوم فيف الريح » كان بين خثعم وبنى عامر « يوم أوارة » كان بين بنى عمرو وبنى هند ، وبنى تميم « يوم البيداء » كان بين حمير وكلب « يوم غول » كان لضبة على كلاب « يوم السلان » كان لربيعة على مذحج (يوم ذرحرح » كان بين سعد وغسان « يوم التحالق كان بين بكر وتغلب حلق فيه احد الفريقين رؤوسهم ليكون علامة لهم (يوم الصليب) كان بين بكر ابن وائل وبين عمرو بن تميم (يوم ظهر) كان بين بنى عمرو بن تميم وبين ضبة (يوم الدثينة) كان لبنى مازن (يوم ذات الخرمل) كان لبني عمرو على بنى عبس (يوم القرعاء) كان بين بنى مالك ويربوع (يوم ملهم) كان بين تميم وحنيفة (يوم داب) كان لبنى يربوع على كلاب (يوم زرود) كان بين بنى تغلب وبين يربوع (يوم الرقم) كان بين بني فزارة وبني عامر

(يوم طوالة) كان بين بنى عامر وغطفان (يوم بعاث) كان بين الاوس والخزرج وله ذكر فى صحيح البخارى (يوم النباج) كان لبنى تميم على شيبان (يوم الدرك) كان بين الاوس والخزرج (يوم الوقد) كان لبنى على بن عامر بن صعصعة (يوم الهرير) كان بين بنى تميم (يوم الهباة) كان لعبس على فزارة «يوم نجران» كان لبنى تميم على بنى الحارث بن كعب «يوم الواردات» كان بين بكر وتغلب «يوم ذى الاثل» كان لتغلب على تغلب وعمرو بن هند «يوم الذنائب» كان لغسان على تغلب ونجران «يوم سفوان» كان لجعدة وقتير على النعمان بن المنذر وتغلب «يوم قباء» كان بين الاوس والخزرج «يوم الغصيبة» ويقال العصيبة كان لعمرو بن هند على تميم «يوم سنجار» كان لتغلب على قيس «يوم دارة باسل» كان لضبة على كلاب «يوم النصيح» كان لقيس على أهل اليمن «يوم الزوبرين» كان لشيبان على تميم «يوم مرفق» كان لقيس على سعد «يوم الزخيخ» كان لقيس على أهل اليمن.

هذه بعض ايام العرب التي اشتعلت فيها نيران الحرب بينهم ولكل يوم من هذه الايام تفصيل فى كتب التاريخ والادب وهي تمثل شجاعتهم وحميتهم وشدة بأسهم ومنعتهم وحماقتهم وطغيانهم وتوغلهم فى سفك الدماء فلما جاء الاسلام بنوره طفى هذه النار المشتعلة فى جزيرة العرب بحكمته الباهرة وهدايته الرشيدة وأزال التشاحن والبغضاء التى كانت كامنة فى قلوبهم لبعضهم البعض وجعلهم جسما واحدا اذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ولا زالت العرب بخير ما بقيت متمسكة بدينها وشريعتها.

اسواق العرب

كان العرب اسواق في الجاهلية يقيمونها في شهور السنة وينتقلون من بعضها الى بعض ويحضرها سائر قبائل العرب من بعد منهم ومن قرب فكانوا ينزلون « دومة الجندل » وهو المسمى اليوم بالجوف وهو واقع شمال الجزيرة قريب من الشام. اول يوم من ربيع الاول فيقيمون اسواقها بالبيع والشراء والاخذ والعطاء فيقوم بمشائهم رؤساء آل بدر في دومة الجندل واذا غلب على السوق بنو كلب يقوم بعض رؤساء كلب بمشائهم فتقوم أسواقهم الى آخر الشهر، ثم ينتقلون الى سوق (حجة) وهو المشهور في ربيع الآخر فتقوم أسواقهم بها وكان يقوم بطعامهم المنذر بن ساوى أحد بني عبد الله ابن دارم، ثم يرتحلون نحو عمان بالبحرين فتقوم سوقهم بها ثم يرتحلون فينزلون ارم وقرى الشحر فتقوم اسواقهم بها اياماً ثم يرتحلون فينزلون (عدن) من اليمن فيشترون منها (اللطائم) وهي الاقمشة وانواع الطيب، ثم يرتحلون فينزلون الرابية من حضرموت ومنهم من يجوزها الى صنعاء ثم تقوم اسواقهم بها ويجلبون منها الخرز، والادم والبرد، وكانت تجلب اليها من معافر، ثم يرتحلون الى عكاظ (١) في اول شهر شوال فتقوم اسواقهم بعكاظ

(١) عكاظ قال الاصمعي عكاظ نخل في واد بينه وبين الطائف ليلة وبينه وبين مكة ثلاث ليال وبه كانت تقام سوق العرب يوضع منه بقال له [الاثيداء] وقال ابن دريد وكانت تجتمع فيها قبائل العرب فيتفاخرون ويتناشدون) وفي المصباح المنير عكاظ على وزن غراب سوق من أعظم اسواق الجاهلية وراء قرن المنازل

و يتناشدون الاشعار و يتحاجون و من له أسير سعى فى فدائه ومن له حكومة أرتفع الى الذى يقوم بامر الحكومة وكان الذى يقوم بامر الحكومة فيها من بني تيم وكان أحدهم الاقرع بن حابس ، ثم ينتقلون منها فى نهاية شهر شوال فينزلون مر الظهران وهو (وادي فاطمة) فى اول ذى القعدة فتقوم أسواقهم فيه طيلة الشهر وهذا الوادي واقع شمال مكة و يبعد عنها من ٢٥ ميلا الى ٣٠ ميلا وهو واد خصب كان به فى الازمان السالفة نحو ثلاثمائة عين ماء فلعدم وجود الايدي العاملة دمرت ولم يبق منها الآن سوى اربعة وار بعين عين ماء يخيوفها وهى «١» الزيمة «٢» سوله «٣» المضيق

يمرحلة من عمل الطائف على طريق اليمن . وأصح الاخبار فى ذلك والذى ينطبق على الواقع هو قول أبي عبيد [هي صحراء مستوية لا جبل فيها ولا علم وهي بين نجد والطائف] وهذا الموضع الذي تحدد بقول الاصمعى أن بينه وبين الطائف ليلة وبينه بين مكة ثلاث ليال والذي تبين شكل موضعه بقول ابى عبيد هي صحراء مستوية لا جبل بها ولا علم وهي بين نجد والطائف يدل دلالة قطعية انها [ركبة] وتبتدئ ركبة من عشيرة غرباوتنتهى بحرة مران شرقاً ومن عشيرة الي الطائف ليلة بحساب سير الابل وبينها وبين مكة ثلاث ليال . وهذه ركبة هي الصحراء التى لا جبل بها ولا علم وهي بين نجد والطائف وهي التى تسع جموع قبائل العرب قاطبة . ومن عادة العرب انهم لا يختلطون في المناهل والمنازل كاختلاط الحجاج بعرفة بل كل قبيلة تنحاز عن الاخرى في مكان منفرد متباين عن القبائل الآخرين وذلك لما بين القبائل في الجاهلية مع بعضها البعض من الدماء والثارات وطالما وقعت بينهما الحروب بسوق عكاظ ولذلك لا يوجد مكان يهذه الصفة غير ركبة لانها هي المكان الفسيح الواسع الذى يمكن اجتماع عموم قبائل العرب فيه . واما من قال باحتمال ان يكون (السيل) الكبير فهو لا ينطبق عليه الوصف لانه اولا لم يكن فيه سعة تتحمل عشر تلك القبائل وثانيا المسافة التى بينه وبين مكة ليلتان . فهذا ما ظهر لي بعد البحث والتنقيب فى التاريخ والامكنة المذكورة

«٤» الجديدة «٥» الانبارك (٦) الريان (٧) الكرابه (٨) القريه (٩) الخفيج (١٠) الطرفاء (١١) القشاشية (١٢) الفائجة (١٣) الدبة (١٤) ام الغطاة (١٥) الخلص (١٦) أبوحصاني (١٧) الدخان (١٨) الطنذب (١٩) الخيف (٢٠) الروضة (٢١) البرقه (٢٢) الحمراء (٢٣) ابو عروه (٢٤) الحسينية (٢٥) الهنية (٢٦) الجموم (٢٧) الخضراء (٢٨) أبوشعيب (٢٩) المدرة (٣٠) الفيض (٣١) الهرامز (٣٢) النقية (٣٣) الشامي (٣٤) البقيريه (٣٥) الغريس (٣٦) البحرين (٣٧) البراء (٣٨) الجديدة «٣٩» المرشديه (٤٠) المقوع (٤١) الركاني (٤٢) صروعة (٤٣) المشرقات (٤٤) حداء . وهذه الخيوف تبتدى من علو الوادى شرقا من الزيمه و تنتهى غربا بحداء و كثيرا ما يوجد بهذا الوادى ادبلة العيون المدمرة وممكن تعميرها وانما تحتاج الى المال والايدي العاملة ويبلغ طول وادي مر الظهران من الشرق الى الغرب نحو خمسين ميلا .

ثم يرتحلون الى الحج والوقوف بعرفة فاذا قضوا مناسكهم نزلوا مكة للطواف بالبيت والسعى بين الصفا والمروة فكانت قريش تقوم بضيافتهم بمكه حتي يرتحلوا . وكان سوق عكاظ بمثابة المؤتمر العام والمعرض العام لعموم قبائل العرب قاطبة فكان يجتمع فيه فحول الشعراء والخطباء والملوك والامراء وكانت تجري بينهم مسابقة فى الشعر والخطابة والشجاعة وغير ذلك . وكانت لقريش اليد الطولى فى التجارة فكانت لهم رحلتان رحلة فى الشتاء ورحلة فى الصيف وكانت رحلة الشتاء الى اليمن

ورحلة الصيف الى الشام فاذا جاء الشتاء ذهبوا الى اليمن ببضائع الحجاز وما يتبقى من بضائع الشام فيبيعونها ثم يشترون من اليمن الاقمشة اليمانية وانواع الطيب و يأتوا بها الى مكة ثم يرتحلون في الصيف الى الشام ببعض أدم الحجاز و بضائع اليمن و بعد تصريفها يشترون من الشام ما يصلح لاسواقهم من البضائع و يأتوا بها الى مكة وكان فيهم من اصحاب رؤوس الاموال العظيمة مثل امية بن خلف وعبدالله بن جدعان وخديجة بنت خويلد والعباس بن عبدالمطلب وابو سفيان بن حرب وغيرهم وكان منهم من يستطيع ان يحمل من التجارة على الف بعير لشخصه برأس ماله فكانت تنفق هذه البضائع في اسواقهم عكاظ ومر الظهران وذي المجاز و بمكة ومنى وغيرها .

وكانت قريش لاتعرف الاسفار الى الشام قبل هاشم بن عبد مناف ابن قصي جد النبي ﷺ فكان هاشم هو الذي أخذلهم (الايلاف) من قبل قيصر ملك الروم بالشام ومن عموم القبائل القاطنة بين الشام ومكة وذلك انه لما سافر من مكة الى الشام وتعرف بقيصر ملك الروم وجد نفسه قادراً على التكلم معه فقال له : ايها الملك ان قوما وهم تجار العرب فان رأيت أن تكتب لي كتابا تؤمنهم وتؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستظرف من ادم الحجاز وثيابها فيمكنوا من بيعه عندكم فهو أرخص عليكم : فكتب له كتاباً فيه أمان لمن أتى منهم فأقبل هاشم بالكتاب فجعل كلما مر بحي

من العرب على طريق الشام أخذ من أشرافهم (إيلافا) والايلاف هو أن يأمنوا عندهم وفى طريقهم وأرضهم بغير حلف وانما هو أمان الطريق . فأخذ هاشم الايلاف فيمن بينه وبين الشام حتي قدم مكة فأعطاهم الكتاب فكان ذلك أعظم بركة على قريش في تجارتهم فخرج تجار قريش بتجارة عظيمة ومعهم هاشم يحوزهم فلم يبرح يجمع بين قومه وبين العرب ويؤيد إيلافهم حتى ورد الشام فباعت قريش تجارتها واشترت من الشام بضائع شتى وعادت الى مكة . ومنها صارت فى كل صيف ترحل الى الشام وأخذ لهم عبد شمس « حبلا » من النجاشى الاكبر فارتحلوا بسبب ذلك الى ارض الحبشة . والحبل هو العهد والامان . وأخذ لهم نوفل حبلا من الاكاسرة ملوك فارس فارتحلوا للتجارة الى العراق وأرض فارس . وأخذ لهم المطلب حبلا من ملوك اليمن « حمير » فارتحلوا بسبب ذلك رحلة الشتاء الى اليمن .

وكان من تجار قريش فى العصر النبوى من يملك الملايين روى الحافظ الذهبي فى تاريخه ان ثروة الزبير بن العوام رضي الله عنه قدرت بعد وفاته بأربعين الف الف درهم أى أربعون مليون درهم وكان كل عشرة دراهم تقدر بدينار وقدرت ثروة طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه بثلاثين الف الف درهم أى ثلاثون مليون درهم . وكذلك قدرت ثروة عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بعد وفاته فكانت أعظم من ثروتى الزبير ، وطلحة ، وايضا صفوان

ابن أمية رضى الله عنه تقدر ثروته مثلهم أو يفوق عنهم ولم يكن أحد هؤلاء اكتسب درهما واحدا من غير طريق التجارة لانهم يحدثنا التاريخ أن أحد من هؤلاء تقلد أمارة أو قاد جيشا فى الفتوحات الاسلامية أو صار خليفة للمؤمنين بل حدثنا التاريخ بضد ذلك ان قواد الجيوش وامراء المؤمنين فى الصدر الاول من الخلافة ماتوا فقراء لم يورثوا درهما ولادينارا بل لما حضرت ابو بكر الصديق رضى الله عنه الوفاة جاءته أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقالت له ياأبتاه انك كنت ذا مال وتجارة فدلنا على مالك فاجابها انى كنت ذا مال وتجارة وقد انفقت مالى على رسول الله ﷺ وفى سبيل الله فاذا أنامت فاطوى فراشى هذا وأودعيه بيت مال المسلمين وكذلك عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلى رضى الله عنهم مثل سلفهم وكذلك سعد بن ابي وقاص وخالد بن الوليد وابوعبيدة رضى الله عنهم فانهم أعظم القواد الذين فتحوا فارس والروم فى عصر الخليفتين لم يحدثنا التاريخ عن عظم ثروتهم بل ماتوا فقراء . ولوان طلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف تأمروا على قيادة الجيش أوصاروا من امراء المؤمنين لاصبحوا فقراء مثل اخوانهم حيث لم تأت ثروتهم الاعن طريق التجارة فلو اشتغلوا بالأمارة لكانوا مثلهم .

فهكذا كانت قريش اغنى العرب بواسطة التجار

أخلاق العرب

كانت العرب فى الجاهلية على أخلاق عظيمة لا تجدها فى غيرهم من الامم المعاصرة لهم . فمن خصالهم الشجاعة ، والعفة ، والشهامة ، والنجدة والحمية ، وعلو الهمة ، وحفظ العهد ، والوفاء بالوعد ، والمحافظة على الاعراض والمدافعة عن الجار ، وحفظ الجوار ، والكرم ، والسخاء ، والضيافة لكل وافد عرفوه ام لم يعرفوه . وكانوا مثال الحرية فى أقوالهم ، وأعمالهم وعاداتهم ، من غير تكلف لانها سجية فيهم . ويتفاخرون بشدة البأس ، وعزة النفس ، واباء الضيم ، والحلم ، والفصاحة ، وحفظ الشرف ، ومكارم الاخلاق ، وسرعة الخاطر ، بالبديهات وغير ذلك مما امتازت به العرب على غيرها من الامم والتاريخ شاهد على ذلك .

سيد العرب

أما سيد العرب وموقعه فى الهيئة الاجتماعية فهو ﷺ سلالة آباء كرام عربى ، أبطحى ، حرمى ، قرشى ، هاشمى ، نخبة بنى هاشم ، المختار ، والمنتخب من خير بطون العرب ، أعرقهم نسباً وأشرفهم حسباً ، وأنضرهم عوداً ، وأطولهم عموداً وأطيبهم أرومة ، وأعزهم جرثومة ، وأفصحهم لساناً

وأوضحهم بيانا ، وأرجحهم ايمانا ، وأعزهم نفراً ، وأكرمهم معشراً ، من قبل أبيه وأمه كما ورد فى صحيح مسلم عن واثلة بن الاصقع رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « ان الله تعالى اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم »

نسبه الشريف من جهة أبيه

هو محمد ﷺ خاتم الانبياء والمرسلين البشير النذير الذى جاء بالحكمة وفصل الخطاب هدى و رحمة لقوم يفقهون ابن

﴿١﴾ عبد الله

وهو الولد العاشر لعبد المطلب وكان والده عبدالمطلب حينما اراد حفر زمزم عارضه ابن عمه عدي بن نوفل بن عبد مناف وعيره بقلة عياله فنذر ان آتاه الله تعالى عشرة من الولد ذكورا لينحرن أحدهم عند الكعبة قربانا لله تعالى فلما آتاه الله تعالى عشرة من الولد ذكورا وكان العاشر مولداً عبد الله فقرع بين أولاده عبد المطلب فاصابت القرعة عبد الله وكررها عشراً فافتداه بمائة ناقة . وكان عبد الله انهدفتي فى قريش واصبحهم خلقا وأحسنهم خلقا ولم يلد له من الولد غير رسول الله ﷺ .وام عبد الله فاطمة بنت عمرو المخزومية القرشية وهو ابن

﴿٢﴾ عبد المطلب

واسمه شيبة الحمد وسمى بذلك لانه ولد وفى رأسه الشيب

وسبب تسميته عبد المطلب هو ان ولده هاشم تزوج بيثرب (المدينة المنورة) فى بنى عدى بن النجار فولدت له شيبة وتركه هاشم عندها حتى صار غلاما ثم مات هاشم فخرج أخوه المطلب بن عبد مناف اليه فاستلمه من أمه بعد عناء شديد فاحتمله وأردفه على بعيره ودخل مكة فقالت قريش هذا عبد ابتاعه المطلب فسمى بعد ذلك بعبد المطلب . وكان عبد المطلب جسيما أبيض وسيما طوالا فصيحاً ما رآه احد الا احبه لحسن خلقه وكان قاضى العرب وسيد قريش وشريفها وحليمها ، وكان على ملة ابراهيم ﷺ ويعتقد بالبعث والنشور والجزاء فى اليوم الآخر خلافا لما كانت عليه العرب ، وكان يتعبد فى حراء (وهو جبل باعلا مكة) فكان اذا دخل شهر رمضان صعد الجبل (حراء) واطعم المساكين جميع الشهر . وقد حرم الخمر ، ونكاح المحارم ، والزنا ، ومنع اود البنات وهو دفنهن احياء . وامر بقطع يد السارق وكان يأمر اولاده بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وكان يقال له الفياض لجوده وكرمه . ومن عادته يرفع من مائدته للطير ، والوحش ، فى رؤوس الجبال . وقد هداه الله تعالى الى موضع بئر زمزم بعلامات واشارات رآها فى منامه فحفرها وأخرج منها الغزالين الذهب والاسياف والدروع التي دفنتها فيه جرهم وصار بعد ذلك يسقى الحاج منها بعد أن كان يؤتي بالماء العذب من الآبار البعيدة لسقاية الحاج عاش عبد المطلب مائة واربعين سنة وهو أول من ذهب حلية الكعبة . وام عبد المطلب سلمى بنت عمر النجاريه الخزرجية وهو ابن

﴿٣﴾ هاشم

واسمه عبد العلاء سمى بذلك لعلو مرتبتـه بين قومه ويقال له سيد البطحاء، وكان يهشم الثريد لقومه فى الجدب ويصنع الطعام للحاج ولم تزل مائدته منصوبة في السراء والضراء . وكان يحث قريشا على مكارم الاخلاق فكان اذا أهل هلال ذى الحجة قام صبيحـة ذلك اليوم وأسند ظهره الى الكعبة من جهة بابها وخطب فى قريش قائلا : يامعشر قريش انكم سادة العرب أحسنها وجوها ، وأعظمها أحلاما ، وأوسط العرب أنسابا ، وأقرب العرب بالعرب أرحاما ، يامعشر قريش انكم جيران بيت الله تعالى أكرمكم الله تعالى بولايتـه وخصكم بجواره دون بنى اسماعيل وانه يأتيكم زوار الله يعظمون بيته فهم أضيافه وأنتم أحق من أكرم ضيوفه وزوار بيته فورب هذه البنية لوكان لى مال يحتمل ذلك لكفيتكموه وأنا مخرج من طيب مالى وحلاله مالم يقطع فيه رحم ولا يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فمن شاء منكم أن يفعل مثل ذلك فعل وأسألكم بحرمة هـذا البيت ان لا يخرج رجل منكم من ماله لكرامة زوار بيت الله وتقويتهم الا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم يقطع فيه رحم ولم يؤخذ غصبا : فكانوا يجتهدون فى ذلك ويخرجونه من أموالهم فيضعونه فى دار الندوة وكان يحمل الماء على الابل من آبار بعيـدة عذبة ويملأ بها الاحواض المنصوبة حول الكعبة لسقاية الحاج ويضع فيها

التمر والزبيب . وكان هاشم هو أول من أخذ الايلاف لقريش من ملوك الشام والروم وغسان . وكانت قريش اذا هلك مال أحدهم أخذ من يعوله وخرج بهم الى البر وضرب على نفسه وعليهم الاخبية ثم يتناوبون فيها حتى يموتون فلما نشأ هاشم وعظم قدره في قومه قال : يا معشر قريش ان العزم مع كثرة العدد وقد أصبحتم اكثر العرب أولادا وأعزهم نفرا وان هذا الاحتقاد قد أتى على كثير منكم وقد رأيت رأيا : قالوا رأيك رشيد فمرنا نأتمر قال : رأيت أن أخلط فقراءكم بأغنيائكم فأعمد الى رجل غنى فاضم اليه نفرا عدده بعدد عياله فيكون يوازره فى الرحلتين فما كان من مال الغنى من فضل عاش الفقير وعياله فى ظله وكان ذلك قطعا للاحتقاد : فقالوا نعم مارأيت فالف بين الناس . ولم يكن لهاشم من الولد غير عبد المطلب ولما أدركته الوفاة أوصى على ولده عبد المطلب اخيه (المطلب) ومات بغزة من أرض فلسطين وعمره عشرون سنة وأمه عاتكة بنت مرة بن سليم بن منصور المضرية وهو ابن

﴿٤﴾ عبد مناف

واسمه المغيرة وكان يقال له قمر البطحاء لحسنه وجماله وكان شريفاً في قومه قريش وسيدهم وذهب شرفه فيهم كل مذهب في حياة أبيه (قصى) وكان فى يده لواء نزار ، وقوس اسماعيل عليه السلام ثم تولى سلطان قريش وولاية مكة بعد أبيه وورث من أبيه قصى من مواد الشرف القيادة ، ودار الندوة ، والسقاية ، وهذه أعظم مفاخر قريش . وقد أوصى قريشا بتقوى

الله تعالى وصلة الرحم . خلف من الولد أربعة وهم (هاشم) الذى تقدم و (عبد شمس) وهو جد الامويين ومنهم عثمان بن عفان وابو سفيان بن حرب ، وابنيه معاوية و يزيد بن أبى سفيان ، وعبد الله بن عمرو بن كريز فاتح خراسان وماوراء النهر فى خلافة عثمان رضى الله عنهم وهو أول من أجرى العيون بعرفة وزرع بها البساتين فى خلافة عثمان بن عفان من ماله الخاص . و (المطلب) ومنه المطلبيون ومنهم السائب وشافع جدى الامام الشافعى رضى الله عنهم. و (نوفل) ومنه النوفليون ومنهم جبير بن مطعم ، ونافع بن ظريب الذى كتب المصحف لعمر بن الخطاب رضى الله عنهم وأم عبد مناف (حبى) بنت حليل الخزاعى وهو ابن :

﴿ ٥ ﴾ قصى

واسمه زيد ويقال له مجمع لانه جمع قبائل قريش بعد تفرقها وهى اثناعشرة قبيلة كما سيأتى بيانها وانزلها بمكة ونواحيها بطاحها وظواهرها ولد قصى بمكة ثم لما تزوجت أمه فاطمة بنت سعد بن سيل الازدية اليمانية على ربيعة بن حرام القضاعى احتملها مع قصى الى بلاده من ارض بنى عذرة من أشراف الشام لصغره وترك أخوه زهرة فى قومه قريش بمكة لانه قد كبر وشب قصى في حجر ربيعة ولا يعلم لنفسه أبا غير ربيعة ولا يدعى الاله فلما صار غلاما يفعة سابه رجل من قضاعة فعيره بالدعوة وقال له لست منا

وانما أنت فينا ملصق فدخل على أمه وقد وجم لذلك فقالت له أمه يابنى صدق انك لست منهم ولكن رهطك خير من رهطه وآباؤك اشرف من آبائه وانما انت قرشى واخوك و بنو عمك بمكة وهم جيران بيت الله الحرام ، فأجمع قصى على الخروج الى قومه واللحوق بهم فقالت له أمه يا بنى لا تعجل بالخروج حتي يدخل عليك الشهر الحرام فتخرج فى حاج العرب فانى اخشى عليك ان يصيبك بعض البأس فبقى حتي خرج حاج قضاعة فخرج معهم حتي قدم مكة فلما فرغ من الحج اقام بها. وكان رجلا جليلا نسيباً فعرفت قريش قدره وفضله وعظمته وأقرت له بالرياسة والسؤدد وكان ابعدها رأيا واصدقها لهجة واوسعها بذلا وابينها عفافا .

وكانت ولاية البيت الحرام اولا بيد مضاض بن عمرو الجرهمى الاكبر وثانياً بيد خزاعة ، وكان مضاض الجرهمى ولى امر البيت بعد ثابت بن اسماعيل عليه السلام لانه كان جداً لثابت وغيره من أولاد اسماعيل لامهم واستمرت جرهم ولاة البيت الحرام بمكة لاينازعهم أحد من ولد اسماعيل فى ذلك . ثم ان جرهما طغوا وبغوا وظلموا من يدخل مكة من العرب من غير أهلها واكلوا مال الكعبة الذى كان يهدى لها فاجتمعت خزاعة لحربهم . قال القاضى عياض ان خزاعة من بنى (مضر) بن نزار وأيده السهيلى. وكانت منازلهم بمكة ومر الظهران وما بينهما و كانوا حلفاء لقريش وكان رئيس خزاعة عمرو بن لحى بن قمة بن إلياس بن

مضر فبلغ عمرو بن لحى فى العرب من الشرف والتقدم والزعامة ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده فى خزاعه فاخرجت خزاعة بنى جرهم من مكة واستولى عمرو بن لحى على مكه وهو اول من اطعم الحاج بمكه سدائف الابل (وهو شحم السنام) ولحمانها على الثريد وذهب شرفه فى العرب كل مذهب حتي صار قوله دينا متبعا لا يخالفه فيه كبير ولا صغير فكان يطعم الناس ويكسوهم حتي انه بلغ ماينحره للحاج فى الموسم عشرة آلاف بدنة ويكسوهم بعشرات الآلاف الحلة . وهو اول من غير ملة ابراهيم الخليل ﷺ فى العرب وشرع لهم عبادة الاصنام ونصبها لهم حول الكعبة واتي بالصنم (هبل) من ارض الشام ونصبه فى بطن الكعبة و بقي أمر البيت فى بنيه خمسمائة سنة وكان آخرهم (حليل) بن حبيشة الخزاعى فخطب قصى ابنته (حبى) بنت حليل فعرف حليل نسبه فرغب فيه وزوجه فاقام قصى معه فولدت حبى لقصى ولده عبد الدار ،وعبد مناف ، وعبد العزى ، وعبداً فلما انتشر ولده وكثر ماله وعظم شرفه مات (حليل) فرأى قصى انه اولى بالكعبة وأمر مكه من خزاعة و بنى بكر وان قريشا فرعة اسماعيل ابن ابراهيم وصريح ولده فكلم رجالا من قريش و بنى كنانة ودعاهم الى أخراج خزاعة و بني بكر من مكه فلما قبلوا منه ما دعاهم اليه و بايعوه عليه كتب الى اخيه من أمه رزاح بن ربيعة بن حرام القضاعى وهو فى بلاده يدعوه الى نصرته والقيام معه فقام رزاح بن ربيعه فى قضاعة فدعاهم الى

نصرة اخيه قصى والخروج معه اليه فاجابوه الى مادعاهم اليه فخرج الى مكه ومعه اخوته الثلاثة ومن تبعه من قضاعة في حاج العرب فلما اجتمع الناس بمكه وخرجوا الى الموقف وفرغوا من الحج ونزلوا منى أتاهم قصى بمن معه من قومه قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة فقال قصي لخزاعة نحن اولى بهذا الامر منكم فناكروه فناكرهم فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديداً ثم انهزمت خزاعة و بنو بكر وغلبهم قصي على ما كان بأيديهم ثم انهم تداعوا الى الصلح واتفقوا ان يحكم بينهم رجل من العرب فيما اختلفوا فيه فحكموا يعمر بن عوف بن كعب الكنانى فقضى بينهم بان قصياً اولى بالكعبة وأمر مكة من خزاعة وان كل دم أصابه قصى من خزاعة و بني بكر موضوع بشدخه تحت قدميه وان ما أصابت خزاعة و بنو بكر من قريش و بنو كنانه وقضاعه ففيه الدية مؤداة وان يخلى بين قصى و بين الكعبة ومكة . فسمى يعمر بن عوف يومئذ الشداخ لما شدخ من الدماء ووضع منها . فهكذا قضى الدهر ان يكون حكم الغالب على المغلوب فى ماضى الزمان وحاضره .

فولى قصى البيت وامر مكه وجمع قومه من منازلهم الى مكه وتملك على قومه واهل مكه فكان قصى اول ولد كعب بن لؤى اصاب ملكا اطاع له به قومه فحاز قصى بعد ذلك على مواد الشرف كلها التى كانت أعظم مفاخر العرب قاطبة فكانت بيده (السقاية) وهى احواض من الجلد (الادم) كبيرة تنصب حول الكعبة فى زمن الموسم وتملأ ماء عذبا يحمل اليها من الآبار البعيدة على الابل ويضاف على الماء التمر والتين والزبيب ثم يمزج فيه على شكل المرطبات

او الشربات فى هذا العصر فيستقى منها الحاج مدة اقامته بمكة زمن الموسم وينفق على ذلك من مال والى الحرم . (والرفادة) وهى دار الضيافة التى يؤمها الوفود للطعام . و (الحجابة) وهى سدانة الكعبة والقيام بشؤون خدمة البيت المعظم من فتح بابه وتنظيفه وحفظ أمواله التي تهدي اليه . و (دار الندوة) وهو مجلس الشورى وكان لايقبل فيه عضو الامن بلغ سن الاربعين وكانت قريش لاتبرم أمراً الا فيه . و (القيادة) وهى قيادة الجيوش في الحرب . و (اللواء) وهو راية الحرب ومن عاداتهم أنه لايحمل اللواء الا من هو من نسل صاحب اللواء . وبقيت هذه المواد فى عقب قصى الى ان ظهر الاسلام وأسس للعرب ماهو أعظم قدراً وأجل شأنا من ذلك فهدم كل ذلك رسول الله ﷺ ولم يبق من هذه المواد الا (الحجابة) فى بنى عبد الدار بن قصى و (السقاية) فى بني العباس بن عبد المطلب . أما الحجابة فهى باقية فى بنى عبد الدار من أولاد شيبة بن عثمان بتوارثونها عن آبائهم طبقة بعد طبقة وجيلا بعد جيل الى هذا اليوم ويلى الرياسة منهم اكبرهم سنا واما (السقاية) فبقيت فى بنى العباس الى زمن راس الخلفاء العباسيين وهو ابو العباس السفاح ثم تركوها بعد ذلك .

وكان قصى هو اول من احدث وقود النار بالمزدلفة ليراها من دفع من عرفة وهو اول بان لدار الندوة قال القاضى ابن ظهيرة فى تاريخ مكة انها فى حصوة باب الزيادة ولما استتب الامر لقصى وتسامعت عموم القبائل

بولايته على البيت الحرام جمع قريشا وقام فيهم خطيبا فقال : يا معشر قريش قد حضر الحج وقد سمعت العرب بما صنعتم وهم لكم معظمون ولا اعلم مكرمة عند العرب اعظم من الطعام فليخرج كل انسان منكم من ماله خرجا، يامعشر قريش انكم جيران الله وجيران بيته واهل حرمه وان الحاج زوار بيت الله فهم أضياف الله سبحانه وتعالى واحق الاضياف بالكرامة أضيافه ولوكان مالى يسع ذلك قمت به : فصارت قريش تدفع من أموالها اليه فيصنع طعاما وشرابا للحجاج بمكة وعرفة فلما جاء اوائل الحج نحر على كل طريق من طرق مكة جزورا ونحر بمكة جزرا وجعل الثريد واللحم وسقى الماء المحلى بالتمر والزبيب والتين وسقى اللبن .

وكان يحث قريشا على مكارم الاخلاق ويعلمهم الحكم ومن حكمه المأثورة عنه : من أكرم لئيما أشركه فى لؤمه ، ومن استحسن قبيحاً نزل الى قبحه ومن لم تصلحه الكرامة أصلحه الهوان ، ومن طلب فوق قدره استحق الحرمان ، والحسود العدو الخفي : ولما حضرته الوفاة قال لاولاده : اجتنبوا الخمرة فانها لاتصلح الابدان ،وتفسد الاذهان:

خلف قصى من الولد أربعة وهم (عبد مناف) ومنه بيت النبوة ومن ذكر فى عمود النسب . و (عبد الدار) ومنه سدنة الكعبة ومن ولده عثمان بن طلحة الذى هاجر مع عمرو بن العاص وخالد بن الوليد الى المدينة وأسلم معهم وأعطاه النبى ﷺ مفتاح الكعبة ولابن أخيه شيبة بن عثمان بن ابى طلحة

رأس الشيبيين وقال لهما «خذوها يابني أبي طلحة خالدة تالدة لاينزعها منكم الا ظالم» ومصعب بن عمير احد السابقين الاولين وصاحب راية رسول الله ﷺ يوم أحد وقتل يوم أحد وهو يحمل الراية رضي الله عنه و (عبد العزى) وهو جد الاسديين ومنهم ام المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها والزبير بن العوام وحكيم بن حزام ، وورقة بن نوفل رضى الله عنهم و(عدى) ومنه قريش الظواهر . وام قصي فاطمة بنت سعد اليمانية الازدية وهو ابن :

(٦) كلاب

واسمه حكيم وسبب تلقيبه بكلاب انه كان يصطاد بالكلاب وكانت العرب من عادتها تسمى أبناءها بشر الاسماء ومواليها بأحسن الاسماء فلما سئلت عن ذلك أجابت انهم يسموا ابناءهم لاعدائهم ومواليهم لانفسهم فكانهم قد جعلوا ابناءهم عدة لهم على أعدائهم وسهما فى نحورهم .

وهو أول من أهدى الى الكعبة سيفين محلاة بالذهب وجعلها فى خزانتها خلف من الولد قصى الذى فى عمود النسب و(زهرة) واليه تنسب بنو زهرة ومنهم سعد بن ابى وقاص وعبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما وآمنة بنت وهب ام النبى ﷺ وام كلاب هند بنت سرير من بنى فهر بن مالك وهو ابن

﴿٧﴾ مرة

واسمه محشية ، وكنيته ابو يقظة ، ومرة منقول من وصف الحنظلة والعلقمة ومعناه القوة لقوله تعالى (ذو مرة) اى قوة وهذا الاسم من ضمن الاسماء الغليظة مثل كلاب . خلف من الولد ثلاثة وهم (كلاب) المتقدم و (تيم) وهو جد التيميين ومنهم أبو بكر الصديق وطلحة بن عبيدالله رضى الله عنهما . و (يقظة) واليه تنسب بنو مخزوم ومنهم ابو سلمة بن عبد الاسد ، ومنهم خالد بن الوليد ، وعكرمة بن ابى جهل ، وعمه سلمة بن هشام ،وسعيد بن المسيب رضى الله عنهم وام مرة (وحشية) بنت شيبان من بنى فهر بن مالك وهو ابن

﴿٨﴾ كعب

وسمى كعباً لعلو قدره عند قريش وارتفاع منزلته لان العرب كانت تقول لكل شيء علا وارتفع (كعباً) وكان كعب يجمع قومه يوم العروبة وهو يوم (الجمعة) يعظهم ويذكرهم ببعثه ﷺ ويعلمهم أنه من ولده وأنشد شعرا منه

نهار وليل كل ارب بحادث سواء علينا ليلها ونهارها
على غفلة يأتي النبي محمد فيخبر اخباراً صدوق خبيرها

ومن شعره ايضاً

يا ليتنى شاهد غواء دعوته حين العشيرة تنفى الحق خذلانا

وكان بينه و بين مبعث النبي ﷺ خمسمائة وستون سنة كما ذكره الحافظ ابو نعيم فى دلائل النبوه وهو اول من قال (اما بعد) وكان يحث قريشا على مكارم الاخلاق وقام فيهم خطيبا فقال : أما بعد فاسمعوا ، و افهموا ، وتعلموا ، واعلموا ليل داج ، ونهار صاج ، والارض مهاد ، والسماء بناء والجبال أوتاد ، والنجوم أعلام ، لم تخلق عبثا فتضربوا عنها صفحا ، والاولون كالآخرون ، والذكر والانثى والزوج الى بلى ، فصلوا أرحامكم ، واحفظوا أصهاركم ، وأوفوا بعهودكم ، وتمروا أولادكم وأموالكم ؛ فانها قوام ثروتكم ، فهل رأيتم من هلك رجع أو ميت نشر ، الدار امامكم واليقين غير ما تظنون ، دينكم زينوه وعظموه وتمسكوا به ، وسيخرج منه نبي كريم بذلك جاء موسي وعيسي والله لو كنت ذا سمع و بصر و يد ورجل لتنصبت بها تنصب الجمل ولرفلت فيها ارفال النحل : و كانت العرب بعد موته يؤرخون بوفاته الى عام الفيل ثم ارخوا بعام الفيل الى زمن الهجرة ثم ارخوا بالهجرة الى اليوم ولذلك عرف مقدار الزمن الذى بين كعب وبين مبعث النبي ﷺ .

خلف من الولد ثلاثه وهم (مرة) المتقدم . و (عدى) وهو جد العدويين ومنهم عمر بن الخطاب ، وخارجة بن حذافة قاضي عمرو بن العاص بمصر وسعيد بن زيد رضي الله عنهم و (هصيص) واليه تنسب بنو سهم ومنهم عمرو بن العاص و كذلك تنسب اليه بنو (جمح) و منه ابو محذورة مؤذن رسول الله ﷺ وام كعب (مارية) بنت كعب القضاعية وهو ابن

﴿٩﴾ لؤى

ويكنى ابا كعب وكان المتقدم فى بنيه على قبائل قريش وكان لؤى حليما حكيما نطق بالحكمة صغيراً ومن حكمه قال : من رب معروفه لم يخلق ولم يحمل واذا حمل الشيء لم يذكر وعلى من قد اولى معروفا وفاء شكره وعلى المولى تصغيره وطيه :

خلف من الولد اربعة وهم (كعب) المتقدم و (عامر) واليه تنسب بنو عامر ومن بنى عامر سهيل بن عمرو الذي عقد صلح الحديبيه مع النبي ﷺ من قبل قريش وابن ام مكتوم مؤذن رسول الله ﷺ وخليفه على الصلاة وعبدالله بن سعد بن ابى السرح رضي الله عنهم و (سعد) ومنه ابو الطفيل عامر ابن واثلة وواثلة بن الاصقع رضي الله عنهما و (خزيمه) كان قد تزوج عاتكة بنت المخيس بن قحافة فانتسب ولده بها . وام لؤى سلمى بنت عمرو الخزاعية وهو ابن

﴿١٠﴾ غالب

مشتق من الغلب وكنيته ابو تيم . خلف من الولد اثنان وهما (لؤى) المتقدم والثاني (تيم) الاردم ويقال لبنى تيم الاردم بنو الاردم من غير تيم والاردم الناقص الذقن وأم غالب ليلى بنت الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة الهذلى وهو ابن :

(١١) فهر

ومعنى فهر الحجارة الطوال واسم فهر قريش سمى بذلك لانه كان يقرش على خلة حاجة المحتاج فيسدها من ماله ومعنى التقريش هو التفتيش وكنيته ابو غالب وكان بنوه يقرشون أهل الموسم اي يتفقدون الحاج ويسألونهم عن حوائجهم فيرفدونهم ويسدون عوزهم . واليه تنسب قبائل قريش وما فوقه يسمون كنانه .

وكان فهر سيد بنى كنانة ولما جاء حسان بن عبد كلال من اليمن يقود حمير وغيرهم من قبائل اليمن لاخذ أحجار الكعبة الى اليمن ليبنى بها بيتا ويجعل حج الناس اليه ونزل بنخلة خرج الى قتاله فهر بعد ان جمع قبائل العرب فقاتله وأسره وأنهزمت حمير ومن انضم اليها واستمر حسان فى الاسر ثلاثة سنين ثم افتدى نفسه بمال كثير ولما خرج مات بالطريق بين مكة واليمن فهابت العرب فهرا وعظموه وعلا أمره . ومن مواعظه لولده قوله : قليل مافى يديك ، أغنى لك من كثير ما أخلق وجهك وان صار اليك : خلف اربعة اولاد وهم (غالب) المتقدم . و (الحارث) ومنه ابو عبيدة بن الجراح وسهل بن بيضاء الذي قام فى نقض الصحيفه التى قاطعت قريش بها بنى هاشم والمطلب . و (محارب) ومنه الضحاك بن قيس المحاربى . و (أسد) . وام فهر جندلة بنت الحارث الجرهمى رئيس أهل مكة فى ذلك العصر وهو ابن

﴿١٢﴾ مالك

سمى مالكا لانه ملك العرب فى زمانه ويكنى أبا الحارث . ومن حكمه المروية عنه (رب صورة تفارق المخبرة قد غرت بجمالها واختبر قبيح فعالها فاحذر الصور وتواطلب الخبر ولم يخلف من الولد غير فهر . وأمه عاتكة بنت عدوان من قيس عيلان وهو ابن

﴿١٣﴾ النضر

واسمه قيس ولقب بالنضر لنضارته وحسنه وجماله ويكنى أبا مخلد ولم يخلف من الولد غير مالك المتقدم . وأم النضر برة بنت مرة بن أد بن طابخة وهو ابن .

﴿١٤﴾ كنانة

سمى كنانة لانه حافظ على أسرار قومه ويكنى أبا النضر . وكان شيخا حسناً عظيم القدر تحج اليه العرب لعلمه وفضله وكان يقول لقومه قد آن خروج نبي من مكه يدعى أحمد يدعو الى الله والى البر والاحسان: ومكارم الاخلاق فاتبعوه تزدادوا شرفا وعزا الى عزكم ولا تعتدوا فتكذبوا ما جاء به فهو الحق : وكان من عظيم كرمه يأنف ان يأكل وحده . خلف أربعة عشر ولداً وهم (١) النضر المتقدم ومنه بطون كما تقدم (٢) مالك (٣) ملكان وتنسب اليه بنو غفار ومنهم ابو ذر الغفارى رضي الله عنه

(٤) الحارث (٥) عمرو (٦) عبد مناة ومنه محرز المدلجي والصعب بن خثامة و (٧) عامر و (٨) سعد و (٩) غنم و (١٠) عوف و (١١) جحربة و (١٢) جرول و (١٣) عرفان و (١٤) جذال . وكل هؤلاء بطون كنانة وديارهم حول مكة . وأم كنانة عوانة بنت سعد من قيس عيلان وهو ابن

﴿١٥﴾ خزيمة

تصغير خزمة ويكنى أبا أسد . خلف من الولد خمسة وهم (كنانة) المتقدم و (ربيعة) و (حنظلة) و (مالك) و (كلب) ومن هؤلاء تفرعت بطون بأسمائهم وما فوقهم يقال لهم المضرية وأم خزيمة سلمى بنت أسلم القضاعية وهو ابن

﴿١٦﴾ مدركة

واسمه عمرو ، وقيل له مدركة لانه أدرك كل عز وفخر كان فى آبائه وله من الولد خمسة وهم (خزيمة) المتقدم و (غالب) و (قيس) و (سعد) و (هذيل) ومنه عبد الله بن مسعود وابو بكر الهذلى الصبيحى . وأم مدركة (خندف) المضروب بها المثل فى الشرف ، والمنعة واسمها ليلى بنت حلوان القضاعية وهو ابن

﴿١٧﴾ الياس

والياس معناه اليأس ضد الرجاء ويكنى أباعمر وقد عظم أمره عند العرب بعد أبيه وكانت تدعوه بكبير قومه ، وسيد عشيرته ، وكانت لا

تقضي أمرا دونه وهو أول من أهدى البدن الى البيت الحرام وكان فى العرب مثل لقمان الحكيم فى قومه . وله من الولد اثنان (مدركة) المتقدم و (قمعة) ومنه بطن خندف ومن خندف بنو طابخة ومن طابخة بنو مزينة ومن مزينة كعب بن زهير بن أبى سلمى صاحب القصيدة المشهورة (بانت سعاد) . وأم الياس الرباب بنت جندة بن معد وهو ابن

﴿١٨﴾ مضر

واسمه عمرو ، وكنيته أبو الياس لقب بمضر لانه كان يضير قلب من يراه لحسنه وجماله ويقال له مضر الحمراء كان على ملة ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام . وكانت لمضر الكثرة والغلبة بالحجاز على سائر بنى عدنان والرياسة بمكة المكرمة والحرم . وهو اول من سن الحداء للابل . وكان من أحسن الناس صوتا ومن الحكم المروية عنه قوله : من بزرع خيراً يحصد غبطة ، ومن بزرع شراً يحصد ندامة ، فاحملوا أنفسكم على مكروهها فيما يصلحكم ، واصرفوها عن هواها فيما أفسدها ، فليس بين الصلاح والفساد الا صبر فواق : والفواق هو الوقت القصير . ولد له من الولد (الياس) بعد أن كبر سنه وآيس من الولد ولذلك سماه إلياس من اليأس وهو المتقدم و (قيس عيلان) ومنه قبائل هوازن المعروفة بقبائل (عتيبة) ومن هوازن بنو سعد بن بكر ومنهم حليمة السعدية مرضعة النبى ﷺ ومن

سعد بن بكر بنو كلاب ، وقبائل عقيل ، وبنو عامر ، وصعصعة ، وخفاجة وبنو هلال ، وثقيف ، ومن ثقيف المغيرة بن شعبة رضى الله عنه . وبنو نمير ، وباهلة ، ومازن ، وغطفان ، المعروفون بقبائل (مطير) وبنو عبس وبنو سليم المعروفون بقبائل حرب ، وبنو ذبيان ، وبنو فزارة . وام مضر سودة بنت عك وهو ابن

﴿١٩﴾ نزار

واسمه خلدان ويكنى أبا أياد وكان له من الولد أربعة وهم (مضر) المتقدم و (أياد) ومن أياد قس بن ساعدة الايادي وهو اول من آمن بالبعث من اهل الجاهلية وهو اول من اتكي على العصى فى الخطبة وأول من قال أما بعد (فى رواية) وأول من كتب من فلان الى فلان وهو صاحب الخطبة العظيمة فى عكاظ وهى كما رواها صاحب السيرة الشامية : أيها الناس اسمعوا وعوا ؛ واذا وعيتم فانتفعوا ، انه من عاش مات ومن مات فات وكل ماهو آت آت مطر ونبات ، وأرزاق وأقوات ، وآباء وأمهات ، وأحياء وأموات ، وأشتات بعد أشتات ، وآيات بعد آيات ، إن فى السماء لخبرا وان فى الارض لعبرا ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وبحار ذات أمواج وارض ذات فجاج ، مالى ارى الناس يذهبون فلا يرجعون ، أرضوا بالمقام فاقاموا ، أم تركوا هناك فناموا ، أقسم قس قسما حقا لا خائنا فيه ولا آثما

ان لله ديناً هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه ؛ ونبيا قد حان حينه ، وأظلكم أوانه ، وأدركتكم آياته ، فطوبى لمن آمن به فهداه وويل لمن خالفه وعصاه ، ثم قال تبا لارباب الغفلة من الامم الخالية ، والقرون الماضية ، يا معشر اياد أين الآباء والأجداد ، واين المريض والعواد ، واين الفراعنة الشداد ، أين من بنى فشيد ، وزخرف ونجد ، وغره المال والولد ؛ اين من بغى وطغى ، وجمع فأوعى ، وقال أنا ربكم الاعلى ، ألم يكونوا أكثر منكم أموالا واولادا ؟ وأبعد منكم آمالا ، وأطول منكم آجالا طحنهم الثرى بكلكله ومزقهم بتطاوله ، اى فلك عظامهم باليه وبيوتهم خالية ، عمرتها الذئاب العاوية ، كلا بل هو الله المعبود ليس بوالد ولا مولود : فهذا قس بن ساعدة الايادى قد نظر الى الحقيقة بنظره الثاقب فكشفها لقومه شأن المصلحين فى أمتهم وقومهم وعشيرتهم وهو لم يدرك النبوة ولم يطلع على كتاب الله تعالى ولم يوح اليه بل تبصر في ملكوت السموات والارض ببصيرته فكشفت له بعض الحقائق فما بالك بمن يكابر الحقيقة بعد ان اطلع على الكتاب والسنة المبين فيهما حقائق النشؤ والارتقاء والبعث والنشور والآيات الدالة على وجود الله تعالى والحكمة فى بعث الرسل بما لم يأت بجزء منها قس في خطبته فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور .

ومن ولد نزار (أنمار) و (ربيعة) ومن ربيعة قبائل عنزة ، وبكر

ووائل وتغلب ، و بنو أسد ، ومنه عبد قيس وكانت ديارهم تهامة ثم خرجوا الى البحرين المعروف الآن بالاحساء وقد وفدوا على النبي ﷺ ويسمى وفدهم وفد عبد القيس وكان رئيس الوفد المنذر بن عائذ فاسلموا وصارت لهم مكانة عند النبي ﷺ وكان فيهم الاشبح العبدي الذي قال له النبي ﷺ « فيك خصلتان يحبهما الله ورسوله الحلم والاناءة » وكان فيهم الجارود بن المعلى ، و بقيت رياسة عبد القيس فى بنيه . ولما حضرت نزاراً الوفاة قسم ماله على اولاده فاعطى لمضر الابل ، وأعطى لأياد الغنم البرش برعائها ، وأعطى لربيعة الخيل الدهم وما أشبهها ، وأعطى لانمار الارض وما فى معناها ، ونزار أول من كتب الكتاب العربى . وام نزار معانة بنت جوسم الجرهميه وهو ابن

﴿٢٠﴾ معد

سمى معدا لانه كان صاحب حروب وغارات على بنى اسرائيل ولم يحارب أحدا الا انتصر عليه ورجع ظافراً وكنيته ابو قضاعة ومنه بطون عدنان باجمعها ، وام معد مهدد بنت اللهم بن حجب بن جدير وهو ابن

﴿٢١﴾ عدنان

فهذا منتهى النسب الشريف الذي رواه البخارى فى صحيحه واقتصر عليه واخرج ابن سعد فى الطبقات من حديث ابن عباس رضى

الله عنهما : قال ان النبي ﷺ : كان اذا انتسب لم يتجاوز معد بن عدنان ووقع الخلاف بين علماء النسب فيما بين عدنان الى اسماعيل فروى الحافظ ابن عبد البر حديثاً موقوفا على ابن عباس رضى الله عنهما : بين عدنان واسماعيل ثلاثون أبا لا يعرفون : وقال غيره اربعون أبا فاستبعد ذلك الحافظ ابن حجر العسقلانى بعد أن أورد عموم الخلاف فى ذلك فى شرحه على البخارى والذى ترجح عنده ما أخرجه الحاكم والطبرانى من حديث أم سلمة رضى الله عنها قالت : عدنان هو ابن أد بن زيد بن برى ابن أعراق الثرى : واعراق الثرى هو اسماعيل قال الحافظ ابن حجر عقب هذه الرواية وهو الاوفق لما ذكرته عن ابراهيم بن المنذر عن عبد الله بن عمران انتهى . وعليه فلا مانع من سياق نسبه ﷺ الى اسماعيل . واما ما ذكر عن الامام مالك رضى الله عنه انه كره رفع النسب الشريف الى آدم عليه السلام فذلك محمول على رفعه من اسماعيل الى آدم والله أعلم . وروي ابو جعفر بن حبيب في تاريخه المحبر من حديث ابن عباس رضى الله عنه قال كان عدنان ، ومعد ، وربيعة ، ومضر ، وخزيمة ، وأسد ، على ملة ابراهيم فلا تذكروهما الا بخير . وروى الزبير بن بكار من وجه آخر مرفوعا « لاتسبوا مضر ، ولا ربيعة ، فانهما كانا مسلمين » كل ذلك ذكره الحافظ ابن حجر فى فتح الباري وكان عدنان فى زمن موسى عليه السلام.

نسبه من جهة أمه

فهو ﷺ محمد بن آمنة الزهرية بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة ابن كلاب بن مرة يجتمع نسب أبيه و امه فى كلاب .

زواج أبيه على امه

كان عبد الله بن عبد المطلب أحب أبناء عبد المطلب اليه وكان عبد المطلب قد تزوج هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة ام حمزة ابن عبد المطلب رضى الله عنه عم النبى ﷺ فلما بلغ عبدالله ثلاثون سنة من عمره خرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة فى شعب ابي طالب عند الجمرة فى منى وهو يومئذ سيد بني زهرة شرفا ونسباً فخطب لابنه عبد الله آمنة بنت وهب وهى يومئذ افضل امرأة فى قريش نسباً وموضعاً فزوجه اياها وكان ذلك يوم الاثنين فى شهر رجب فحملت برسول الله ﷺ يوم دخوله بها و كانت قريش فى جدب شديد وضيق عظيم فأخضرت الارض و حملت الاشجار واتاهم الرغد من كل جانب فسميت تلك السنة سنة الفتح والابتهاج وطوبى الطيب و الحسنى والخير .

وفاة عبد الله بن عبد المطلب

كان عبد الله مع قريش فى تجارة بالشام فرجع ضعيفاً معهم ولما وصل المدينة المنورة تخلف عند اخوال ابيه بني عدي بن النجار فاقام عندهم

مريضاً شهرا ثم توفى ودفن فى دار التابعة وذلك فى شهر شعبان قبل حادثة الفيل بار بعة أشهر وكان قد تم من حمله ﷺ شهران .

ولادته صلى الله عليه وسلم

ولما تم حمله ﷺ فى بطن أمه تسعة أشهر قرية أخذ أمه المخاض فوضعته ﷺ ليلة الاثنين ثاني عشر من ربيع الاول عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وخمسين سنة وذلك يوافق من الشهور الشمسية ٢٣ أبريل سنة ٥٧١ من ميلاد عيسى عليه السلام ويوافق من الفصول برج الحمل ولم تشك أمه من حمله ما يعرض لذوات الحمل من النساء ورأت فى خلال حمله ﷺ من البشائر والسرائر مالا يحصى وتولت ولادته الشفاء بنت عوف ابن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب وهى أم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وهي من المهاجرات الاول وكانت ولادته فى شعب أبى طالب بمكة . ولما وضعته أمه أرسلت الى جده عبد المطلب وأعلمته بولادته فأتاه عبد المطلب فأخذه ودخل به الكعبة وقام يدعو الله تعالى ويشكره على ما أعطاه ثم خرج به الى امه . وفى اليوم السابع ختنه جده عبد المطلب وصنع له وليمة وسماه محمداً كما اورد ذلك الوليد بن مسلم بسنده الى ابن عباس رضي الله عنهما وحكاه ابن عبد البر في التمهيد وغيره . وذكر البيهقي فى الدلائل أن عبد المطلب لما سمى النبي ﷺ (محمداً) قالت له قريش لم رغبت به عن أسماء أهل بيته ؟ قال اردت أن يحمده الله فى السماء وخلقه فى الارض .

وذكر الحافظ ابن حجر العسقلانى فى فتح الباري وفى الاصابة انه حصر من سمى محمداً فى الجاهلية قبل النبى ﷺ سنة عشر وذلك ان العرب لكثرة أسفارهم الى الشام سمعوا من الكهان والاحبار ان نبيا سيبعث فى هذا الزمان يسمى محمدا فرجا كل من سمع ذلك ان يكون المبعوث ابنه فسموا أبناءهم محمداً وهذه اسماء من سموا محمداً (١) محمد بن عدى بن ربيعة بن سوءة التميمى السعدى (٢) محمد بن سفيان بن مجاشع التميمى (٣) محمد بن يزيد بن عمرو بن ربيعة التميمى (٤) محمد بن عقبة بن أحيحة (٥) محمد بن أسامة بن مالك بن حبيب بن العنبر التميمى (٦) محمد بن أحيحة ابن الحلاج (٧) محمد بن البراء بن طريف بن عثورة بن عامر بن كنانة (٨) محمد بن اليحمد الازدى (٩) محمد بن خولى الهمدانى (١٠) محمد بن حرمان ابن مالك اليعمري التميمى (١١) محمد بن حمران بن ابى حمران واسمه ربيعة ابن مالك الجعفي المعروف بالشويعر (١٢) محمد بن خزاعى بن علقمة بن حرابة السلمى من ذكوان (١٣) محمد بن عمرو بن مفغل الغفارى (١٤) محمد بن الحارث بن خريج بن حويص الحارثي (١٥) محمد العقيمى (١٦) محمد الاسدى

أما (١) محمد بن عدى فقد رآه النبي ﷺ واسلم وصار صحابيا وأما (١٣) محمد بن عمرو الغفارى و (١٤) محمد بن الحارث الحارثي فقد اسلما فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأما (٦) محمد بن احيحة بن الحلاج ذكره عبدان في الصحابة وانكره ابن الاثير وأما (٧) محمد بن البراء

ابن طريف عده الحافظ ابن حجر في القسم الرابع من الاصابة وباقي المحمدين ولم يثبت لهم صحبة غير محمد بن عدي المتقدم ، واختلف في اسلام الباقين

واما من تسمي بمحمد لغير هذا الغرض من الصحابة وممن ولد في العصر النبوي فأكثر من ان يحصر وانما اتيت هنا بأسماء من سماهم آباءهم رجاء ان يكون احدهم هو النبي المنتظر لاغير .

مرضعاته صلى الله عليه وسلم

اول من ارضعته ﷺ بعد امه ثويبة عتيقة ابي لهب ارضعته مع عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه وابي سلمة بن عبد الاسد بن هلال المخزومي احد السابقين الاولين واختلف في اسلامها وذكرها الحافظ ابن حجر في القسم الاول من الصحابيات في الاصابة . ثم ارضعته حليمة بنت ابي ذؤيب عبد الله بن الحارث من بني سعد بن بكر بن هوازن ثم من بني قيس عيلان بن مضر . وذلك انها قدمت مكة مع نسوة من قومها يلتمسون الرضعاء في سنة شهباء ومعها صبي وذلك عادة العرب لما يرجونه من المعروف والبر من اهليهم وكان اهل مكة يسترضعون اولادهم فيهم لفصاحتهم وليجمعوا للولد ما بين صحة البادية وفصاحتها وآداب الحضارة وملاحتها ، فعرض رسول الله ﷺ عليهن فأبينه لكونه يتيما وما بقيت امراة من صواحبها الا اخذت رضيعا غيرها فلما لم تجد غيره اخذته مدارجا في ثوب صوف

ابيض فأرضعته ثديها الايمن فشرب منه ثم حولته الى الايسر فأبى وكانت تلك حالته فذهبت به الى منازلهم في بنى سعد وظهر لهم من اليمن والبركه أثناء اقامته عندهم ومكث ﷺ عند حليمة السعدية الى أن أتم مدة الرضاع . وأول ما تكلم قال « الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا » وهذا الهام من الله تعالى .

ثم لما ترعرع كان يخرج الى الصبيان فيجدهم يلعبون فيتجنبهم وكانت حليمة لا تدعه يذهب بعيدا فغفلت عنه مرة فخرج مع اخته من الرضاع (الشفاء) فى الظهيرة الى البهم فخرجت حليمة تطلبه فوجدته مع أخته فقالت أفى هذا الحر تخرجا ؟ قالت أخته الشفاء يا أماه ما وجد أخى حراً رأيت الغمامه تظله ثم قدمت بحليمة وزوجها الحارث بن عبد العزى بن رفاعة السعدى على أمه وهما احرص شيء على مكثه عندهما لما رأيا من بركته فاستأذنا أمه فى بقائه عندهما فى بنى سعد فأعطته لهما فرجعا به وبعد رجوعه ببضعة أشهر خرج مع أخيه من الرضاع فى بهم لهم وراء البيوت فجاءه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه وشقا بطنه واستخرجا منه شيئا وطرحاه ثم رداه كما كان وختما بين كتفيه بخاتم النبوة فذهب أخوه الى أمه وزوجها وأخبرهما الخبر فخرجت حليمة وزوجها نحوه فوجداه قائماً مستنقع الوجه فالتزماه أمه وأبوه وقالا له مالك يا بنى ؟ فاخبرهما الخبر فاحتملاه وقد مابه على أمه فقالت لهما آمنة ما أقدمكما به يا ظئر وقد كنتما

حريصان عليه وعلى مكثه عندكما فقالت حليمة نعم قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى على وتخوفت الاحداث عليه فاديته عليك كما تحبين قالت ماهذا شأنك فاصدقينى خبرك فاخبرتها الخبر فقالت لها آمنة افتخوفت عليه الشيطان قالت نعم قالت آمنة كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وان لابنى لشأنا وذلك بعد ولادته بخمس سنين .

اخوانه من الرضاع

اخوانه من الرضاع سبعة (١) حمزة بن عبد المطلب رضع معه من ثويبة وستة رضعوا معه من حليمة السعدية وهم (٢) عبد الله بن الحارث (٣) أنيسة بنت الحارث (٤) جذامة الشماء بنت الحارث وهى التى أتى بها النبى ﷺ فى اسرى حنين فبسط لها رداءه ووهب لها اسرى قومها . والعواتك من سليم وهن (٥) عاتكة بنت هلال (٦) عاتكة بنت الاوقص ابن هلال (٧) عاتكة بنت فائح .

أعمامه وعماته

اعمامه ﷺ اثنا عشر ا كبرهم (١) الحارث (٢) ابو طالب (٣) الزبير (٤) ضرار (٥) حجل واسمه المغيرة (٦) القوم (٧) عبد الكعبة (٨) ابولهب واسمه عبد العزي (٩) قثم (١٠) الغيداق (١١) العباس (١٢) حمزة .

وعماته ﷺ ستة وهن (١) عاتكة (٢) بضاعة وهى ام حكيم (٣) برة (٤) اميمة (٥) اروي (٦) صفية .

وكان عبد الله والد النبى ﷺ وابوطالب واسمه عبد مناف ، والمقوم ، وعبد الكعبة ، والزبير ، وبضاعة ، واروى ، وبرة ، وعاتكه ، اخوة اشقاء وامهم فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم . وكان حمزة ، وحجل ، وصفية ، اشقاء وامهم هالة بنت وهيب بن عبد مناف بن زهرة . وكان العباس ، وضرار ، وقثم ، اشقاء وامهم نتيلة بنت جناب بن كليب بن النمير بن قاسط . وكان الحارث ، منفرداً وامه صفية بنت جندب بن حجير بن رئاب بن حبيب بن سوأة بن عامر بن مصعب . وكان ابولهب والغيداق ، اشقاء وامهم لبنى بنت هاجر بن خزاعة . وكان عبد الله والد النبى ﷺ هو عاشر اولاد عبد المطلب ثم ولد بعده العباس ، ثم حمزة ، ثم حجل .

فمجموع اولاد عبد المطلب ثلاثة عشر ولداً ذكراً وستة اناث وهذا اصح ما ورد فى ذلك واعتمده الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب .

وفاة أمه آمنة الزهريه

لما بلغ ﷺ ست سنين خرجت به امه آمنة الى اخوال جده عبد المطلب وهم بنوا عدى بن النجار بالمدينة تزورهم ومعها أم أيمن بركة الحبشية التي ورثها رسول الله ﷺ من ابيه فنزلت به دار

التابعة فاقامت به عندهم شهراً وكان قوم من اليهود ينظرون اليه ويقولون هو نبي هذه الامة وهذه دار هجرته فسمعت قولهم أم ايمن فأخبرت امه بذلك فرجعت به الى مكة فلما كانت بالابواء توفت امه آمنة الزهرية. فقدمت به ام ايمن مكة بعد موت امه بخمسة ايام وحضنته بعد امه وكانت ام ايمن (مربيته) وكان ﷺ يقول لها انت امى بعد امى

كفالة جده عبد المطلب له

ثم بعد وفاة امه آمنة كفله ﷺ جده عبد المطلب وكان يحبه حبا شديداً وكان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة لا يجلس عليه احد من اهل بيته ولا من اشراف قريش اجلالا لعبد المطلب فكان رسول الله ﷺ اذا اتى يجلس عليه فيأخذه اعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب دعوا ابنى يجلس فوالله ان له لشأنا وارجو ان يبلغ من الشرف مالم يبلغه عربى قبله ولا بعده وقال قوم من بني مدلج وهم القافة العراف بالآثار والعلامات لعبد المطلب احتفظ به فانا لم نر قدما اشبه بالقدم التى فى مقام ابراهيم منه وكان عبد المطلب لا يأكل طعاما الا يقول علي بابنى. وكان شديد التحفظ عليه لما سمعه من العراف والكهان وغيرهم.

وكان عبد المطلب قد وفد على الملك سيف بن ذى يزن الحميري ملك اليمن مع قريش فاختلى به الملك سيف بن ذي يزن وقال له: يا عبد المطلب انى مفض اليك من سرى على امراً لو غيرك يكون لم ابح له به ولكن رايتك معدنا

فاطلعتك طلعه فليكن عندك مخبأ حتى يأذن الله عز وجل فيه انى اجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي ادخرناه لانفسنا واحتجبناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما ، فيه شرف الحياة ، وفضيلة الوفاء ، للناس عامة ، ولرهطك كافة ، ولك خاصة : فقال عبد المطلب مثلك أيها الملك سر ، وبر فما هو فداك أهل الوبر ، زمراً بعد زمر قال : اذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة ، كانت الامامة ، ولكم به الزعامة ، الى يوم القيامة ، : فقال عبد المطلب أيها الملك ابت بخبر ما آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته من مساره اياى بما أزداد به سروراً . فقال الملك : هذا حينه الذى يولد فيه أوقد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه ، ويكفله جده وعمه ، قد ولدناه مراراً ، والله باعثه جباراً ، وجاعل له منا أنصاراً يعز بهم اولياءه ، ويذل بهم اعداءه ، ويضرب بهم الناس عن عرض ، ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد الرحمن ، ويدحض الشيطان ، ويخمد النيران ، ويكسر الاوثان ، قوله فصل ، وحكمه عدل ، يأمر بالمعروف ويفعله ، وينهى عن المنكر ويبطله : فقال عبد المطلب جد جدك ، ودام ملكك ، وعلا كعبك ، فهل الملك سارى بافصاح فقد وضح لى بعض الايضاح . قال الملك : والبيت ذى الحجب والعلامات على النقب ، انك لجده يا عبد المطلب ، غير كذب : فخر عبد المطلب ساجداً لله تعالى فقال الملك : ارفع رأسك ، ثلج صدرك ، وعلا كعبك ،

فهل أحسست بشيء مما ذكرت لك ؟ قال نعم أيها الملك انه كان لي ابن وكنت به معجبا وعليه رفيقا واني زوجته كريمة من كرائم قومي آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة فجاء بغلام فسميته محمداً ؛ مات أبوه وامه وكفلته أنا وعمه . فقال الملك ان الذي قلت لك كما قلت فاحتفظ على ابنك واحذر عليه من اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطو ما ذكرته لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فاني لست آمن ان تداخلهم النفاسة من ان تكون له الرياسة فينصبون له الحبائل ، ويبغون له الغوائل ، وهم فاعلون ذلك او ابناؤهم من غير شك ولولا اعلم ان الموت مجتاحي قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتي اصير بيثرب دار ملكه ، واستحكام امره ؛ واجل نصرته ، وموضع قبره ، ولولا اني اقيه الآفات ، واحذر عليه العاهات ، لاعلنت عن حداثة سنه امره ولمليت على اسنان العرب كعبه ولكن سأصرف ذلك اليك

ثم صار على ذلك عبد المطلب من التحفظ والكرامة برسول الله ﷺ و وصاية اولاده عليه الى ان ادركته الوفاة . فاوصى عليه عمه ابا طالب شقيق أبيه وكان مرض عبد المطلب من اصابة برد شديد فعولج ولم يفد العلاج .

وفاة عبد المطلب

لما بلغ رسول الله ﷺ ثماني سنين ادركت عبد المطلب الوفاة فجمع بناته الستة وهن صفية ، وبرة ، وعاتكة ، وام حكيم البيضاء واميمة وارو ي

فقال لهن ابكين على حتي اسمع ماتقلن قبل موتى فقالت (صهيبة) تبكيه :

ارقت لصوت نائحة بليل على رجل بقارعة الصعيد
ففاضت عند ذاكم دموعى على خدى كمنحدر الفريد
على رجل كريم غير وغل له الفضل المبين على العبيد
على الفياض شيبة ذى المعالى أبيك الخير وارث كل جود
صدوق فى المواطن غير نكس ولا شخت المقام ولا سنيد
طويل الباع أروع شيظمى مطاع فى عشيرته حميد
رفيع البيت أبلج ذى فضول وغيث الناس فى الزمن الحرود
كريم الجد ليس بذى وصوم يروق على المسود والمسود
عظيم الحلم من نفر كرام خضارمة ملاوثة أسود
فلو خلد امرؤ لقديم مجد ولكن لا سبيل الى الخلود
لكان مخلدا اخرى الليالى لفضل المجد والحسب التليد

وقالت (برة) بنت عبد المطلب تبكيه

أعينى جودا بدمع درر على طيب الخيم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرما ت وذى المجد والعز والمفتخر
وذي الحلم والفضل في النائبا ت كثير المكارم جم الفجر
له فضل مجد على قومه منير يلوح كضوء القمر
أتته المنايا فلم تشوه بصرف الليالى وريت القمر

وقالت (عاتكة) بنت عبد المطلب تبكيه

أعيني جودا ولا تبخلا بدمعكما بعد نوم النيام
أعيني واسحنفرا واسكبا وشوبا بكاءكما بالتدام
أعيني واستخرطا واسجما على رجل غير نكس كهام
على الجحفل الغمر فى النائبا ت كريم المساعي وفى الذمام
على شيبة الحمد وار الزنا د وذى مصدق بعد ثبت المقام
وسيف لدي الحرب صمصامة ومردى المخاصم عند الخصام
وسهل الخليقة طلق اليدين وف عدملى صميم لهام
تبنك فى باذخ بيته رفيع الذؤابة صعب المرام

وقالت أم (حكيم البيضاء) بنت عبد المطلب تبكيه

الا ياعين جودى واستهلى وبكي ذا الندى والمكرمات
الا ياعين ويحك اسعفيني بدمع من دموع هاطلات
وبكي خير من ركب المطايا أباك الخير تيار الفرات
طويل الباع شيبة ذى المعالى كريم الخيم محمود الهبات
وصولا للقرابة هبرزيا وغيثا في السنين الممحلات
وليثا حين تشتجر العوالى تروق له عيون الناظرات
عقيل بنى كنانة والمرجي اذا ما الدهر أقبل بالهنات
ومفزعها اذا ما هاج هيج بداهية وخصم المعضلات

فبكيه ولا تسمى بحزن وبكي ما بقيت الباكيات

وقالت (اميمة) بنت عبد المطلب تبكيه

الا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد وساقي الحجيج والمحامي عن المجد
ومن يؤلف الضيف الغريب ببيوته اذا ماسماء الناس تبخل بالرعد
كسبت وليدا خيرما يكسب الفتي فلم تنفكك تزداد ياشيبة الحمد
ابو الحارث الفياض خلى مكانه فلا تبعدن فكل حى الى بعد
فانى لباك مابقيت وموجع وكان له أهلا لما كان من وجد
سقاك ولى الناس فى القبر ممطرا فسوف ابكيه وان كان في اللحد
فقد كان زينا للعشيرة كلها وكان حميداً حيثما كان من حمد

وقالت (أروى) بنت عبد المطلب تبكيه

بكت عينى وحق لها البكاء على سمح سجيته الحياء
على سهل الخليقة أبطحي كريم الخيم نيته العلاء
على الفياض شيبة ذى المعالى أبيك الخير ليس له كفاء
طويل الباع أملس شيظمي أغر كأن غرته ضياء
أقب الكشح اروع ذى فضول له المجد المقدم والسناء
أبي الضيم أبلج هبرزي قديم المجد ليس به خفاء
ومعقل مالك وربيع فهر وفاضلها اذا النعس القضاء
وكان هو الفتى كرما وجوداً وبأسا حين تنسكب الدماء

اذا هاب الكماة الموت حتي كان قلوب أكثرهم هواء
مضى قدما برى ربد خشيب عليه حين تبصره البهاء

فاشار عبد المطلب اليهن برأسه وقد أصمت ان هكذا فابكينني وتوفى وعمره مائة واربعون سنة ودفن بالحجون . قالت أم أيمن رأيت رسول الله ﷺ يبكي خلف سرير جده ذكره الحافظ السخاوى .

كفالة عمه أبى طالب

بعد وفاة جده ﷺ عبد المطلب حسب وصاينه كفله عمه ابو طالب واسمه عبد مناف وكان يحبه حباً شديداً أكثر من أولاده فكان ينام بجنبه وكان يخصه بأحسن الطعام ويعزه ، ويكرمه ، ويبالغ فى تبجيله ويقدمه على كل شيء

ولما قحطت قريش أتت أبا طالب فقالت له قم فاستسق فخرج أبو طالب ومعه رسول الله ﷺ حتى أتى الكبة فالصق ظهر رسول الله ﷺ بالكعبة فلاذ باصبعه فاقبلت السحب من كل الجهات وسقوا واخصبت الارض من بعد جدبها ولذلك قال ابو طالب :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

الرحلة الاولى الى الشام

كانت قريش ترحل كل سنة رحلتين رحلة الشتاء الى اليمن لانها أدفأ ورحلة الصيف الى الشام كما تقدم فيمتارون وينجرون حيث ان الحرم بواد غير ذى زرع ولم تكن لقريش حرفة يعيشون منها غير التجارة .

فلما بلغ رسول الله ﷺ اثنتي عشرة سنة خرج عمه ابوطالب الى الشام فى تجارة قريش واخذ معه رسول الله ﷺ حرصاً عليه فلما بلغ من سفره (بصرى) بأرض الشام رآه (بحيرا) الراهب واسمه جرجيس وهو من عبد القيس كان حبراً من يهود (تيماء) فعرف النبي ﷺ بصفته الموضحة فى كتبهم فاضاف قريشاً وكثيرا ما يمرون به قبل ذلك ولا يكلمهم فقال لهم انى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش فأنا أحب ان تحضروا كلكم ،صغيركم وكبيركم، وعبدكم، وحركم،فقال له رجل منهم والله يابحيرا ان لك لشأنا اليوم ما كنت تصنع هذا بنا ، وقد كنا نمر بك كثيراً فما شأنك اليوم فقال له بحيرا صدقت وقد أحببت أن أكرمكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنة فى رحالهم فلما نظر بحيرا فى القوم ولم يرتلك الصفة قال يا معشر قريش لا يتخلف أحدمنكم عن طعامى فقام أحد القوم واحضر النبي ﷺ فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديداً و سأله عن أشياء فاخبره ﷺ عما سأله عنه فقال بحيرا لابى طالب ما هذا الغلام منك؟ قال ابنى قال ماهو ابنك وما ينبغى لهذا الغلام ان يكون أبوه حياً قال فانه ابن أخى قال فما فعل أبوه ؟ قال مات وأمه حبلى به قال صدقت فما فعلت أمه ؟ قال توفيت قريبا قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه اليهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغينه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم لما نجده فى كتبنا

ورويناه عن آبائنا واعلم أنى قد أديت اليك النصيحة فاسرع به الى بلده . فبينماهم كذلك اذ أقبل نفر من أهل الكتاب وهم (زريرا) و (تماما) و (دريسا) فرأوا من رسول الله ﷺ ما رأى بحيرا فارادوا به سوءا فردهم بحيرا وذكرهم الله وما يجدونه فى الكتاب من ذكره وصفاته وأنهم ان أجمعوا لما أرادوا لا يخلصوا اليه . فعند ذلك تركوه وانصرفوا عنه . فرده ابو طالب الى مكة فازدادت شفقته به واشتد تحفظه عليه . وانشد ابو طالب فى ذلك شعرا منه

فما رجعوا حتى رأوا من محمد أحاديث تجلوا غم كل فؤاد
وحتى رأوا أحبار كل مدينة سجوداً له من عصبة وفراد
زريراً وتماما ، وقد شاهدا دريسا ، وهموا كلهم بفساد
فقال لهم قولا بحيرا ويقنوا له بعد تكذيب وطول بعاد
كما قال للرهط الذين تهودوا وجاهدهم فى الله كل جهاد
فقال ولم يترك له النصح رده فان له ارصاد كل مضاد
فانى أخاف الحاسدين وانه لفى الكتب مكتوب بكل مداد

حرب الفجار

سميت حرب الفجار لوقوعها فى الشهر الحرام حيث كانت العرب تحترم الشهور الحرم احتراما دينيا حتى ان الرجل اذا رأى قاتل أبيه أو ابنه فى الاشهر الحرم لم يتعرضه بسوء

وحرب الفجار وقعت بين العرب فى الاشهر الحرم اربع مرات :

(المرة الاولى) كان عمر النبي ﷺ عشر سنين وسبب وقوعها ان (بدر) بن معشر الغفاري كان له مجلس بسوق عكاظ يجلس فيه ويفتخر على الناس فبسط يوماً رجله وقال أنا أعز العرب فمن زعم انه أعز منى فليضربها بالسيف فوثب عليه رجل فضربه بالسيف على ركبته فشجها فاقتتلوا .

(والمرة الثانية) بينما كانت امرأة من بنى عامر جالسة بسوق عكاظ فاطاف بها شاب من قريش من بني كنانة فسألها أن تكشف وجهها فأبت فجلس خلفها وهى لاتشعر وعقد ذيلها بشوكة فلما قامت انكشف دبرها فضحك الناس فنادت المرأة يا آل عامر فثارت بالسلاح ونادى الشاب يا بنى كنانة فاقتتلوا .

(والمرة الثالثة) كان لرجل من بنى عامر دين على رجل من بنى كنانة فمطله فجرت بينهما مخاصمة فاقتتل الحيان فتحمل الدين عبد الله ابن جدعان فى ماله .

(والمرة الرابعة) وقعت فى اليوم الرابع عشر من شهر شوال وكان قد بلغ رسول الله ﷺ أربعة عشر سنة وسببها ان عروة الرحال من هوازن أجار لطيمة للنعمان بن المنذر وكان يرسل تلك العير بتجارة لتباع فى سوق عكاظ ويشترى له بثمنها أدم الطائف وكان يترك تلك اللطيمة

فى جوار رجل من أشراف العرب واللطيمة هى الجمال التي تحمل العطر والبز وغيرها لا تسمي لطيمة . فلما جهز اللطيمة كان عنده جماعة من العرب فيهم البراض بن قيس أحد بنى ضمرة الكنانى ، وعروة الرحال ابن عتبة من هوازن فقال (البراض) أنا اجيرها على بنى كنانة فقال النعمان ما أريد الا من يجيرها على اهل نجد وتهامة . فقال عروة الرحال انا اجيرها لك فقال له البراض أتجيرها على كنانة ؟ فقال نعم وعلى أهل الشيح والقيصوم وشتم البراض . فخرج عروة الرحال مسافرا ، وخرج البراض خلفه يطلب غفلته حتى اذا كان بتيمن ذى طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله وأنشأ البراض فى ذلك .

وداهية نهم الناس قبلى شددت لها بنى بكر ضلوعى
هدمت بها بيوت بني كلاب وارضعت الموالى بالضروع
رفعت له بذى طلال كفى فخر يميد كالجذع الصريع

وقع ذلك فى الشهر الحرام فأتى آت كنانة وهم بعكاظ مع هوازن فاخبرهم الخبر فانطلقوا وهو ازن لاتشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم وأدركوهم قبيل دخول الحرم فاقتتلوا حتي جاء الليل ودخلوا الحرم فأمسكت عنهم هو ازن ثم التقوا بعد هذا اليوم وعاونت قريش كنانة ومكث القتال بينهم ستة ايام ولما اشتد الحرب بينهم قيد امية ، وحرب (أبنا أمية بن عبد شمس) و ابوسفيان بن حرب أنفسهم كيلا يفروا وكان ابو طالب يحضر ايام الفجار ومعه رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يساعد اعمامه بالنبل وطعن

أبا براء ملاعب الاسنة وكان رئيس بنى قيس وحامل رايتهم فى تلك الحرب ثم تواعدوا للعام المقبل بعكاظ فلما كان العام المقبل جاؤا للوعد وكان امر قريش و كنانة الى عبد الله بن جدعان فخرج عتبة بن ربيعة بن عبد شمس على بعير بين الصفين ينادي يامعشر مضر علام تقاتلون ؟ قالت له هوازن ما تدعو اليه قال الصلح الصلح على ان ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا قالوا وكيف ؟ قال ندفع لكم رهنا منا الى ان نوفى لكم ذلك قالوا ومن لنا بهذا ؟ قال انا قالوا ومن انت ؟ قال انا عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضيت به هوازن و كنانة وقريش ودفعوا الى هوازن اربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام وهو ابن اخى خديجة بنت خويلد رضي الله عنها فلما رات هوازن في ايديهم الرهن عفوا عن الدماء واطلقوهم و بذلك انقضت حرب الفجار .

حلف الفضول

وقع حلف الفضول فى شهر ذى القعدة سنة أربعة عشر من ولادته ﷺ بعد نهاية حرب الفجار وسبب ذلك ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل وكان ذا قدر بمكة وشرف فامتنع من دفع قيمتها له فذهب الزبيدى الى الاحلاف من قريش عبد الدار ومخزوم ، وجمح ، وسهم ، وعدى بن كعب ، والتجأ بهم فأبوا أن يعينوه على العاص بن وائل وانتهروه فلما رأى الزبيدي الشر صعد على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى انديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام الزبير بن عبد المطلب وقال ما لهذا مترك ؟ فاجابه بنو هاشم ، وبنو زهرة ، وبنو أسد بن عبد العزى ؛ واجتمعوا فى دار عبد الله بن جدعان التميمى لشرفه وكبر سنه وكان أكرم رجل فى قريش كان يذبح كل يوم فى بيته جزورا وينادي مناديه من أراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يصنع لهم الفالوذج وهو افخر الحلوى فى ذلك العصر وحضر مائدته رسول الله ﷺ وهو غلام فتحالفوا على أن يردوا الفضول على أهلها — وهو ما يؤخذ ظلما — وان لا يقروا ظالما على ظلمه (ما بل بحر صوفه ، وما رسا حراء ، وثبير مكانيهما) وحراء ، وثبير جبلان باعلا مكة وهذا العهد قصدهم منه التأييد وكان رسول الله ﷺ معهم فى هذا الحلف وقال ﷺ « ما أحب أن لى بحلف حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم ولو دعى به في الاسلام لاجبت » ثم مشوا الى العاص بن وائل وانتزعوا منه سلعة الزبيدى ودفعوها اليه وقال الزبير بن عبد المطلب عم النبي ﷺ فى ذلك .

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا الا يقيم ببطن مكة ظالم
أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا فالجار والمعتر فيهم سالم

فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول وقالوا لقد دخل هؤلاء فى فضل من الامر . و بقى حلف الفضول الى البعثة فاذا وقع ظلم على احد قام المتحالفون بنصرة المظلوم . قال ابن الاثير فى النهاية حلف الفضول سمى به تشبيها بحلف كان قديما بمكة أمام جرهم على التناصف والاخذ للضعيف من القوى والغريب من القاطن قام به رجال من جرهم كلهم يسمى الفضل منهم الفضل بن الحارث والفضل بن وداعة، والفضل بن فضالة .

سفره (ﷺ) بتجارة لخديجه بنت خويلد

لما بلغ رسول الله ﷺ خمسا وعشرين سنة من عمره قال له عمه ابو طالب يا ابن أخي انا رجل لا مال لى وقد اشتد الزمان والحت علينا سنون منكرة شديدة الجدب وليس لنا مادة ولا تجارة وهذه عير قومك قد حضر خروجها الى الشام وخديجة بنت خويلد تبعث رجلا من قومك فى عيرانها فيتجرون لها فى مالها ويصيبون منافع فلو جئتها فوضعت نفسك عليها لاسرعت اليك وفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وان كنت لا كره ان تأتي الشام واخاف عليك من يهودها ولكن لا نجد لك من ذلك بداً . فقال له رسول الله ﷺ « فلعلها ان ترسل الى في ذلك » فقال ابو طالب انى اخاف ان تولى غيرك فتطلب امرا مدبرا فافترقا فبلغ خديجة رضى الله عنها ما كان من محاورة عمه ابى طالب له فقالت ما علمت انه يريد هذا ثم ارسلت اليه ﷺ فقالت له : انى دعاني الى البعثة اليك

ما بلغني من صدق حديثك ، وعظيم امانتك ، وكرم اخلاقك ، وانا اعطيك ضعف ما اعطى رجلا من قومك : ففعل رسول الله ﷺ ولقى عمه ابا طالب فذكر له ذلك فقال ابو طالب ان هذا الرزق ساقه الله اليك فخرج ﷺ مع ميسرة غلام خديجة يريد الشام وقالت خديجة لميسرة لا تعصى له امرا ولا تخالف له رأيا . وجعل عمومته يوصون به أهل العير فسار ﷺ فى السادس عشر من شهر ذى الحجة سنة خمس وعشرين من ولادته حتى بلغ سوق بصري فنزل تحت ظل شجرة قريبة من صومعة (نسطورا الراهب) فاطلع نسطورا الى ميسرة وكان يعرفه فقال يا ميسرة من هذا الذى تحت هذه الشجرة فقال رجل من قريش من أهل الحرم . فقال الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة بعد عيسى عليه السلام الا نبي . فأتى نسطورا النبى ﷺ وقال له يامحمد قد عرفت فيك العلامات كلها الدالة على نبوتك المذكورة فى الكتب القديمة خلا خصلة واحدة فأوضح لى عن كتفك . فأوضح له رسول الله ﷺ عن كتفه فاذا بخاتم النبوة يتلألأ فأقبل عليه يقبله ويقول أشهد انك رسول الله النبي الامي الذى بشر بك عيسى فانه قال لا ينزل بعدى تحت هذه الشجرة الا النبي الأمي الهاشمى العربى ، المكي صاحب الحوض ، والشفاعة ، ولواء الحمد ، فحضر رسول الله ﷺ سوق بصرى فباع سلعته ورجع الى مكة وكان وصوله في ساعة الظهيرة وكانت خديجة فى عالية مشرفة فرأت رسول الله ﷺ وهو على بعير

وملكان يظلانه فدخل عليها رسول الله ﷺ وأخبرها بما رأيا فسرت بذلك وأخبرها ميسرة بما سمعه من (نسطورا) الراهب وما رآه من علامات النبوة ومن اظلال الشجرة والملكين فباعت خديجة ما جاء به وربحت ضعف ما كانت تربحه وأضعفت لرسول الله ﷺ ما سمته له من الاجرة وكانت أربع بكرات . وروى الحاكم ان خديجة أستأجرته ﷺ سفرتين الى (جرش) وهى بلدة باليمن كل سفرة (بقلوص) والقلوص الشابة من النوق .

زواجه على خديجة

هى خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشية الاسدية تجتمع مع رسول الله ﷺ فى قصى . وأمها فاطمة بنت زائدة ابن الاصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤى . وكانت خديجة رضى الله عنها تدعى فى الجاهلية الطاهرة ذات شرف ، وجمال ، ومال وكانت أغنى قريش فكانت نصف عيرها لها فتوفى والدها خويلد قبل حرب الفجار وكانت خديجه رضى الله عنها تحت (النباش) ويكنى بابى هالة ابن زرارة التميمى فولدت له هنداً وهو من الصحابة وهالة ، وهما ذكران ومات النباش فى الجاهلية ثم بعد موته تزوجت (عتيق) بن عابد المخزومى فولدت له بنتاً اسمها (هند) اسلمت وصحبت النبي ﷺ ولما تأيمت خديجة رضي الله عنها كان اشراف قريش يعرضون أنفسهم عليها

رغبة فى زواجها لما لها من المجد ، والسؤود ، والفخار ، والوقار ، والطهارة ، والصيانة ، والرزانة ، وما انطوت عليه من مكارم الاخلاق ، والمال ، والجمال ، وفوق ذلك كانت صاحبة عقل ، ودراية ، وحزم ، وعزم ، وجلاد على الامور الصعاب ، فلم تكن فى قريش امرأة تضاهيها فى فضائلها التى لا تحصى وكانت حريصة على الاقتران برسول الله ﷺ أشد من حرص قريش على الزواج بها وسبب ذلك أنها كانت مع نساء قريش فى بعض اعيادهم مجتمعن اذ جاءهن يهودى فقال يا معشر نساء قريش انه يوشك فيكن نبي فاينكن استطاعت ان تكون فراشا له فلتفعل فخصبنه بالحجارة وقبحنه واغلظن له ، وأغضت خديجة على قوله ولم تعرض فيما عرض فيه النساء ووقر ذلك في نفسها فلما سافر النبي ﷺ فى تجارتها مع ميسرة ورجع بربح وافر واخبرها ميسرة عما شاهده من علامات النبوة وما سمعه من بحيرا ونسطورا ، وما شاهده حال قدومه فذكرت ذلك لابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد تنصر وتتبع الكتب وعلم من علم الناس فقال ورقة لئن كان هذا حقا يا خديجة ان محمداً لنبي هذه الامة وقد عرفت أنه كائن لهذه الامة نبى ينتظر هذا زمانه . فلم تر خديجة بد امن ارسال الوسائط اليه فأرسلت نفيسة بنت منية أخت يعلى بن أمية بن ابي عبيدة بن همام بن الحارث التميمى الحنظلى حليف قريش (دسيسا) تعرض عليه نكاحها . فقالت له نفيسة ما يمنعك أن تتزوج فقال رسول الله ﷺ ومافى يدى ما أتزوج به قالت فان كفيت ودعيت الى المال ، والجمال

والكفاءة ، والشرف ، الا نجيب ؟ قال فمن هى ؟ قالت (خديجة) ، قال وكيف لى بذلك ؟ فذهبت نفيسة فاخبرت خديجة بذلك فارسلت اليه خديجة وقالت له يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك ، وامانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ، وارسلت الى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فذكر رسول الله ﷺ ذلك لاعمامه فخرج معه حمزة ، وابو طالب ، حتي دخلوا على عمها عمرو بن اسد بن عبد العزى بن قصى فخطبها اليه أبو طالب فقال عمرو بن أسد : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب يخطب خديجة بنت خويلد هذا الفحل لايقدع أنفه : فحضر ابو بكر الصديق ، ورؤساء مضر ، العقد وخطب أبوطالب فقال : الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ، وزرع اسماعيل ، وضئضىء معد ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسواس حرمه ، وجعل لنا بيتا محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم ان ابن أخى هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به شرفاً ، ونبلا ، وفضلا ، وعقلا ، فان كان فى المال قل ، فان المال ظل زائل ، وامر حائل ، وعارية مسترجعة ، و (محمد) من قد عرفتم قرابته ، وقد خطب (خديجة) بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما آجله وعاجله كذا وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم ، وخطر جليل جسيم : فاجابه ورقة بن نوفل فقال : الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت ، وفضلنا على ما عددت ، فنحن سادة العرب ، وقادتها ، وانتم أهل ذلك كله لاتنكر

العشيرة فضلكم ، ولا أحد من الناس فخركم ، وشرفكم ، وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم ، وشرفكم ، فاشهدوا علي معاشر قريش بانى قد زوجت خديجة بنت خويلد ، محمد بن عبدالله علي كذا : فقال ابو طالب قد احببت ان يشركك عمها عمرو بن أسد فقال عمرو بن أسد : اشهدوا على يا معشر قريش أني قد انكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد : فقبل النبى ﷺ النكاح واشهد على ذلك صناديد قريش واصدقها اثنى عشرة أوقية ونشا — والنش نصف اوقية والاوقية أربعون درهما — فقال ابن هشام أصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة . واولم ﷺ بجزورين واطعم الناس وأمرت خديجة جواريها ان يرقصن ويضربن بالدفوف . وفرح ابوطالب فرحاً شديداً وقال : الحمد لله الذى اذهب عنا الكرب ، ودفع عنا الغموم : وهى أول وليمة أولمها رسول الله ﷺ وكان زواجه بعد مجيئه من الشام بشهرين وعمره اذ ذاك خمسة وعشرون سنة وعمر خديجة رضى الله عنها اربعون سنة فعاشرتها احسن عشرة ، وافضل رفقة ، واعظم الفة ، واصدق محبة ، وكانت لاترى منه ميلا الى شيء الا بادرت به اليه وقدرأت قبل البعثة ميله الى زيد بن حارثة مولاها فوهبته له وكانت هى السبب فيما امتاز به زيد من سبقه بالاسلام وكانت اذا رأته تأخر عن الغذاء تلتمسه بأعلا مكة ومعها غذاؤه وكانت أشد الناس خشية عليه ممن يريد اغتياله وكان ﷺ يثنى عليها مالم يثن على غيرها وكان يسكن اليها ويقول « والله ما أبدلنى الله خيرا منها

آمنت اذ كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى منها الله الولد دون غيرها من النساء» وكان اذا ذبح الشاة يقول أرسلوا الى أصدقاء خديجة وكان يحب حبيبها وكان لايسمع من المشركين شيئاً يكرهه من رد عليه وتكذيب له الا فرج الله عنه بها تثبته وتصدقه وتخفف عنه وتهون عليه ما يلقى من قومه ولذلك صارت من خير نساء العالمين وبشرت بقصر فى الجنة وتبلغت السلام من رب العالمين .

وهكذا كانت عشرته ﷺ معها رضي الله عنها

أولاده ﷺ منها

ولدت خديجة رضى الله عنها لرسول الله ﷺ ولدان ذكران وهما (القاسم) وبه كان يكني وهو أول مولود له ﷺ ومات صغيراً وعمره نحو سنتين وهو اول من مات من أولاده و (عبد الله) وكان يقال له الطيب الطاهر لانه ولد فى الاسلام بمكة ومات صغيراً . وأربع بنات كلهن أدركن الاسلام وهاجرن أولهن (زينب) وهى أكبر بناته ولدت سنة ثلاثين من ولادته ﷺ وأول من تزوج منهن زوجها على ابن خالها أبا العاص بن الربيع العبشمى أسلم فى المحرم سنة سبع من الهجرة فولدت له عليا ومات بعد ان ناهز الحلم ، وأمامة ، فتزوجها على ابن ابى طالب رضي الله عنه بعد فاطمة الزهراء رضى الله عنها بنت رسول الله ﷺ وماتت زينب فى أول سنة ثمان من الهجرة .

الثانية (رقية) زوجها على عثمان بن عفان رضى الله عنه وهى أم ابنه عبدالله ولدته له فى الحبشة حين هاجروا اليها وماتت بمرض الحصبة فى أواخر رمضان سنة اثنين من الهجرة . الثالثة (أم كلثوم) زوجها رسول الله ﷺ على ابن عمه عتبة بن أبى لهب قبل البعثة ولم يدخل عليها حتي بعث رسول الله ﷺ فامره أبوه بفراقها . ثم تزوجها عثمان بن عفان رضى الله عنه بعد موت أختها رقية وذلك فى ربيع الاول سنة ثلاث من الهجرة وماتت عنده فى شعبان سنة تسع ولم تلد له .

الرابعة (فاطمة الزهراء) سيدة نساء العالمين ولدت سنة احدى وأربعين من مولده ﷺ قبل الهجرة باثنتي عشرة سنة وزوجها على علي بن أبى طالب رضى الله عنه في أوائل المحرم سنة اثنين من الهجرة وأصدقها درعه فولدت له الحسن ، والحسين ، ومحسن ، وتوفيت ليلة الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان سنة احدى عشر من الهجرة .

بناء الكعبة

أول من بنى الكعبة آدم عليه السلام بأمر إلهى فمر عليها الدهر فانهدمت . ثم بناها نبي الله شيث فمر عليها الدهر فانهدمت ولم يبق من آثارها الا أكمة مرتفعة . ثم بناها ابراهيم وابنه اسماعيل عليهما الصلاة والسلام فى موضع الاكمة فبلغ ابراهيم من الحفر فى تلك الاكمة حتي رأى أساس آدم فبناها بحجارة بعضها على بعض حتي بلغ ارتفاعها عن الارض

ذراعين فجاء جبريل عليه السلام بالحجر الاسود فوضعه فى الركن الشرقى منها ثم ارتفع بالبناء طوله فجاء اسماعيل بحجر المقام فالصقه بالبيت وعلى عليه ابراهيم الى ان انتهى البناء ولم يجعل لها سقفاً وجعل ارتفاعها تسعة أذرع وطولها من الجنوب الى الشمال مما يلي جهة الشرق سبعة وعشرون ذراعا بذراع اليد وكذا من الجنوب الى الشمال مما يلى جهة الغرب وأدخل فيها حجر اسماعيل وعرضها من الشرق الى الغرب مما يلى جهتي الجنوب والشمال احدى وعشرون ذراعا .وجعل لها بابين متقابلين أحدهما في الجهة الشرقية مما يلى الحجر الاسود والثاني فى الجهة الغربية مما يلى الركن اليمانى وجعلهما لاصقين بالارض وحفر في جوفها بئرًا قريبا من الجهة الشمالية جعلت خزانة للبيت يلقى فيها ما يهدى للبيت ولم تكن الجهات الاربع مقابلة كل المقابلة للشرق والغرب والشمال والجنوب بل هناك ميل جزئى فجهة الباب الى الشرق اقرب منها الى الشمال وكذلك حجر اسماعيل اقرب الى الشام من الغرب وهكذا الجهات الاخرى .

فلما فرغ ابراهيم من البناء جاءه جبريل وأراه المناسك كلها ثم قام ابراهيم على المقام وقال (رب اجعلنى مقيم الصلاة ومن ذريتى ربنا وتقبل دعاء) ثم أمر بأن يدعو الناس للحج (وأذن فى الناس بالحج ياتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) فقال : يا أيها الناس أجيبوا ربكم : فوقف ابراهيم واسماعيل تلك المواقف وحجه اسحاق وسارة من

بيت المقدس . ثم رجع ابراهيم الى الشام فمات بها . ثم مات اسماعيل بعده ودفن فى الحجر وقبره تحت ميزاب الكعبة فمر على الكعبة الدهر فانهدمت فبناها العمالقة لما استولوا على مكة . فمر عليه الدهر فانهدمت فبناها الحارث بن مضاض الاصغر الجرهمى لما استولت جرهم على مكة . فمر عليها الدهر فانهدمت فبناها قصي لما استتب له الامر على مكة وجمع قبائل قريش . وكل هذا البناء رضما بغير مدر ولا سقف وكان ارتفاعها قدر القامة . وكانت ثيابها توضع عليها تسدل سدلا . وكانت ذا ركنين من الجهه الجنوبية وهو الركن الذى فيه الحجر الاسود والركن اليمانى ومن الجهة الشمالية على شكل نصف دائرة مما يلى حجر اسماعيل على شكل الحجر الآن .

ثم قبل البعثة بخمس سنين تشاورت قريش فى هدم الكعبة و بنائها وذلك ان أمراة من قريش أرادت أن تجمر الكعبة (تبخرها) فطارت شرارة من مجمرتها على كسوة الكعبة فاحترقت ثم بعدها اعتراها وهن وداهمتها السيول حتي تهدم معظمها و بذلك تمكن (دويك) مولى لبنى مليح بن عمرو من خزاعة فسرق كنزها فقطعت قريش يده فلما اجمعوا أمرهم على هدمها هابو الهدم خشية أن ينزل عليهم بلاء من السماء قال الوليد بن المغيرة المخزومى ان الله لا يهلك من يريد الاصلاح فقالوا من الذي يعلوها فيهدمها قال أنا أعلوها وانا اهدمها فأخذ المعول وارتقى على ظهر الكعبة ومعه العباس بن عبد المطلب فقال اللهم لا نريد الا الاصلاح ثم هدم فلما رأوه سالما لم يصب ببلاء تابعوه فهدموا حتي انتهى بهم الهدم الى

أساس ابراهيم وقد افضوا الى حجارة خضر كاسنمة الابل آخذ بعضها على بعض فأدخل رجل منهم عتلته بين حجرين منها ليقتلعها فوقعت رجة وبرق من تحت الحجر برق فتركوا ذلك الاساس فوجدوا حجراً ذا ثلاثة اوجه عند الركن مكتوب فيه بالسريانية فقراه لهم رجل من اليهود فوجدوا فى الوجه الاول (انا الله ذو بكة صغتها يوم صغت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حفناء لاتزول حتي يزول اخشباها — وهما جبلان معروفان بين مزدلفة وعرفة — مبارك لاهلها فى الماء واللبن) ووجدوا فى الوجه الثانى (انا الله ذو بكة خلقت الرحم واشتققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته) وفى الوجه الثالث (انا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبي لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه) وفى اثناء ذلك أقبلت سفينة من الروم حتي اذا كانت قريبا من جدة انكسرت فعلمت قريش ذلك فخرجت لتأخذ خشبها فوجدوا الرومى الذي فيها نجاراً وبناء اسمه (باقوم) فقدموا به وبخشب السفينة فلما انتهت قريش من الهدم وارادت الشروع فى البناء قال لهم ابووهب بن عمرو بن عائذة المخزومى لاتدخلوا فيه من كسبكم الا طيباً ولاتدخلوا فيه مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة واشار عليهم ان ينقسموا اربعة اقسام فكان شق الباب لعبد مناف وزهرة . وكان بين الركن الاسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش وكان ظهر الكعبة من الجهة الغربية لبنى جمح

و بنى سهم ابني عمرو بن حصيص . وكان شق الحجر لبنى عبد الدار و بني أسد و بني عدي . فانفردت قريش رجلين رجلين ينقلان الحجارة . وكان النبي ﷺ مع عمه العباس ينقلان الحجارة من أجياد ، فبنوها مدما كا من خشب الساج ومدما كا من الحجارة فلما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود اختصمت قريش فى نقل الحجر الاسود الى موضعه تريد كل قبيلة منهم ان تختص برفعه واستعدت كل قبيلة منهم للقتال ومكث النزاع بينهم أربعة أيام ثم اجتمعوا فى المسجد الحرام فقال أبو أمية بن المغيرة وكان أسن قريش كلها يومئذ ومن أجوادها المشهورين بالكرم: يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فاتفقوا على ذلك فكان أول داخل منه رسول الله ﷺ فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد فلما انتهى اليهم أخبروه الخبر فوضع ﷺ ازاره وبسطه فى الارض فأخذ الحجر الاسود فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا فكان فى ربع عبد مناف عتبة بن ربيعة ، وكان فى ربع بنى مخزوم زمعة وكان فى الربع الثالث ابو حذيفة بن المغيرة ، وكان فى الربع الرابع قيس بن عدى حتي اذا بلغوا به موضعه وضعه ﷺ في محله بيده الشريفة . ثم بنوها حتي تم بناءها فكان ارتفاعها ثمانية عشر ذراعا واقتصروا من الحجر نحو ستة أذرع ونصف لقصور النفقة التي جمعوها من المال الحلال وجعلوا طولها نحو احدى

وعشرون ذراعا وجعلوا لها بابا واحدا من الجهة الشرقية ورفعوه عن الارض كما هو عليه اليوم . فكانهم زادوا فى ارتفاعها عن بناء ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام . تسعة أذرع وأنقصوا من طولها مما يلى جهة حجر اسماعيل ستة أذرع ونصف وجعلوا لها بابا واحدا ورفعوه عن الارض وسقفوها وكان ذلك قبل البعثة بخمس سنين وبقيت على هذا البناء الى خلافة عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما ثم لما قدم مكة الحصين بن نمير بجيش اليزيد بن معاوية لقتال عبد الله بن الزبير وحاصروه فى المسجد الحرام نصبوا المنجنيق على جبل أبى قبيس وعلى جبل قعيقعان ورموه بها فاصيبت الكعبة وانحرقت ثيابها وسقفها وتهدم معظمها . ثم لما مات اليزيد رجع جيشه وذلك فى ربيع الآخر سنة أربع وستين ورأى عبد الله بن الزبير ما وقع فى الكعبة من الحريق والتهدم حتي ان الطير اذا وقع عليها تناثر حجرها تشاور مع من حضر وفيهم عبدالله بن عباس رضي الله عنهما فى هدمها فهابو هدمها وقالوا نرى أن يصلح ما وهي ولا تهدم فقال عبد الله بن الزبير لو ان بيت أحدكم أحرق لم يرض له الا باكمل اصلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها . فاستخار الله تعالى ثلاثا ثم عزم على نقضها ونحاماها الناس حتي صعد عليها عبد الله بن الزبير فالقى منها حجارة ثم تنابعوا فنقضوها حتي بلغوا بها قواعد ابراهيم عليه الصلاة والسلام وجعل ابن الزبير حول الكعبة أعمدة من خشب وستر عليها بالستور

كي يطوف الناس من خلفها ثم عزل من حجارتها ما يصلح للبناء ومالا يصلح حفر له فى جوف الكعبة فدفنه وسأل خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عما أنقصته قريش من حولها فقالت رضي الله عنها ان النبي ﷺ قال لها « يا عائشة لولا ان قومك حديثوا عهد بجاهلية لامرت بالبيت فهدم فادخلت فيه ما أخرج منه والزقته بالارض وجعلت له بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فبلغت به أساس ابراهيم » فأتبع ابن الزبير قواعد ابراهيم من نحو الحجر فلم يصب شيئا حتي شق عليه فأمر فحفر قامة ونصف قامة فادركوا قواعد ابراهيم فنزل ابن الزبير فى الحفرة وكشفوا له عن قواعد ابراهيم وهي صخر أمثال الخلف من الابل — وهى الحامل من الابل — فانفضوا له أي حركوا تلك القوائد بالعتل فنفضت قواعد البيت وتحركت ورأوه بنيانا مربوطاً بعضه ببعض فحمد الله وكبره ثم أحضر الناس فامر بوجوههم واشرافهم فنزلوا حتي شاهدوا ما شاهده ورأوا بنيانا متصلا فاشهدهم على ذلك وتركها مكشوفة ثمانية أيام ليشهدها العموم . فبناها بعد ذلك على قواعد ابراهيم وادخل فيها من الحجر ستة اذرع ونصف وجعل لها بابين متقابلين ملاصقين بالارض احدهما شرقى مما يلى الحجر الأسود والاخر غربي مما يلي الركن اليمانى وجعل ارتفاعها سبعة وعشرين ذراعا وسقفها ونمم بناؤها سنة خمس وستين من الهجرة . ولما قتل ابن الزبير كتب الحجاج بن يوسف الثقفى الى عبد الملك بن

مروان يخبره ان ابن الزبير قد وضع البيت الحرام على أس نظر العدول من اهل مكة اليه . فكتب اليه عبد الملك انا لسنا من تلطيخ ابن الزبير فى شيء اما مازاد فى طولها فأقره ؛ وما ما زاد فيه من الحجر فرده الى بنائه وسد بابه الذي فتحه فبادر الحجاج فاقتطع الذى زيد من الحجر فرده الى بنائه وسد بابه الذى فتحه و رفع بابها الشرقى اربعة اذرع وشبرا وبنى الدرج الذى فى جوف الكعبة المصعد الى سطحها . ثم ان عبدالملك بن مروان ندم على اذنه للحجاج ولعنه وقال وددنا انا تركنا ابا خبيب وما تولى من ذلك . وكان ذلك سنة ثلاث وسبعين من الهجرة . وبقيت الكعبة على هذا البناء .

ثم فرشها بالرخام الوليد بن عبدالملك — وهو اول من فرشها بالرخام — ثم ان الخليفة هارون الرشيد أراد ان يعيد الكعبة على مافعله ابن الزبير فناشده الامام مالك بن أنس فى ذلك وقال اخشى ان يصير البيت ملعبة للملوك فترك الرشيد ذلك .

ثم وقعت فى الكعبة بعد ذلك جملة مرمات قام بها بعض الخلفاء والملوك وسلاطين آل عثمان . وفى عام الف وتسعة وثلاثين دخل المسجد الحرام سيل عظيم ودخل الكعبة من بابها ووصل الى نصف جدارها الداخلي وذلك يوم الأربعاء التاسع من شهر شعبان عام الالف والتسعة والثلاثين وفى اليوم العاشر من الشهر المذكور وهو يوم الخميس سقط الجدار

الشامى من الكعبة وبعض الجدار بن الشرقى والغربي . فرفع الخبر امير مكة الشريف مسعود الى وزير مصر ليعرضه على السلطان مراد بن احمد خان فأرسل السلطان مراد (أغا رضوان المعمارى) ومعه المهندسون والعمال وأبتدؤا فى العمل يوم العشرين من شهر جمادى الاولى سنة الف واربعين من الهجرة فهدموا ما كان متداعيا للسقوط وعمروها وتمت عمارتها فى غرة شعبان من السنة المذكورة وعمل لها بابا جديدا والميزاب وهذا أعظم ماوقع لها من العمارة بعد ابن الزبير والحجاج ثم بعد ذلك أجريت فيها مرمات بسيطة فى سقف الكعبة وفى داخلها وحول الحجر الأسود وغير ذلك من الأمور البسيطة . وقد جاء عن عياش بن أبى ربيعة المخزومي عن النبي ﷺ انه قال «هذه الأمة لاتزال بخير ما عظموا هذه الحرمة حق تعظيمها فاذا ضيعوا ذلك هلكوا » رواه الحافظ بن حجر فى الفتح وقوله ماعظموا هذه الحرمة يعنى الكعبة وتعظيمها احترامها وتطهيرها وتعميرها وصيانتها من كل قذارة ومكروه .

حياته بمدة الجاهلية

شب رسول الله ﷺ والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحيطه من اقذار الجاهلية لما يريده له من الكرامة والرسالة حتى صار أفضل قومه مروءة ، واحسنهم خلقا ، واكرمهم مخالطة ، واحسنهم جوارا ، واعظمهم حلما ، وأوفاهم أمانة ، وأصدقهم حديثا ، وابعدهم من الفحش والاذى والرزيلة ، التي

تدنس الرجال تنزها وتكرما. فما رؤي مماريا ولا ملاحيا احداً، حتى سماه قومه الأمين لما جمع الله عزوجل فيه من الامور الصالحة؛ والخصال الحميدة، والافعال السديدة، من الحلم، والصبر، والشكر، والعدل، والزهد، والتواضع، والعفة؛ والجود، والكرم، والشجاعة، والحياء، والمروءة، وكانت قريش تتحاكم عنده فى الجاهلية. وكان ينهى قومه عن عبادة الاصنام وكان ينفر من التمسح بها والتقرب اليها. وماعرف عنه ﷺ انه حضر مجلسا من مجالس اللهو ولا شرب الخمرة ولا أكل ماذبح لغير الله وما وافق قريشا على شيء مما كانت تتدين به الا الوقوف بعرفة وذلك اتباعا لجديه ابراهيم واسماعيل عليهما الصلاة والسلام. وكان يرعي الغنم لأهله وقومه وعشيرته باجياد وغيرها من الضواحي وذلك من عادات الانبياء قبل بعثتهم كي يحصل لهم التمرن برعيها وجمعها بعد تفرقها فى المرعى ونقلها من مسرح الى مسرح ودفع عدوها من سبع، وذئب؛ وسارق، ويتعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها الى التعهد لها فى حالة العطش لايرادها الماء فيألفوا من ذلك على الصبر عند مدارات الامة ويتعلموا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها ومداركها فجبروا كسرها ورتقوا فتقها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعهد لها فيكون تحملهم للمشقة أسهل بعد تمرنهم على رعاية الغنم.

الاستعداد والتأهل للنبوة

اعلم ان الله سبحانه وتعالى لما اقتضت حكمته خلق النفس البشرية جعل لها من أصل الفطرة ادراكين ادراكا بالظاهر وهو بالحواس الخمس، وادراكا بالباطن وهو بالقوى الدماغية، وهي على ثلاثة أصناف، صنف عاجز من أصل فطرته عن الوصول الى الادراك الروحاني فادراكه منحصر في المدارك الحسية والخياليه وتركب المعاني من الحافظة، والواهمة، على قواعد محصورة، وترتيب خاص يستفيدون به العلوم التصويرية، والتصديقية التي للفكر في البدن وكلها خيالي منحصر نطاقه وهذا هو أغلب نطاق الادراك البشري الجسماني واليه تنتهي مدارك العلماء وفيه ترسخ أقدامهم.

وصنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والادراك الذي لا يفتقر الى الآلات البدنية بما جعل له من الاستعداد لذلك فيتسع نطاق ادراكه عن الاوليات التي هي نطاق الادراك الاول البشري ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنية وهي وجدانيات لها لا نطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها. وهذه مدارك العلماء الاولياء أهل العلوم اللدنية والمعارف الربانية وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة.

وصنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جسمانيتها أو روحانيتها الى الملائكة من الافق الاعلى ليصير في لمحة من اللمحات ملكا بالفعل.

ويحصل له شهود الملأ الأعلى في أفقهم وسماع الكلام النفساني

والخطاب الآلهي فى تلك اللمحة . وهؤلاء الانبياء عليهم الصلاة والسلام جعل الله لهم الانسلاخ من البشرية فى تلك اللمحة وهى حالة الوحي فطرة فطرهم الله عليها ، وجبلة صورهم فيها ، ونزههم عن موانع البدن ، وعوائقه ماداموا ملابسين لها بالبشرية بما ركب فى غرائزهم من القصد والاستقامة التي يحاذون بها تلك الوجهة وركز فى طبائعهم رغبة في العبادة تكشف بتلك الوجهة وتسيغ نحوها فهم يتوجهون الى ذلك الافق بذلك النوع من الانسلاخ متى شاؤا بتلك الفطرة التي فطروا عليها لا باكتساب ولا صناعة . فلذا توجهوا وانسلخوا عن بشريتهم وتلقوا فى ذلك من الملأ الاعلى ما يتلقونه ، وعاجوا به على المدارك البشرية منزلا فى قواها لحكمة التبليغ للعباد فتارة يسمع دويا كانه رمز من الكلام يأخذ منه المعنى الذى القي اليه فلا ينقضي الدوي الا وقد وعاه وفهمه وتارة يتمثل له الملك الذى يلقى اليه رجلا فيكلمه ويعى ما يقوله والرجوع الى المدارك البشرية وفهمه ما القي عليه كله كانه لحظة واحدة بل أقرب من لمح البصر لانه ليس فى زمان بل كلها تقع جميعا فيظهر كانها سريعة ولذلك سميت وحيا لأن الوحى في اللغة الأعلام بالخفاء والاسراع وفى حالة الوحى صعوبة شديدة من غطيط وغيبة وذلك لمفارقة البشرية الى المدارك الملكية وتلقى الوحى المنزل فيحدث عنه شدة من مفارقة الذات ذاتها وانسلاخها عنها من افقها الى ذلك الافق الآخر . فاذا اراده الله سبحانه

وتعالى ان يبعث نبيا خلقه من اصل تكوينه بهذا الاستعداد فلا يطمع انسان انه يدرك درجة النبوة بمجرد علومه أو ذكائه ، أو دهائه ، ولذلك نجد ان كل من ادعى النبوة ظهر أمره فى برهة وجيزة وكان تنبؤه مبنيا على نقص فى عقله ولولا ذلك لأدرك ان النبوة لها خلق مخصوص من البشر كما تقدم ..

فهذه صفات انواع البشر من أصل تكوينهم . واما صفة الملائكة فهم أجسام لطيفة هوائية شفافة تقدر على التشكل باشكال مختلفة مسكنها السموات قادرة على اختراق طبقات الجو فى أقرب من لمح البصر . هذا ما قاله العلماء في وصف الأنبياء والملائكة فاذا علم هذا وتقرر فى الذهن ظهر انه صار من المستحيل على علماء الفن الحديث أن يطمعوا فى اكتشاف هذه الادراكات النبوية ، والأجسام الملاكية ، والوصول اليها بمجرد الفكر الذى اكتشفوا به بعض المكتشفات مثل الاجرام السماوية والجراثيم الدقيقة لان ذلك لا يدرك كنهه بالآلات والقياسات الفنية . ثم متى ظهر عجزهم عن ادراك ما أدركته الانبياء بصفتهم الخاصة ظنوا ان ماجاؤا به ضرب من الخيالات التى لانصيب لها من الصحة بسبب قصر ادراكهم عن ادراك الانبياء صلوات الله عليهم فهذه مكابرة للحقيقة سببها قصر مداركهم المحدودة عن الوصول الى ماوصل اليه الانبياء بحسب استعداد تكوينهم الفطرى

فاذا علم الانسان ان منظم العالم ومدبر شؤونه جل وعلا اقتضت حكمته ايجاد الخلائق كل بحسب تركيبه قائم بصفة تناسبه فلا يسوغ له ان يطابق

الاشياء المدركة بالحس على المدركة بالفن مع ان الفن لم يصل الى اكتشاف كل شيء في العالم وقد اطلعت على بعض المجلات فوجدت فيها سؤالا من بعض الناس يسألونهم فيه عن عمل الحواة أرباب الشعوذة في تبديل الاجسام مثل جعل الخشائش حريراً والورق قطيراً يؤكل وغير ذلك مما هو مشاهد من أعمالهم واكتشفه العلم الحديث في ذلك فاجابوه ان العلم الحديث لم يكتشف حتى الآن الشعوذة بطريق ولم تظهر لهم حقيقتها بعد ان صرفوا وقتا طويلا في محاولة الوقوف على حقيقتها. فاذا كان الفن الحديث عاجزا عن اكتشاف حقيقة الشعوذة البسيطة التي يعملها المشعوذون على رؤوس الاشهاد فهو بالاحرى أعجز من أن يكتشف الادراكات النبوية والنواميس السماوية وسائر المغيبات

واذا كان من خلق الله تعالى الاجرام السماوية العظيمة التي قرر علماء الفلك ان من تلك الكواكب ماهو اجسم من ارضنا التي نطؤها باقدامنا وشمسنا التي نستضيء بها وأعظم بملايين المرات ونحن نرى تلك الكواكب بالنظر المجرد قدر الانملة، وكذلك من المخلوقات الدقيقة — التي المليون منها لايساوي قدر الذرة — الجراثيم التي كانت قبل ايجاد المجسمات (التلسكوب والمكرسكوب) مجهولة منذ عشرات السنين وكم غيرها من خلق الله تعالى مجهول حتى اليوم وربما يعلم في المستقبل. فمتى ان العقل تصور وصدق بوجود الكواكب العظيمة والجراثيم الدقيقة لانه رآها بالمجسمات فلماذا لا

بصدق بوجود الملائكة والجن وغيرهم وهو يعلم ان فى الكون أشياءلم يقف على حقيقتها أحد من أرباب الفن الحديث الى اليوم فلا ينبغى للعاقل ان ينكر مالا يراه بصره حيث ان مخلوقات الله تعالى أكثر من ان تحصى وتعد ولا يعلم حقيقتها الا خالقها سبحانه وتعالى .

فعلى الماديين ، والملحدين ومن على شاكلتهم ان يهدؤا على انفسهم ويعترفوا بجهلهم ويخففوا من حماقتهم ويتركوا علم الكون لأهله ويدرسوا مواقع الجهل قبل كل شىء من أنفسهم ويقنعوا بفشلهم ويتجنبوا مكابرة الحقائق لأن العالم المفكر كلما توغل فى العلوم ظهر له بواسطة العلم أشياء عظيمة كبيرة لم يصل اليها علمه ولم تحط بها مداركه ولذلك يقول الامام الشافعى رضي الله عنه (كلما ازددت علما زادنى علما بجهلي) ، ولكن ماذا نصنع فى هذا الزمن ؟ الذى كثر جهله ، وخرج عن مبادئ الايمان معظم أهله ، وأصبح الجاهل عالما ، والاحمق مفكرا ، والمكابر فيلسوفا ، والغبي أستاذاً ، والمتهوس باحثا ، والوقح حراً ، والجمجاع خطيبا ، فقد اشغلوا الناس بسفسطتهم ، وتكاثروا بغوغائهم ، فلا داعى منهم ولا مجيب ، ولا منصف فيهم ولا أريب ، لا يسمعون ولا يعقلون ، وهم عن الحقيقة غافلون

البعثة النبوية

لما بلغ رسول الله ﷺ أربعين سنة من عمره وقبل الهجرة بثلاثة عشر سنة يوافق أول شهر فبراير سنة ستمائة وعشر من ميلاد عيسى عليه السلام

وفى سبعة عشر من شهر رمضان بعثه الله تعالى للناس كافة بشيراً ونذيرا ورحمة للعالمين لينقذهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى الصراط المستقيم وكان قد أخذ الله سبحانه وتعالى الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر له على من خالفه وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم . وقد أوفوا بوعدهم وبلغوا من آمن بهم ذلك وجاء الكتاب ناطقا به فقال تعالى (واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)

اول ما بدئ به من الوحى

فأول ما بدىء به من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبب اليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء وهو جبل باعلا مكة ومشهور الآن بجبل النور فيتحنث فيه اي يتعبد الليالى ذوات العدد وذلك شهر من كل سنة قبل ان ينزع الى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة رضي الله عنها وذلك كان من عادة قريش في الجاهلية . فكان أول ما يبدأ به حين رجوعه من حراء الطواف بالكعبة سبعا أو ما شاء ثم يأتى خديجة فيتزود لمثلها حتي جاءه الحق وهو فى غار حراء فجاءه الملك جبريل عليه السلام فى اليوم السابع عشر من شهر رمضان

فقال اقرأ قال ما أنا بقارىء قال ﷺ فاخذني فغطني حتي بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فاخذني فغطني الثانية حتي بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارىء فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم، الذى علم بالقلم، علم الانسان مالم يعلم) فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال زملوني زملوني فزملوه حتي ذهب عنه الروع فقالت له خديجة يا أبا القاسم أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتي بلغوا مكة ورجعوا فقال لخديجة وأخبرها الخبر « لقد خشيت على نفسي » فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرىء الضيف ، وتعين على نوائب الحق . ثم انطلقت به خديجة حتي أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبدالعزي بن قصى وهو ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيراً قد عمي فقالت خديجة يا ابن عمى اسمع من ابن أخيك فقال له ورقة يا ابن اخى ماذا ترى ؟ فاخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأي فقال له ورقة هذا الناموس الذي نزل الله على موسى ياليتنى فيها جذعا ليتنى حيا اذ يخرجك قومك فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم ؟ قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزرا . فقال ورقة لخديجة اذهبي به الى المكان

الذى رأى فيه ما رأى فاذا رآه فتحسرى فان يمكن من عند الله لا يراه فذهبت معه وقالت له اذا جاءك فاخبرنى فبينا رسول الله ﷺ عندها اذ جاءه جبريل فقال ياخديجة هذا جبريل قلت أتراه الآن؟ قال نعم قالت فاجلس الى شق الأيمن فتحول فجلس قالت هل تراه الآن؟ قال نعم قالت فاجلس فى حجرى فتحول فجلس قالت هل تراه الآن؟ قال نعم فادخلت رسول الله ﷺ بينها وبين درعها فقالت هل تراه الآن ؟ قال لا قالت ما هذا شيطان ان هذا لملك يا ابن عم فاثبت وابشر ثم آمنت به وشهدت أن الذى جاء به الحق فلما دخل أبو بكر الصديق ذكرت خديجة حديثه له وقالت له اذهب مع محمد الى ورقة فانطقا اليه فقصا عليه فقال رسول الله ﷺ « اذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى يامحمد يامحمد فانطلق هاربا فى الارض» فقال ورقة لاتفعل اذا أتاك فاثبت حتي تسمع ما يقول ثم ائتني فاخبرني . فلما خلا رسول الله ﷺ ناداه جبريل قال : يا محمد أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله : ثم قال قل (بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العلمين) حتي بلغ ولاالضالين ثم قال قل (لا آله الا الله) فأتى النبي ﷺ ورقة فذكر ذلك له .فقال ورقة : أبشر ثم ابشر فانا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم ، وإنك على مثل ناموس موسى ، وانك نبي ، وإنك سوف تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا وان يدركنى ذلك لا جاهدن معك : فأنشأ ورقة .

لججت وكنت في الذكرى لجوجا لهم طال ما بلغ النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف فقد طال انتظاري يا خديجا
ببطن المكتين على رجائي حديثك ان أرى منه خروجا
بما اخبرتنا من قول قس من الرهبان أكره ان يعوجا
بأن محمدا سيسود فينا . ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور تقام به البرية ان تعوجا
فيلقى من يحاربه خسارا ويلقى من يسالمه فلوجا
فيالليتني اذا ما كان ذاكم شهدت وكنت أولهم ولوجا
ولوجا في الذي كرهوا جميعا الى ذي العرش ان سلفوا عروجا
وهل أمر السفاهة غير كفر بمن يختار من سبك البروجا
فان يبقوا وابق تكن أمور يضج الكافرون لها ضجيجا
وان أهلك فكل فتى سيلقى من الاقدار متلفه خروجا

ثم لم ينشب ورقه أن توفى . فلما توفى قال رسول الله ﷺ « لقد رأيت القس عليه ثياب الحرير لانه آمن بي وصدقني » يعني ورقة بن نوفل

فترة الوحي

ثم فتر الوحي فلما فتر الوحي حزن رسول الله ﷺ حزنا غدا منه مرارا اراد ان يتردى من رؤس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقى نفسه منه تبدى له جبريل عليه السلام فقال : يا محمد انك

رسول الله حقا : فيسكن لذلك جأشه وتقر نفسه ويرجع فاذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك ثم بعد ان مضى على فترة الوحى ثلاث سنين كما جزم به ابن اسحاق ورواه الامام أحمد فى تاريخه عن الشعبي اوحى الله تعالى اليه وذلك أنه جاور بجبل (حراء) شهرا فلما قضى جواره به الشهر نزل منه حتي استبطن الوادى فنودى فنظر أمامه وخلفه وعن يمينه وعن شماله فلم ير أحداً ثم نودى فنظر فلم ير أحداً ثم نودي فرفع رأسه فاذا الملك الذى جاءه (بحراء) جالس على كرسى بين السماء والارض فرعب منه فرجع الى خديجة فقال « زملونى زملونى » فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر ، قم فانذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) فحمى الوحي وتتابع ونزلت عليه سورة (والضحى والليل اذا سجى) يقسم الله جل وعلا له بقوله (ما ودعك ربك وما قلي أى ما حرمك فتركك وما أبغضك منذ أحبك (وللآخرة خير لك من الاولى) أي ما أدخرته لك عندي فى مرجعك الي خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا (ولسوف يعطيك ربك فترضي) ثم عرفه الله تعالى ما ابتدأه به من كرامته فى ابتداء أمره ومننه عليه بقوله (الم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فاغنى)

حالات الوحي

كان نزول الوحي على ثمانية حالات (الحالة الاولى) الرؤيا الصادقة فكان لا يري رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وضوحاً وظهورا فما يراه في المنام يراه في اليقظة وذلك تمهيد وتمرين على حمل أعباء الوحى (الحالة الثانية) ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه (الحالة الثالثة) كان يتمثل له الملك رجلا في صورة (دحية الكلبي) ومرة جاءه في صفة رجل غريب (الحالة الرابعة) كان ياتيه مثل صلصلة الجرس وكان أشد حالاته عليه حتى ان جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد واذا أتاه وهو على راحلته بركت به الارض لشدته (الحالة الخامسة) كان يأتيه الملك في صورته التي خلق عليها (الحالة السادسة) ما أوحاه الله اليه وهو فوق السموات من فرض الصلوات وغيرها (الحالة السابعة) كلام الله تعالى له ومنه واليه بلا واسطة ملك (الحالة الثامنة) العلم الذي يلقيه الله تعالى في قلبه وعلى لسانه عند القضاء في الاحكام .

أول عمل وجب من اعمال العبادات

أول ما وجب من أعمال العبادات الانذار ، ثم الدعاء الى التوحيد ، ثم فرض قيام الليل ، ثم الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ، وذلك أن جبريل عليه السلام تبدي لرسول الله ﷺ في أحسن صورة وأطيب رائحة بأعلا مكة فقال : يامحمد ان الله يقرئك السلام ويقول أنت رسولي

الى الجن والانس فادعوهم الى قول لا اله الا الله : ثم ضرب برجله الارض فنبعت عن ماء فتوضأ منها جبريل ثم امره ان يتوضأ وقام جبريل يصلى وأمره أن يصلى معه فعلمه الوضوء والصلاة ، ورجع رسول الله ﷺ لا يمر بحجر ، ولا مدر ولا شجر الا سلم عليه حتي أتى خديجة فاخبرها فغشى عليها من الفرح ثم أمرها فتوضأت وصلي بها كما صلى به جبريل فكان ذلك أول فروضها ركعتين .

معنى سلام الأحجار

سلام الاحجار والاشجار وما فى معناها من الجمادات الصم وغيرها على النبي ﷺ ليس هو كصفة سلام الانسان الناطق بل هو له صفة قائمة بتلك الجمادات حيث ان الله سبحانه وتعالى أوجد في مخلوقاته صفات متنوعة بحسب تشكلاتها وأنواعها فاوجد فى الانسان صفة ناطقة قائمة به لاتشبه صفة الحيوانات العجم . وأوجد في الحيوانات العجم صفة لاتشبه صفة الجمادات الصم فسلام الانسان هو بالصفة المنطقية التي أوجدها فيه والجمادات كذلك بالصفة التى خلقت فيها كما قال تعالى (وإن من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) فسلام الأحجار والاشجار هو أشبه بحنين الجذع وهذا لا يستلزم الحياة والعلم والارادة لأنه صوت كسائر الاصوات مثل صوت الرعد ، والريح ، واحتكاك الاحجار فى بعضها وحفيف الشجر وغير ذلك اذلو كان تسبيح وسلام الحيوانات الخرص والجمادات كتسبيح وسلام الانسان بالنطق الصريح لفقهه كل من سمعه

ولما صار معجزة لبعض الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم ولم يعد ذلك معجزة لهم الا لكونهم فقهوا سلامهم بالصفة التي منحهم الله تعالى أياها من بدء خلقهم فانكار ذلك دليل على قصر فهم المنكر صفة المخلوقات وطبائعها التي كونها الله تعالى فيها .

اول من آمن به صلى الله عليه وسلم

(١) أول من آمن بنبوة رسول الله ﷺ من الشيوخ ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبدالعزى بن قصى . قاله السراج البلقينى ؛ والحافظ العراقى وذكره ابن مندة فى الصحابة ، وأثبته الحافظ ابن حجر فى القسم الاول فى الاصابة من الصحابة وقال ذكره الطبري ، والبغوي ، وابن قانع ، وابن السكن وغيرهم فى الصحابة وذكر ان ورقة كان يمر ببلال وهو يعذب فيقول أحد أحد يا بلال والله لئن قتلتموه لأتخذنه حنانا. وهذا يدل على ان ورقة عاش الى ان دعى النبى ﷺ الى الاسلام.

(٢) ومن الرجال ابو بكر الصديق واسمه عبدالله بن ابى قحافه عثمان عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم القرشي التيمى ولد بعد الفيل بسنتين ونصف وكان اعلم قريش بالنسب وباحوالهم وما هم عليه من خير وشر. وكان رجلا تاجراً ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويسترشدونه في كل امر، لفضله ، وخبرته ، ودرايته ، صحب النبى ﷺ قبل البعثة بعشر بن سنة وعمره اذ ذاك ثمانية عشر سنة فكان صديقه من ذلك

الوقت يكثر غشيانه له في منزله ويحادثه وكان سمع بنبوته من ورقة بن نوفل لما ذهب معه اليه فكان يتوقع ذلك فبينما هو مع حكيم بن حزام اذ جاءت مولاة حكيم وقالت له ان عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم ان ان زوجها نبي مرسل مثل موسى ، فانسل أبو بكر واتي رسول الله ﷺ فسأله عن خبره فقص عليه مجيء الوحي له بالرسالة فقال له صدقت بأبي انت وامي وأهل الصدق انت انا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله .

(٣) ومن الغلمان علي ابن ابي طالب . ولد قبل البعثة بعشر سنين وكان قد اخذه رسول الله ﷺ من ابيه طفلا ورباه في حجره وهو الذي سماه عليا وسبب ذلك ان قريشا اصابتهم ازمة شديدة وكان ابو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله ﷺ لعمه العباس وكان ايسر بني هاشم « يا عباس ان اخاك ابا طالب كثير العيال وقد اصاب الناس ما ترى من هذه الازمة فانطلق بنا اليه فلنخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلا وتأخذ انت رجلا فنكفيهما عنه » فقال العباس نعم فانطلقا حتى اتيا اباطالب فقالا انا نريد ان نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ماهم فيه فقال لهما اذا تركتما لي عقيلا ، وطالبا ، فاصنعا ما شئتما فأخذ رسول الله ﷺ عليا فضمه اليه واخذ العباس جعفراً فلم يزل علي مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله تعالى . فراى علي رسول الله ﷺ يصلي مع خديجة في يوم بعث فقال علي ماهذا؟ فقال له رسول الله ﷺ « دين الله

الذي اصطفاه لنفسه و بعث به رسله فأدعوك الى الله وحده لاشريك له والى عبادته » فقال علي : هذا امر لم اسمع به قبل اليوم فلست بقاض امراحتي احدث أباطالب : فقال له رسول الله ﷺ (ياعلي اذالم تسلم فأكتم هذا) فمكث علي ليلته ثم اصبح غاديا الى رسول الله ﷺ فأسلم وكان يخرج مع رسول الله ﷺ الى شعاب مكة للصلاة مستخفياً من ابيه واعمامه واخواله ، فعثرعليهما ابو طالب يوما وهما يصليان فقال لرسول الله ﷺ يا ابن اخي ماهذا الدين فقال « اي عم هذا دين الله ودين ملائكته ، ودين رسله ، ودين ابينا ابراهيم ، بعثني الله به رسولا الى العباد ؛ وانت اي عم احق من بذلت له النصيحة ، ودعوته الى الهدي ، واحق من اجابني اليه ، واعانني عليه » فقال ابوطالب : اي ابن اخي انى لااستطيع ان افارق دين آبائي ولكن والله لا يخلص اليك شيء تكرهه ما بقيت .

(٤) ومن النساء خديجة بنت خويلد وهي اول من اسلم على الاطلاق كما تقدم في ابتداء نزول الوحي

(٥) ومن الموالي زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزي بن زيد ابن امريء القيس الكلبي القحطاني كانت امه سعدى بنت ثعلبة الطائية زارت قومها وزيد معها فاغارت خيل لبني القين بن جسر في الجاهلية على أبيات بني معن بن طيء فاحتملوا زيدا وهو غلام يفعة عمره ثمانية سنين فأتوا به في عكاظ فعرضوه للبيع فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت

خويلد بار بعمائة درهم فلما تزوج بها رسول الله ﷺ وهبته له . ثم لما فقده أبوه حارثة بن شراحيل قال

بليت على زيد ولم ادر ما فعل أحي فيرجى أم أتى دونه الاجل ؟؟
فوالله ما أدرى واني لسائل اغالك بعدى السهل ام غالك الجبل ؟؟
ويا ليت شعرى هل لك الدهر أوبة فحسبي من الدنيا رجوعك لى بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ويعرض ذكراه اذا غربها أفل
وان هبت الأرواح هيجن ذكره فيا طول ما حزنى عليه وما وجل
سأعمل نص العيس فى الارض جاهدا ولا أسأم التطواف أو تسأم الابل
حياتى أو تأتي علي منيتي وكل أمرئ فان وان غره الامل
سأوصى به قيسا وعمراً كليهما وأوصى يزيداً ثم أوصي به جبل

يعنى أخوة زيد فحج ناس من كلب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه فقال لهم زيد أبلغوا أهلى هذه الابيات فاني أعلم انهم قد جزعوا علي فقال :

أحن الى أهلي وان كنت نائيا بأنى قتيد البيت عند المشاعر
فكفوا من الوجد الذى قد شجاكم ولا تعملوا فى الارض نص الاباعر
فانى بحمد الله فى خير أسرة كرام معد كابر بعد كابر

فانطلق الكلبيون فاعلموا أباه فقال ابنى ورب الكعبة ووصفوا له موضعه وعند من هو فخرج ابوه حارثة وعمه كعب لفدائه وقدما مكة فسألا عن النبى ﷺ فقيل هو فى المسجد فدخلا عليه فقالا يا ابن عبد المطلب

يا ابن هاشم يا ابن سيد قومه أنتم اهل حرم الله وجيرانه تفكون العانى وتطعمون الجائع وقد جئناك فى ابننا عبدك فامنن علينا و احسن في فدائه فانا سندفع لك قال رسول الله ﷺ وما ذاك ؟ قالا زيد بن حارثة فقال ﷺ « او غير ذلك » قالا ما هو ؟ قال ﷺ « ادعوه فخيروه فان اختاركم فهولكم بغير فداء وان اختارنى فوالله ما انا بالذى اختار على من اختارنى فداء» قالا قد زودتنا على النصف واحسنت فدعاه فقال له رسول الله ﷺ هل تعرف هؤلاء ؟ قال نعم هذا ابى وهذا عمى قال ﷺ « فانا من قد علمت وقد رايت صحبتي لك فاختر نى او اخترهما » فقال زيد : ما انا بالذى اختار عليك احدا انت منى بمكان الاب والعم : فقال ابوه و عمه ويحك يا زيد اتختار العبودية على الحرية وعلى ابيك وعمك واهل بيتك ؟ قال : انى قد رايت من هذا الرجل شيئاً ما انا بالذى اختار عليه احدا . فلما راي ذلك رسول الله ﷺ من زيد اخرجه الى الحجر فقال « اشهدوا ان زيدا ابنى يرثنى وأرثه » فلما راى ذلك ابوه وعمه طابت انفسهما وانصرفا فدعى بذلك زيد بن محمد حتي جاء الاسلام فدعى لابيه حارثة وفيه نزلت الآيه (ادعوهم لآبائهم)

(٦) ثم اسلمت ام ايمن بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن مولاة النبي ﷺ وحاضنته اعتقها حين تزوج خديجة رضي الله عنها وزوجها على عبيد بن الحارث بن الخزرج فولدت له ايمن فصحب ايمن النبي ﷺ .

(٧) واسلمت ام رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب امرأة ابى بكر الصديق ووالدة عبد الرحمن وعائشة ابني ابى بكر الصديق .

(٨) واسلمت ام الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم والدة ابى بكر الصديق .

(٩) واسلمت اسماء بنت ابى بكر الصديق .

(١٠) واسلمت الزنيرة الرومية وكانت مولاة عمرو بن المؤمل ولما اسلمت عذبها ابوجهل على الاسلام فاشتراها ابو بكر الصديق واعتقها

الدعوة الى الاسلام سرا

لما اسلم ابو بكر الصديق رضي الله عنه واسلمت اسرته دعى من وثق به من اصحابه الى الله تعالى ورسوله ﷺ وقد اجابه الكثير منهم الى ذلك فممن اسلم بدعائه .

(١١) عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قصي . ولما اسلم عثمان رضى الله عنه اخذه عمه الحكم بن ابى العاص والد مروان فأوثق كتافه وقال له ترغب عن ملة آبائك الى دين محمد والله لا احلك ابدا حتي تدع ما انت عليه فقال عثمان والله لا ادعه ولا افارقه فلما راى الحكم صلابته تركه .

(١٢) واسلمت اروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس العبشمية والدة عثمان بن عفان

(١٣) واسلم بدعاء ابى بكر الصديق الزبير بن العوام بن خويلد بن اسد بن عبد العزى بن قصي وعمره اثناعشرة سنة فأخذه عمه نوفل بن خويلد وعلقه فى حصير وصار يدخن عليه ليروعه حتي يرجع عن الاسلام فقال له الزبير لا اكفر ابدا فتركه .

(١٤) واسلمت صفية بنت عبد المطلب بن هاشم والدة الزبير وعمة النبى ﷺ.

(١٥) وأسلم بدعاء ابى بكر الصديق عبدالرحمن بن عوف بن الحارث ابن زهرة بن كلاب الزهرى وكان اسمه عبد الكعبة فسماه رسول الله ﷺ عبدالرحمن وكان عمره حين أسلم ثلاثا وثلاثين سنةوسبب اسلامه انه سافر الى اليمن مراراً وكان ينزل على عسكلان ابن عوا كف الحميرى فكان يسأله هل ظهر فيكم رجل له نبأ له ذكر ؟ هل خالف أحد منكم عليكم فى دينكم؟ فيقول له لا فلما بعث رسول الله ﷺ ودعاه ابو بكر الصديق بادر الى الاسلام

(١٦) وأسلمت الشفاء بنت عوف بن الحارث بن زهرة الزهرية والدة عبد الرحمن بن عوف .

(١٧) وأسلم بدعاء أبي بكر الصديق سعد بن أبي وقاص بن أهيب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب الزهري وعمره تسع عشر سنة فاتى النبي ﷺ فسأله عن أمره فاخبره به فأسلم فسمعت أمه باسلامه فلما أتى داره وجد أمه على بابها تصيح وتقول ألا اعوان يعينونى عليه من عشيرتى أو

عشيرته فأحبسه فى البيت واطبق عليه بابه حتي يموت او يدع هذا الدين المحدث : فلما سمعها سعد رجع من حيث جاء وقال لها : لااعود اليك ولا اقرب منزلك : فهجرها حينا ثم ارسلت اليه ان يعود الى منزله ولا يضيفن احدا فيلزمهم عار فرجع فمرة تلقاه بالبشرى ، ومرة تلقاه بالشر وتعيره باخيه عامر ، وتقول له هو البر لا يفارق دينه . وكان اذا اقبل سعد على النبي ﷺ يقول هذا خالى فليرنى امرؤ خاله .

(١٨) واسلم عامر بن مالك بن اهيب بن عبد مناف الزهرى اخو سعد بن ابى وقاص ولتي من امه اشد ما لقي سعد قال سعد بن ابي وقاص جئت فاذا الناس مجتمعون على امي حمنة بنت سفيان بن امية وعلى اخى عامر حين اسلم فقلت ما شأن الناس قالوا هذه املك قد عاهدت الله ان لا يظلها ظل حتي يرتد عامر فأنزل الله تعالى (وان جاهداك على ان تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما)

(١٩) واسلم بدعاء ابى بكر الصديق طلحة بن عبيد الله بن عثمان ابن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة التيمى . كان قد حضر سوق بصرى فاذا راهب فى صومعته يقول سلوا اهل هذا الموسم افيهم احد من اهل الحرم؟ قال طلحة نعم انا فقال هل ظهر احمد ؟ قلت ومن احمد ؟ قال ابن عبد الله بن عبد المطلب هذا شهره الذى يخرج فيه وهو آخر الانبياء ومخرجه من الحرم ومهاجره الى نخلة وحرة وسباخ فاياك ان تسبق اليه فوقع

ذلك فى قلبه فخرج مسرعا حتي قدم مكة فقال هل كان من حدث ؟ قالوا نعم محمد الامين تنبأ وقد تبعه ابن ابى قحافة فاتى ابابكر فذهب به الى النبي ﷺ فأسلم فلما علم باسلامه نوفل بن العدوية وكان يدعي اسد قريش اخذه واخذ معه ابا بكر الصديق فشدهما فى حبل واحد ولم يمنعهما بنو تيم لشدة ابن العدويه وقوة شكيمته .

(٢٠) واسلمت الصعبة بنت الحضرمي اخت العلاء بن عبد الله بن عمار بن ربيعة الحضرمى ام طلحة بن عبيد الله التيمى .

(٢١) واسلم بدعاء أبى بكر الصديق خالد بن سعيد بن العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي الاموى وسبب اسلامه راي رؤيا انه على شعب نار فاراد ابوه ان يرميه فيها فاذا النبي ﷺ قد اخذ بحجزته فلما اصبح اتى ابا بكر فقال اتبع محمدا فانه رسول الله فجاء فاسلم فبلغ اباه العاص فعاقبه ومنعه القوت ومنع اخوته من كلامه فتغيب حتي خرج بعد ذلك الى الحبشة .

(٢٢) واسلمت اميمة بنت خلف بن اسعد الخزاعية زوجة خالد ابن سعيد وهاجرت معه الى الحبشة ويقال اسمها (امينة) .

(٢٣) واسلم ابوعبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشى الفهري .

(٢٤) واسلم سعيد بن زيد بن عمرو بن نوفيل بن عبد العزى العدوى

(٢٥) واسلمت فاطمة بنت بعجة بن مليح الخزاعية ام سعيد بن زيد

(٢٦) واسلمت فاطمة بنت الخطاب اخت عمر بن الخطاب زوجة سعيد بن زيد

(٢٧) واسلم عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح

(٢٨) واسلم قدامة بن مظعون اخو عثمان بن مظعون

(٢٩) واسلم عبدالله بن مظعون اخو عثمان بن مظعون

(٣٠) واسلم السائب بن عثمان بن مظعون

(٣١) وأسلم عبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب بن عبد مناف بن قصى القرشي ابن عم والد النبي ﷺ يكني أبا الحارث وكان أسن من النبي ﷺ بعشر سنين .

(٣٢) وأسلم ابو سلمة وهو عبدالله بن عبد الاسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشى المخزومى أخو النبي ﷺ من الرضاع وابن عمته برة بنت عبد المطلب .

(٣٣) وأسلم ابو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى بن ابى قيس القرشي .

(٣٤) وأسلمت أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو زوجة ابى سبرة بن ابى رهم

(٣٥) وأسلم بلال بن ابى رباح الحبشي اشتراه ابو بكر الصديق من المشركين لما كانوا يعذبونه على التوحيد

(٣٦) واسلمت حمامة أم بلال بن رباح

(٣٧) وأسلم الارقم بن أبي الارقم بن أسد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم .

(٣٨) وأسلم ابو فكيهة يسار الجهمي مولى صفوان بن أمية فربط أمية ابن خلف في رجله حبلا فجره حتى القاه في الرمضاء وجعل يخنقه حتي ظنه مات فمر ابو بكر الصديق فاشتراه وأعتقه

(٣٩) وأسلمت لبيبة جارية المؤمل بن حبيب وكانت تعذب فاشتراها ابو بكر وأعتقها .

(٤٠) وأسلمت ام عبيس وهي زوج كرز بن ربيعة بن عبد شمس فولدت له عبيسا فكنيت به وكانت تعذب فاشتراها ابو بكر الصديق فأعتقها

(٤١) وأسلم عامر ابن فهيرة التميمي كان مولى الازد ومملوكا للطفيل بن عبدالله بن سنجر فأسلم وهو مملوك فكان يعذب فاشتراه ابو بكر منه فاعتقه

(٤٢) وأسلم جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بأمر أبيه ابي طالب وذلك انه رأي النبي ﷺ وعليا رضي الله عنه يصليان وكان علي على يمين النبي ﷺ فقال ابو طالب لجعفر صل جناح ابن عمك فصلى عن يساره وكان ذلك سبب اسلامه

(٤٣) وأسلمت أسماء بنت عميس بن معد بن الحارث الخثعمية زوجة جعفر بن ابى طالب

(٤٤) وأسلم عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شخص بن قار الهذلي وكان ابوه خالف عبد الحارث بن زهرة . وسبب اسلامه كان يرعى

غنما لعقبة بن ابى معيط فمر به رسول الله ﷺ فقال ياغلام هل من لبن ؟ فقال له نعم ولكننى مؤتمن قال فهل من شاة حائل لم ينز عليها الفحل ؟ فأتاه بشاة فمسح ﷺ ضرعها فنزل لبن فحلبه فى اناء وشرب وسقى ابابكر ثم قال للضرع : أقلص فقلص ثم اتاه بعد هذا فقال يا رسول الله علمنى من هذا القول فمسح رأسه وقال يرحمك الله فانك غليم معلم

(٤٥) وأسلم عمار بن ياسر بن مالك العنسي من كهلان القحطاني حليف بني مخزون

(٤٦) وأسلم ياسر بن عامر والد عمار بن ياسر

(٤٧) وأسلمت سمية بنت خباط مولاة أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم والد عمار بن ياسر وكانوا يعذبون في الاسلام فكان النبي ﷺ يمر عليهم فيقول : صبراً آل ياسر موعدكم الجنة

(٤٩) واسلم المقداد بن الأسود الكندى. وهو المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة بن عامر الكندي الحضرمى

(٥٠) وأسلم صهيب بن سنان بن مالك بن عبد بن عمرو بن عامر بن جندلة النمري كان ابوسنان بن مالك عاملا لكسرى على الابل وكانت منازلهم بارض الموصل فى قرية على شط الفرات فاغارت الروم عليهم فسبت صهيبا وهو غلام صغير فنشأ بالروم فصار ألكن فابتاعه منهم بنو كلب وقدموا به مكة فاشتراه عبد الله بن جدعان التيمى منهم فاعتقه فأقام معه بمكة الى ان مات فلما بعث النبي ﷺ أسلم صهيب

(٥١) وأسلم خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب التميمي سبي فى الجاهلية و بيع بمكة فكان مولى أم انمار الخزاعية

(٥٢) وأسلم زيد بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزي بن رباح العدوى أخو عمر بن الخطاب وأكبر منه سنا

(٥٣) واسلم عياش بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم القرشى المخزومي ابن عم خالد بن الوليد المخزومى .

(٥٤) وأسلمت أسماء بنت سلامة بن مخربة التميمية امرأة عياش ابن ابي ربيعة .

(٥٥) وأسلم عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر ابن سعد العنزي حليف بني عدي ثم حالف الخطاب والد عمر بن الخطاب وقد تبناه الخطاب وكان يدعي به فى الجاهلية ثم دعى بأبيه لما جاء الاسلام

(٥٦) واسلمت ليلى بنت أبى خيثمة بن حذيفة بن غانم القرشية العدوية .

(٥٧) وأسلم عبد الله بن جحش بن رياب بن يعمر بن صبيرة الاسدي حليف بنى عبد شمس .

(٥٨) وأسلم أبو أحمد بن جحش الاسدي أخو زينب أم المؤمنين وأخو عبد الله بن جحش .

(٥٩) وأسلمت أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب لما أسلم زوجها عبيد الله بن جحش وهاجرت معه الى الحبشة ولما تنصر بالحبشة فارقته

(٦٠) وأسلم شرحبيل بن حسنة وهي أمه وابوه عبد الله بن المطاع ابن عبد الله بن الغطريف بن عبد العزى بن جشامة الكندى الحضرمى.

(٦١) وأسلم عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم القرشى .

(٦٢) وأسلم خنيس بن حذافة بن قيس بن عدى القرشى أخو عبد الله بن حذافة .

(٦٣) وأسلم هاشم بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم القرشي السهمى .

(٦٤) وأسلم أبو ذر الغفارى واسمه جندب بن جنادة بن قيس بن بياض بن عمر بن مليل بن صعير بن حرام بن غفار الغفاري . وسبب اسلامه انه لما بلغه مبعث النبي ﷺ قال لاخيه أنيس اركب الى هذا الوادى فاعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي يأتيه الخبر من السماء واسمع من قوله ثم ائتنى فانطلق اخوه حتي جاء مكة وسمع من قوله ثم رجع الى أبي ذر فقال له رأيته يأمر بمكارم الاخلاق ويقول كلاما ماهو بالشعر .

فقال أبو ذر ما شفيتنى مما أردت فتزود وقدم مكة فأتى المسجد فالتمس النبي ﷺ وهولا يعرفه وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل فاضطجع فرآه علي بن أبى طالب فعرف أنه غريب فلما

رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتي أصبح ثم احتمل قربته وزاده الى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يرى النبي ﷺ حتى امسى فعاد الى مضجعه فمر به علي فقال ما آن للرجل أن يعرف منزله؟ فأقامه فذهب معه لايسأل أحدهما صاحبه عن شيء حتي كان اليوم الثالث فعل مثل ذلك فاقامه فقال له علي الا تحدثنى بالذى أقدمك؟ قال أبو ذر ان اعطيتنى عهدا وميثاقا أن ترشدنى فعلت ففعل فاخبره فقال انه حق وانه رسول الله ﷺ فاذا اصبحت فاتبعنى فانى ان رايت شيئاً اخافه عليك كانى اريق الماء فان مضيت فاتبعنى حتي تدخل مدخلي . ففعل فانطلق يقفوه حتي اذا دخل على النبي ﷺ ودخل معه فقال اعرض علي الاسلام فعرضه فأسلم فقال له النبي ﷺ : يا اباذر اكتم هذا الامر وارجع الى بلدك فاذا بلغك ظهورنا فاقبل فقال ابو ذر : والذي بعثك بالحق لأصرخن بها بين اظهرهم فخرج حتى أتي المسجد وقريش فيه فقال: يا معشر قريش انى اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله : فقام القوم اليه فضربوه حتي اضجعوه وأتى العباس فأكب عليه وقال : ويلكم الستم تعلمون انه من غفار؟ وانه من طريق تجارتكم الى الشام فأنقذه منهم ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا اليه فأكب العباس عليه . ثم عاد بلده .

(٦٥) وأسلم انيس بن جنادة الغفارى اخو ابي ذر الغفارى

(٦٦) واسلمت رملة بنت الوقيعة الغفارية أم أبى ذر الغفاري

(٦٧) واسلم عبدالله بن شهاب بن عبدالله بن زهرة بن كلاب الزهرى القرشى وكان اسمه عبدالحان فسماه النبي ﷺ عبد الله

(٦٨) واسلم عبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود القرشي العامرى

(٦٩) وأسلم المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة الزهرى

(٧٠) وأسلمت ارملة بنت ابى عوف بن صبرة بن سعيد بن سعد بن سهم السهمية زوجة المطلب بن ازهر

(٧١) واسلم معمر بن عبدالله بن نضلة بن نافع بن عوف القرشى العدوى

(٧٢) واسلم ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى العبشمى

(٧٣) واسلم محجن بن الادرع الاسلمى من ولد اسلم بن أقصى بن حارثة ابن عمرو بن عامر الادرعى

(٧٤) واسلمت سهلة بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس زوجة ابى حذيفة بن عتبة العبشمي

(٧٥) واسلم حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم عم رسول الله ﷺ واخوه من الرضاع وكان اسن من رسول الله ﷺ بسنتين وكان اعز فتي فى قريش واشد شكيمة وكان لاسلامه شأن عظيم وقال حين أسلم

حمدت الله حين هدى فؤادى الى الاسلام والدين المنيف
لدين جاء من رب عزيز خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا تحدر دمع ذى اللب الحصيف
رسائل جاء احمد من هداها بآيات مبينة الحروف
واحمد مصطفى فينا مطاعا فلا تفشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم ولما نقض فيهم بالسيوف

فسماه النبي ﷺ أسد الله واسد رسوله

(٧٦) وأسلم مسعود بن ربيعة بن عمر بن سعد بن عبد العزى القاري

(٧٧) وأسلم مسعود بن الاسود بن حارثة بن نضلة بن عوف بن عبيدة ابن عويج القرشي العدوي

(٧٨) وأسلم مطيع بن الاسود اخو مسعود بن الأسود

(٧٩) وأسلمت العجماء بنت عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب والدة مسعود بن الاسود .

(٨٠) وأسلم نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عوف بن عبيد بن عويج القرشى العدوي النحام

(٨١) واسلم واقد بن عبدالله بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم حليف بنى عدي بن كعب جاءت به قبله باهلة فباعوه من الخطاب ابن نوفل فتبنـاه .

(٨٢) وأسلم معمر بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي الجمحى

(٨٣) وأسلم حاطب بن الحارث الجمحى أخو معمر بن الحارث .

(٨٤) وأسلمت امرأته فاطمة بنت المجلل العامرية .

(٨٥) وأسلم حطاب بن الحارث الجمحى اخو معمر بن الحارث

(٨٦) واسلمت فكيهة بنت يسار امرأة حطاب بن الحارث

(٨٧) واسلم حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك القرشي العامرى

(٨٨) وأسلم سليط بن عمرو أخو حاطب بن عمرو

(٨٩) وأسلم السكران بن عمرو العامري اخو حاطب بن عمرو

(٩٠) واسلمت سودة بنت زمعة زوجة السكران بن عمرو ثم بعد وفاته تزوجها رسول الله ﷺ وصارت من امهات المؤمنين

(٩١) وأسلمت ام يقظة بنت علقمة زوجة سليط بن عمرو

(٩٢) وأسلم طليب بن ازهر بن عبد عوف بن عبد الحارث القرشى الزهرى. فهؤلاء احدي وستون رجلا واحدي وثلاثون امرأة السابقون الاولون الى الاسلام وكان اسلامهم قبل دخول دار الارقم وقد علم من نسبهم ان بعضهم من اشراف قريش وساداتهم ، و بعضهم من ابناء الاشراف ، و بعضهم من اوسطهم نسبا، واليعض من حلفائهم ومواليهم . وليسوا كلهم كا

زعم بعض المؤرخين من الضعفاء والاحداث والموالى وقد دخلوا فى الاسلام جماعة وفرادى بغير اكراه ولا اجبار كما يزعم اعداء الاسلام بل كان الاكراه والاجبار واقع عليهم من المشركين ليخرجوهم منه كما سيأتى تفصيله فقد تصدى عظماء قريش الى تعذيب من آمن من هؤلاء سواء كانوا أبناءهم ، أونساءهم ، او حلفاءهم ، أو مواليهم ، بكل أنواع العذاب ولم يزدهم ذلك الاتثبيتا فى دينهم وتمكينا فى إيمانهم فصبروا على ذلك السنين الطوال لكونهم لم يكن لهم من يدرأ عنهم سوء العذاب حتي مكنهم الله تعالى ممن عذبهم ونصرهم على من خالفهم ، وأصبحوا ومن لحقهم فى الاسلام سادة الأمم وقادتها وهذه هى الحكمة العظمى فى الصبر على المكاره ان الله تعالى يوفي الصابرين اجرهم بغير حساب .

دخول دار الارقم

كان كل من أسلم من هؤلاء يكتم اسلامه خشية من أذى المشركين لهم وكان اذا اراد أحدهم الصلاة ذهب الى بعض شعاب مكة فصلى بها . وكان من أشد البلاء على من أسلم منهم اذا كان وحده منفردا فى عشيرة كلها مشركة ومعاندة . ودام هذا الحال على ذلك ثلاث سنين . ثم وقعت حادثة وهي انه بينما كان سعد بن أبي وقاص فى نفر من المسلمين يصلون فى شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين فناكروهم وعابوا عليهم صلاتهم فلم يعبأوا بهم فازداد بالمشركين الطغيان حتي قاتلوهم فضرب سعد بن أبى

وقاص رجلا منهم بلحي بعير فشجه فكان أول دم أهرقه المسلمون من المشركين . و بسبب ذلك دخل رسول الله ﷺ مع أصحابه دار الارقم في الصفا — وهي معروفة الآن بدار الخيزران — كان اشترى هذه الدار الخليفة أبو جعفر المنصور وأعطاها لولده المهدى ثم اعطاها المهدى للخيزران ام ولديه موسى الهادى وهارون الرشيد وسميت باسمها من ذلك التاريخ الى اليوم فكان رسول الله ﷺ واصحابه يقيمون الصلاة فيها سراً الى ان نزل الامر بالدعوة الى الاسلام جهارا .

وقد أسلم كثير من سادات قريش بعد دخول دار الارقم وكان أولهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي العبدري وكان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة وأجودهم حلة مع ابويه فلما أسلم كتم اسلامه خوفا من أمه وقومه فعلم به عثمان بن طلحة فاعلم أهله فأوثقوه فلم يزل محبوسا الى ان هرب مع من هاجر الى الحبشة فرآه رسول الله ﷺ فبكي للذى كان فيه من النعمة ولما صار اليه . وسنأتى على اسماء من اسلم بدار الارقم عند اسلام عمر بن الخطاب لأنه منهم .

الدعوة الى الاسلام جهارا

وفى السنة الرابعه من البعثة أمر الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ ان يصدع بأمره وذلك بقوله تعالى (واصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) ثم أمره بانذار عشيرته الاقربين بقوله تعالى (وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) فاشتد ذلك على النبي ﷺ وضاق ذرعا فمكث نحو شهر فى بيته فظنن عماته أنه مريض فدخلن عليه عائدات فقال ﷺ لهن : ما اشتكيت شيئا لكن الله امرنى بقوله : (وأنذر عشيرتك الاقربين) فأريد أن أجمع بنى عبد المطلب لادعوهم الى الله تعالى » فقلن له : فادعهم ولا تجعل عبد العزي فيهم يعنين عمه ابالهب فانه غير مجيبك الى ماتدعوه اليه وخرجن من عنده ولما اصبح رسول الله ﷺ دعى قرابته فحضروا ومعهم عدة من بنى عبد مناف وجميعهم خمسة واربعون رجلا وفيهم ابولهب فقال له ابو لهب : هؤلاء عمومتك و بنو عمومتك فتكلم بما تريد واترك الصبآت واعلم انه ليس لقومك بالعرب طاقة وان احق من اخذك وحبسك اسرتك و بنو ابيك ان اقمت على امرك فهو ايسر عليك من ان تثب عليك بطون قريش وتمدها العرب فما رايت يا ابن اخى احدا قط جاء بنى ابيه وقومه بشر ما جئتهم به . فلما انتهى ابو لهب من قوله اخبرهم النبي ﷺ بما انزل الله تعالى وقال « يابنى هاشم انقذوا انفسكم من النار ، يابنى عبد شمس انقذوا انفسكم من النار ، يابنى

عبد مناف انقذوا انفسكم من النار، يا بنى زهرة انقذوا انفسكم من النار، يابني عبدالمطلب انقذوا انفسكم من النار، يافاطمة انقذي نفسك من النار ياصفية عمة محمد انقذي نفسك من النار، فانى لا املك لكم من الله شيئا الا ان تقولوا الا اله الا الله » فقال له ابو لهب : تبا لك ألهذا جمعتنا ؟ واخذ حجرا ليرميه به فنزل فى حقه قوله تعالى (تبت يدا ابى لهب وتب)

فمكث ﷺ اياما فجمعهم ثانيا وقال « الحمدلله احمده ، واستعينه ، واومن به ، واتوكل عليه ، واشهد ان لااله الاالله وحده لاشريك له ، ان الرائد لا يكذب اهله ، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ، ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم ، والله الذى لااله الاهو انى لرسول الله اليكم خاصة ، والى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ، ولتجزون بالاحسان احسانا ، وبالسوء سوءا ، وانها لجنة ابدا ، ولنار ابدا ، والله يابنى عبد المطلب ما اعلم شابا جاء قومه بافضل مما جئتكم به انى قد جئتكم بامر الدنيا والآخرة »

فتكلم القوم كلاما ليناغيرابى لهب فانه قال يا بنى عبدالمطلب هذاوالله السوأة خذوا على يده قبل ان يأخذ على يده غيركم فان اسلمتموه حينئذ ذللتم وان منعتموه قتلتم فقالت له اخته صفية بنت عبد المطلب : اي اخى ايحسن بك خذلان ابن اخيك؟ فوالله مازال العلماء يخبرون انه يخرج من صلبي عبد المطلب نبي فهو هو قال ابو لهب هذا والله الباطل والأمانى

وكلام النساء فى الحجال اذا قامت بطون قريش وقامت معها العرب فما قوتنا بهم فوالله ما نحن عندهم الا أكلة راس .فقال ابو طالب : والله لنمنعنه مابقينا

ثم دعى رسول الله ﷺ قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال « يا بني كعب بن لؤي انقذوا انفسكم من النار ، يا بنى مرة بن كعب انقذوا انفسكم من النار ، يابنى عبد شمس انقذوا انفسكم من النار ، يا بني عبد مناف انقذوا انفسكم من النار ، يا بنى هاشم انقذوا انفسكم من النار ، يا بنى عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار ، يا فاطمة انقذى نفسك من النار فانى لا املك لكم من الله شيئا غير ان لكم رحما سأبلها ببلالها »

وخرج رسول الله ﷺ حتي صعد الصفا فهتف ياصباحاه فقالت قريش من هذا الذى يهتف؟ قالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال « يا بنى فلان ، يا بنى فلان ، يا بنى فلان ، يا بنى عبد مناف ، يا بنى عبد المطلب » فاجتمعوا اليه فقال « أريتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم اكنتم مصدقي ؟ » قالوا ماجربنا عليك كذبا قال « يامعشر قريش انقذوا انفسكم من النار ، فانى لا اغنى عنكم من الله شيئا انى نذير لكم مبين بين يدى عذاب شديد ؛ انما مثلى ومثلكم كمثل رجل راى العدو فانطلق يريد اهله فخشي ان يسبقوه الى اهله فجعل يهتف يا صباحاه ، ياصباحاه ، اتيتم ، اتيتم » فقال له ابو لهب تبالك الهذا جمعتنا ؟

وكان ﷺ يطوف على الناس فى منازلهم يقول « يا ايها الناس ان الله

يأمركم ان تعبدوه ، ولا تشركوا به شيئا » وابو لهب وراءه يقول يا ايها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين آبائكم

وكان كفار قريش لا ينكرون لما يقول فكان اذا مر عليهم في مجالسهم يشيرون اليه ان غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء وكان ذلك دأبهم حتي عاب آلهتهم ، وسفه عقولهم ، وضلال آبائهم ، فتنا كروه واجمعوا على خلافه وعداوته

معاداتهم له صلى الله عليه وسلم

فلما عاب رسول الله ﷺ آلهتهم وبين لهم انها لا تضر ، ولا تنفع ولا تشفع ، ولا تغني من الله شيئا وسفه عقولهم بعبادتها ذهبت قريش الى أبي طالب وقالوا له يا ابا طالب ان ابن اخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا وسفه احلامنا — ينسبنا الى قلة العقل — وضال آباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا و بينه فانك على مثل مانحن عليه من خلافه فقال لهم ابو طالب قولا رقيقا ، وردهم رداً جميلا ، فانصرفوا عنه

ومضي رسول الله ﷺ يظهر دين الله الذى ارتضاه لعباده و يدعو اليه لا يرده عن ذلك عناد المعاندين ولا ضلال المضلين ولا زيغ الزائغين . فاجتمعت اشراف قريش من كل قبيلة وقالوا ابعثوا اعلمكم بالسحر ، والكهانة والشعر ، فليأت محمدا الذى فرق جماعتنا ، وشتت امرنا وعاب ديننا ، فليكلمه ولينظر ماذا يريد ؟ حتي نعذر اليه فقالوا لا نعلم احداً غير عتبة بن ربيعة

وكان النبي ﷺ جالسا فى المسجد وحده فقام عتبة حتي جلس الى رسول الله ﷺ فقال يابن اخى انك قد اتيت قومك بامر عظيم ، فرقت به جماعتهم ، وسفهت به احلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت به من مضى من آبائهم ، انت خير ام عبدالله ؟ أنت خير ام عبد المطلب ؟ ان كنت تزعم ان هولاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت ، وان كنت تزعم انك خير منهم فقل يسمع لقولك لقد افضحتنا فى العرب حتي طار فيهم ان فى قريش ساحراً ، وان فى قريش كاهنا ، ما تريد الا ان يقوم بعضنا لبعض بالسيوف حتي نتفانى ، فاسمع منى اعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها فقال رسول الله ﷺ قل يابن الوليد اسمع فقال يابن اخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا من اموالهم حتى تكون اكثرنا مالا ، وان كنت تريد شرفا سودناك علينا حتي لانقطع امرا دونك ، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك رؤيا من الجن تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنالك الطب وبذلنا فيه اموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى فقال له رسول الله ﷺ لقد فرغت يا ابا الوليد قال نعم قال فاسمع مني قال ففعل . قال رسول الله ﷺ « بسم الله الرحمن الرحيم حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم ، كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ، بشيراً ونذيراً فاعرض اكثرهم فهم لايسمعون » ومضي رسول

الله ﷺ يتلو السورة عليه وعتبة بن ربيعة ملق يديه خلف ظهره معتمدا عليها يسمع منه الى ان انتهى رسول الله ﷺ لقوله تعالى (فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود) فامسك عتبة على في رسول الله ﷺ وناشده الرحم ان يكف عن ذلك . ثم انتهى الى السجدة فيها فسجد ثم قال: قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض بحلف لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا له ماوراءك يا ابا الوليد ؟ قال ورائى اني سمعت قولا والله ماسمعت مثله قط والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يامعشر قريش اطيعونى فاجعلوها لى خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان ظهر على العرب فملكه ملككم ، وعزه عزكم ، وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه . قال : هذا رايى فيه فاصنعوا ما بدالكم

فمن هذه القضية يتضح أن عظماء قريش لم يكونوا أغبياء ولا بلداء ولا قاصرى الفهم عن ادراك قول رسول الله ﷺ وما أنزل عليه من ربه وانما ذلك العداء منشؤه الحسد المحض الذى يعمى ويصم ويجعل الشخص يغالط نفسه وغيره ويتعمد قلب الحقيقة ، وتشويه السمعة ، لا لشيء سوى الحسد نفسه لان القرآن نزل بلغتهم فلا تخفى عليهم دقائق معانيه وما يشير اليه من خير ، وشر ، وسعادة ، وشقاء

ثم اجتمعت قريش وقالت ان محمدا نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا الى يهود المدينة واسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا النضر بن الحارثة ، وعتبة بن ابى معيط ، الى احبار اليهود وسألوهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فان أجاب عن كلها أو لم يجب عن شيء منها فليس بنبي وان أجاب عن اثنين ولم يجب عن واحدة فهو نبي فسألوه : عن فتية فقدوا فى الزمن الاول ما كان شأنهم ؟ فانه كان لهم حديث عجيب وعن رجل بلغ مشرق الارض ومغربها ما خبره ؟ وعن الروح فسألوا النبي ﷺ فنزل عليه فى الفتية (أم حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) الآية . ونزل عليه فيمن بلغ المشرق والمغرب قوله (ويسألونك عن ذى القرنين) الآية ونزل فى الروح قوله (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى) الاية . فلم يقتنعوا لا برأي كبرائهم ولا ما أرشدوهم اليه اليهود لأن ذلك لم يتفق مع رغائبهم .

ثم اجتمع أربعون رجلا من اشرافهم منهم عتبة ،وشيبة (ابني ربيعة) وابا سفيان بن حرب ، والنضر بن الحارث ، وابا البحترى بن هشام ، والاسود بن عبد المطلب ،وزمعة بن الاسود ، والوليد بن مغيرة ، وابا جهل بن هشام ، وعبدالله بن ابى أمية ، وامية بن خلف ، والعاص بن وائل ، ونبيها ومنبها (ابنى الحجاج) بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال

بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً وهو يظن أنه بدا لهم فى أمره بداء وكان حريصا يحب رشدهم حتي جلس اليهم فقالوا يا محمد انا بعثنا اليك لنعذر فيك وانا والله لا نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء، وعبت الدين، وسفهت الاحلام، وشتمت الآلهة، وفرقت الجماعة، وما بقي من قبيح الا وقد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتي تكون أكثرنا مالا، وان كنت تريد الشرف سودناك علينا، وان كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وان كان هذا الذى بك رئيا تراه قد غلب عليك لا تستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه ونعذر فيك. فقال رسول الله ﷺ ما بى ما تقولون ماجئتكم به لطلب أموالكم، ولا للشرف عليكم، ولا للملك عليكم، ولكن الله بعثنى اليكم رسولا، وأنزل علي كتابا، وامرنى ان اكون لكم بشيرا ونذيراً، فبلغتكم رسالة ربى، ونصحت لكم، فان تقبلوا منى فهو حظكم من الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لامر الله حتي يحكم الله بينى وبينكم وأنزل الله تعالى فى ذلك (قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان أجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد) فقالوا يا محمد ان كنت غير قابل منا ماعرضنا عليك فقد علمت أنه ليس احد أضيق بلاداً، ولا اشد عيشا منا

فسل ربك الذي بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا و يبسط لنا بلادنا و يفجر لنا فيها الانهار كانها الشام والعراق ، وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخا صدوقا فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل ؟ فان صدقوك صدقناك. فقال رسول الله ﷺ ما بهذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فان تقبلوه فهو حظكم وان تردوه أصبر لامر الله تعالى قالوا فان لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث ملكا يصدقك وأسأله ان يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها على ما تريد فانك تقوم بالاسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه فقال ﷺ ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيراً ونذيرا فانزل الله تعالى « وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام و يمشي في الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ، أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ، أنظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ، تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار و يجعل لك قصورا) ثم قالوا فأسقط السماء كما زعمت أن ربك ان شاء فعل فقال ﷺ ذلك الى الله ان شاء فعل ذلك بكم فقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتنا بالله والملائكة قبيلا . فلما قالوا ذلك قام رسول الله ﷺ وقام معه عبدالله بن ابى أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يامحمد عرض عليك قومك ماعرضوا فلم تقبله

منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل فوالله ما أومن لك أبدا حتي تتخذ الى السماء مرقى ترقي فيه وأنا انظر حتي تأتيها فتأتى بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا أصدقك. فانصرف رسول الله ﷺ الى أهله حزينا لما رأى من مباعدتهم فانزل الله تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتي تفجر لنا من الارض ينبوعا ، او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً ، او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا ، او يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتي تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشراً رسولا) وأنزل الله تعالى (وكذلك ارسلناك فى امة قد خلت من قبلها امم لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب) .

ثم اجتمعت اشراف قريش مرة اخرى وذهبوا الى منزل ابى طالب فقالوا له يا ابا طالب ان لك سنا ، وشرفا ، ومنزلة فينا وانا قد استنهيناك من ابن اخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتي تكفه عنا أو ننازله وإياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على ابى طالب فراق قومه وعداوتهم

ولم يطب نفسا بان يخذل رسول الله ﷺ أو يسلمه لهم فقال له يا بن اخى ان قومك جاؤونى فقالوا لى كذا وكذا فأبق علي وعلى نفسك ولا تحملني من الامر مالا أطيق فظن رسول الله ﷺ أنه قد بدا لعمه فيه بدو وانه خاذله أو مسلمه وانه ضعيف عن نصرته والقيام معه فقال رسول الله ﷺ يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك فيه ما تركته ثم استعبر رسول الله ﷺ فبكي ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يابن اخى فاقبل عليه رسول الله ﷺ فقال اذهب يا بن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشيء أبدا ثم أنشأ يقول .

والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتي اوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة وابشر وقر بذاك منك عيونا
ودعوتنى وزعمت أنك ناصحي ولقد صدقت وكنت ثم أمينا
وعرضت دينا لامحالة انه من خير أديان البرية دينا
لو لا الملامة او حذار مسبة لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

فلما عرفت قريش أن ابا طالب غير خاذل رسول الله ﷺ مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتي فى قريش واجملهم فخذه فلك عقله ونصحه واتخذه ولدا فهو لك واسلم الينا ابن اخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين آبائك وفرق

جماعة قومه وسفه احلامهم فنقتله فانه رجل برجل . فقال لهم ابو طالب والله لبئس ما تسومونني اتعطوني ابنكم اغذوه لكم ؟ واعطيكم ابني تقتلونه هذا والله ما لا يكون ابدا ارايتم ناقة تحن الى غير فصيلها ؟ فقال المطعم بن عدي والله يا ابا طالب لقد انصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما اراك تريد ان تقبل منهم شيئا فقال له ابو طالب : والله ما انصفوني ولكنك قد اجمعت خذلاني ومظاهرة القوم علي فاصنع ما بدالك : فعند ذلك حقب الامر وتنابذ القوم و بادى بعضهم بعضا فقال ابوطالب عند ذلك يعرض المطعم بن عدي ومن عاداه من قبائل قريش .

الا قل لعمرو ، والوليد ، ومطعم ... الا ليت حظي من حياتكم بكر
من الخور حجاب كثير رغاؤه ... يرش على الساقين من بوله قطر
تخلف خلف الورد ليس بلاحق ... اذا ما على الفيفاء قيل له وبر
اري اخوينا من ابينا وامنا ... اذا سئلا قالا الى غيرنا الامر
بلى لهما امر ولكن تجرجما ... كما جرجمت من راس ذي علق صخر
اخص خصوصا عبد شمس ونوفل ... هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر
هما اغمزا للقوم في اخويهما ... فقد اصبحا منهم اكفهم صفر
هما أشركا في المجد من لا اباله ... من الناس الا ان يرس له ذكر
وتيم ومخزوم وزهرة منهم ... وكانوا لنا مولى اذا بغي النصر
فو الله لا ينفك منا عداوة ... ولا منهم ما كان من نسلنا شفر
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم ... وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر

ولما رأي ابو طالب من قريش ما رأى دعى بنى هاشم و بنى المطلب الى ماهو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه فأجابوه الى ذلك غير ابى لهب . فلما رأى ابو طالب من قومه مامره فى جهدهم معه وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر فضل رسول الله ﷺ فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه على امره فقال .

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
فان حصلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا هو المصطفي من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وثمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لا نقر ظلامة اذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمى حماها كل يوم كريهة ونضرب عن احجارها من يرومها
بنا انعش العود الذواء وانما بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

وجلس رسول الله ﷺ يوما فى مجلس فيه من وجهاء قريش منهم ابوجهل ، وعتبة ، وشيبة (ابني ربيعة) وأمية بن خلف ، والوليد بن المغيرة فقال لهم النبي ﷺ أليس حسناً ماجئت به ؟ فقالوا بلى والله فجاء عبدالله ابن أم مكتوم وكان رجلا أعمي فقال يارسول الله علمنى مما علمك الله واكثر علي فأعرض عنه لاشتغاله بأشراف قريش وقد رأى منهم مؤانسة وطمع فى اسلامهم وأشار الى قائده أن يكفه عنه حتي يفرغ من كلامه فكفه

القائد فدفعه ابن أم مكتوم فعبس ﷺ واعرض عنه مقبلا على من كان يكلمه فعاتبه الله تعالى فى ذلك بقوله (عبس وتولى ، ان جاءه الاعمى) فكان بعد ذلك اذا جاءه يقول : مرحبا بمن عاتبنى الله فيه ويبسط له رداءه

وكان كفار قريش يقترحون على النبى ﷺ وكان ذلك تعنتا منهم ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش حين حضر الموسم وكان ذا سن فيهم فقال لهم : يا معشر قريش انه قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فأجمعوا فيه رأيا واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد قولكم بعضه بعضا قالوا فانت يا ابا عبد شمس فقل واقم لنا رأيا فقل به قال بل انتم فقولوا اسمع قالوا نقول كاهن قال والله ماهو بكاهن لقد رأينا الكهان فماهو بزمزمة الكاهن ولا سجعه قالوا فنقول مجنون قال ما هو بمجنون لقد راينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ماهو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فماهو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال ماهو بساحر لقد راينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم قالوا فما نقول يا أبا عبد شمس قال والله ان لقوله لحلاوة ، وان اصله لعذق ، وان فرعه لجناة ، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً الاعرف انه باطل وان أقرب القول فيه لان تقولوا هو ساحر جاء بقوله هو سحر يفرق به بين المرء وابيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته . فتفرقوا عنه بذلك

فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدومهم الموسم لا يمر بهم احد الا حذروه اياه وذكروا له أمره فانزل الله تعالى فى الوليد بن المغيره قوله (ذرنى ومن خلقت وحيداً ، وجعلت له مالا ممدودا ، و بنين شهودا ، ومهدت له تمهيدا ، ثم يطمع ان أزيد ، كلا انه كان لآياتنا عنيدا ، سأرهقه صعودا ، انه فكر وقدر ، فقتل كيف قدر ، ثم قتل كيف قدر ، ثم نظر ، ثم عبس و بسر ، ثم أدبر واستكبر ، فقال ان هذا الا سحر يؤثر ، إن هذا الا قول البشر) وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها فخشى ابو طالب دهماء العرب ان يركبوه مع قومه فقال قصيدته

ولما رايت القوم لا ود فيهم ... وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذي ... وقد طاوعوا امر العدو المزايل
وقد حالفوا قوما علينا اظنة ... يعضون غيظا خلفنا بالانامل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة ... وابيض عضب من تراث المقاول
واحضرت عند البيت رهطى واخوتى ... وامسكت من اثوابه بالوصائل
قياما معا مستقبلين رتاجه ... لدى حيث يقضى حلفه كل نافل
وحيث ينيخ الاشعرون ركابهم ... بمنفض السيول من اساف ونائل
موسمة الاعضاد او قصراتها ... مخيسة بين السديس و بازل

وهى قصيدته اللامية المشهورة التي تربو على المائة البيت وهى مذكورة بطولها فى سيرة ابن هشام .

فلما راى رسول الله ﷺ تعند قريش وتصلبهم على مقاومته وعدم الانصاف منهم وعدم التفاهم معهم ضاق ذرعا فانزل الله سبحانه وتعالى عليه (بسم الله الرحمن الرحيم طسم ، تلك ايات الكتاب المبين ، لعلك باخع نفسك الايكونوا مؤمنين ، ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ، وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين ، فقد كذبوا فسيأتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤون)

ايذاء المشركين له صلى الله عليه وسلم

لما عجز المشركون من محاورة النبي ﷺ ولم يجدوا لديهم من الحجج ما يردوا به دعوته ﷺ الى الاسلام بعد ان أفحمهم بحجج القرآن القاطعة وبراهينه المحسوسة الظاهرة لديهم أجمعوا على ايذائه كفرا وحسدا وعناداً له حيث ان الله سبحانه وتعالى أكرمه بالرسالة دونهم وفضله عليهم وعلى غيرهم بالنبوة التى تميز بها عنهم .

فمن ذلك انه بينما كان ﷺ يصلي فى المسجد اذ قال ابو جهل ابن هشام الا رجل يقوم الى جزور آل فلان؟ فيعمد الى فرثها ودمها وسلاها فيجيئني به ثم يمهله حتي اذا سجد وضعه بين كتفيه فانبعث أشقاهم عقبة ابن ابى معيط واتى به فلما سجد رسول الله ﷺ وضعه بين كتفيه وثبت رسول الله ﷺ ساجدا فضحكوا حتى أستلقى بعضهم على بعض من الضحك

فانطلق منطلق الى فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهي جويرية فاقبلت تسعى فألقته عنه واقبلت عليهم تسبهم فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال اللهم عليك بقريش ثم سمى فقال اللهم عليك بعمرو بن هشام، وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وامية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط وعمارة بن الوليد، فاستجاب الله دعاءه وكلهم قتلوا بسيف الاسلام يوم بدر

ومن ذلك كان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ويده على يد أبي بكر وكان فى الحجر ثلاثة نفر من كفار قريش جلوسا وهم عقبة بن ابى معيط، وابوجهل بن هشام، وامية بن خلف، فمر رسول الله ﷺ فلما حاذاهم أسمعوه بعض ما يكره فعرف عثمان بن عفان ذلك فى وجه النبي ﷺ فدنا منه ووسطه بينه وبين ابي بكر فأدخل أصابعه فى أصابعه وطافوا فلما حاذاهم قال ابوجهل والله لا نصالحك ما بل بحر صوفه وأنت تنهى أن نعبد مايعبد آباؤنا فقال رسول الله ﷺ أنا على ذلك ثم مشي عنهم فصنعوا به في الشوط الثالث مثل ذلك حتي اذا كان الشوط الرابع قاموا له ووثب ابوجهل يريد ان يأخذ بمجامع ثوبه فدفعه عثمان بن عفان فى صدره فوقع على أسته ودفع ابو بكر أمية بن خلف ودفع رسول الله ﷺ عقبة بن ابي معيط ثم انفرجوا عن رسول الله ﷺ وهو واقف ثم قال أما والله لا تنتهون حتى يحل عليكم عقابه فما منهم رجل الا وقد اخذته الرعدة فجعل رسول الله ﷺ يقول بئس القوم أنتم لنبيكم ثم انصرف الى بيته وتبعه أبو بكر وعثمان حتي انتهي

الى باب بيته ثم اقبل عليهما بوجهه فقال ابشروا فان الله عز وجل مظهر دينه ، ومتمم كلمته ، وناصر نبيه ، ان هؤلاء ترون من يذبح منهم على ايديكم عاجلا .

ومن ذلك ما وقع عليه ﷺ من المشركين انه اجتمع ساداتهم وكبرائهم فى الحجر فذكروا رسول الله ﷺ فقالوا ما صبرنا لامر قط كصبرنا لامر هذا الرجل ولقد سفه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب ديننا ، وفرق جماعتنا ، وسب آلهتنا ، لقد صبرنا منه على امر عظيم .

فبينما هم على ذلك اذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فاقبل يمشي حتى استلم الركن ثم مر طائفا بالبيت فلما مر عليهم لمزوه ببعض القول فعرف ذلك فى وجهه ﷺ ثم مر بهم الثانية فلمزوه بمثلها فعرف ذلك فى وجهه ثم مر بهم الثالثة فوقف عليهم وقال أتسمعون يا معشر قريش ؟ أما والذي نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح فارتعبوا لكلمته تلك وما بقى رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع فصاروا يقولون يا ابا القاسم انصرف فوالله ما كنت جهولا . فانصرف رسول الله ﷺ . فلما كان الغد اجتمعوا في الحجر فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغه منكم وما بلغكم منه ، حتي اذا نادا كم بما تكرهون تركتموه فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فتواثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به وهم يقولون أنت تقول كذا وكذا يعنون عيب آلهتهم ودينهم فقال ﷺ نعم انا الذى أقول

ذلك فتشبثوا به باجمعهم فأتى الصريخ آل ابى بكر رضي الله عنه فقيل له أدرك صاحبك فخرج أبو بكر حتي دخل المسجد فوجد رسول الله ﷺ والناس مجتمعون عليه فقال : ويلكم أتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟ فكفوا عن رسول الله ﷺ وأقبلوا على أبى بكر يضربونه .

ومنها انه مر مرة اخرى عليهم وهم مجتمعون فقاموا اليه ﷺ وجذبوا رأسه الشريفة ولحيته حتى سقط أكثر شعرها فقام أبو بكر دونه وهو يبكى ويقول اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ؟ فقال رسول الله ﷺ دعهم يا أبابكر فوالذي نفسى بيده انى بعثت اليهم بالذبح فانفرجوا عنه .

ومن ذلك أنهم اجتمعوا مرة اخري فى الحجر فقالوا اذا مر محمد فليضربه كل منا بسيفه ضربة فنقتله فسمعتهم فاطمة بنت رسول الله ﷺ فدخلت على ابيها وهى تبكى فقالت له : تركت الملأ من قريش قد تعاقدوا فى الحجر فحلفوا باللات والعزى ومناة واساف ونائلة اذا هم رأوك يقومون اليك فيضربونك بأسيافهم فيقتلونك فقال : ﷺ اسكتى لا تبكى ثم خرج بعد ان توضأ فدخل عليهم المسجد فرفعوا رؤوسهم ثم نكسوا فاخذ قبضة من تراب فرمي بها نحوهم ثم قال شاهت الوجوه فما رجل منهم اصابه ذلك الا قتل ببدر .

ومن ذلك كان اذا قرأ رسول الله ﷺ القرآن وقف جماعة من المشركين عن يمينه وعن يساره يصفقون و يصفرون و يخلطون عليه بالاشعار.
ومر ابو جهل يوما برسول الله ﷺ عند الصفا فآذاه وشتمه و نال منه مايكرهه من العيب لدينه والتضعيف لامره فلم يكلمه رسول الله ﷺ وكانت هناك مولاة لعبد الله بن جدعان فى مسكن لما تسمع ذلك وتبصره فانصرف أبوجهل الى نادى قريش فى المسجد فجلس معهم فاقبل حمزة بن عبد المطلب متوشحا قوسه راجعا من قنصه وكان من عادته اذا رجع من قنصه لا يدخل الى أهله حتى يطوف بالكعبة وكان اذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش الا وقف وسلم وتحدث معهم وكان اعز فتى في قريش وأشد شكيمة فمر على تلك المولاة وقد رجع رسول الله ﷺ الى بيته فقالت له: ياابا عمارة لو رأيت مالقي ابن أخيك محمد آنفا من ابى الحكم بن هشام وجده ههنا جالسا فاذاه وسبه و بلغ منه ما يكره فاحتمل حمزة الغضب ودخل المسجد فراي ابوجهل جالساً فى القوم فأقبل نحوه حتي قام على رأسه ورفع القوس وضربه فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه وانا على دينه اقول مايقول فرد على ذلك ان استطعت فصار ابوجهل يتضرع اليه و يقول سفه عقولنا ، وسب آلهتنا وخالف آباءنا فقال حمزة : ومن اسفه منكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لااله الا الله و ان محمدا رسول الله فقامت رجال من بنى مخزوم عشيرة ابى جهل لينصروا ابا جهل فقالوا لحمزة ما نراك الاقد صبأت قال حمزة

وما يمنعني وقد استبان لي فيه انه رسول الله و الذي يقوله حق والله لا افزع فما منعوني ان كنتم صادقين فقال لهم ابو جهل : دعوا ابا عمارة فاني والله قد اسمعت ابن اخيه شيئا .

وكان المستهزؤن برسول الله ﷺ الوليد بن المغيرة ، والاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث ، وابو جهل ، وابو لهب ، وعقبة بن ابي معيط ، والحكم ابن العاص بن أمية ، والعاص بن وائل ، والحارث بن عيطلة ، وامية بن خلف ، وأبي بن خلف ، وكان من اشد المستهزئين فجاء أبي يوما الى النبي ﷺ بعظم مفتوت في يديه و قال زعمت ان ربك يحيي هذا العظم فنزلت (قل يحييها الذي انشأها اول مرة) ومن المستهزئين قيس بن الفاكهة بن المغيرة ، والنضر ابن الحارث بن علقمة ، وكان النضر من اشد قريش تكذيبا وايذاء لرسول الله ﷺ وكان يقرا كتب الفرس ويخالط اليهود ، والنصارى وسمع بذكر النبي ﷺ ومبعثه فقال ان جاءنا نذير لنكونن اهدى من احدى الامم فنزلت (واقسموا بالله جهد ايمانهم) الآية وكان يقول انما يأتيكم محمد باساطير الاولين فنزلت فيه عدة آيات . ومنهم نبيه ومنبه ، (ابنا الحجاج السهمي) ومنهم زهير بن ابي امية ، ومالك بن الطلاطلة بن عمرو ، وركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب وكان يرمي رسول الله ﷺ بالسحر . وكان من استهزائهم له ﷺ ان ابا لهب يطرح القذر على باب رسول الله ﷺ فمر به حمزة يوما وهو يفعل ذلك فاخذ القذر وطرحه على راسه فجعل ابو لهب يقول

وهو ينفض رأسه صابئ احمق . وكان عقبة بن ابى معيط يلقى القذا ايضا على بابه ﷺ و بصق في وجه النبي ﷺ فعاد البصاق على وجهه وصار برصا .

وكان النبي ﷺ لا يلتفت الى كل ذلك ولا الى غيره من الايذاء والاستهزاء بل كان يقارعهم جهده ويجد فى نشر دعوته ويجير من يستجير به فكان رسول الله ﷺ مرة جالساً فى المسجد ومن معه من اصحابه اذا رجل من زبيد يطوف على قريش حلفة بعد اخرى وهو يقول: يا معشر قريش كيف تدخل عليكم المارة ، أو يجلب اليكم جلب ، أو ينزل بساحتكم تاجر ، وأنتم تظلمون من دخل عليكم فى حرمكم حتى انتهى الى رسول الله ﷺ واصحابه فقال له : رسول الله ﷺ ومن ظلمك ؟ فذكر انه قدم بثلاثة أجمال خيرة ابله فساومه بها أبوجهل بثلث أثمانها ولم يسمه أحد لاجله فأكسدها عليه فقال له : ﷺ وأين أجمالك ؟ فقال هذه هي بالحزورة فقام رسول الله ﷺ وقام أصحابه فنظروا الى الجمال فرأى جمالا حسانا فساوم ذلك الرجل حتي الحقه برضاه وأخذها رسول الله ﷺ فباع جملين منها بالثمن وأفضل بعير باعه وأعطي أرامل بنى عبد المطلب ثمنه وكل ذلك وأبوجهل جالس فى ناحية من السوق ولم يتكلم ثم أقبل اليه رسول الله ﷺ فقال له : إياك يا عمرو ان تعود لمثل ما صنعت بهذا الرجل فترى منى ما تكره فجعل يقول : لا أعود يا محمد ، لا أعود يا محمد ، فانصرف رسول الله ﷺ فأقبل على ابي جهل أمية بن خلف ومن معه من القوم فقالوا له ذلت فى يد محمد فاما أن تكون

تريد أن تتبعه و إما رعب دخلك منه فقال لهم : لا أتبعه أبدا ان الذى رأيتم مني لما رايته رأيت معه رجالا عن يمينه ورجالا عن شماله معهم رماح يشرعونها الي لو خالفته لكانت إياها

ومن ذلك ان أبا جهل ابتاع من شخص يقال له الاراشي نسبة الى إراشة بطن من خثعم أجمالا فمطله باثمانها فوقف الرجل على نادى قريش فقال :يا معشر قريش من رجل يعيننى على ابى الحكم بن هشام؟ فانى غريب وابن سبيل وقد غلبنى على حقي فدلته قريش على النبي ﷺ لينصفه من أبى جهل استهزاء برسول الله ﷺ لعلمهم بانه لا يقدر على ابى جهل فجاء الى رسول الله ﷺ فذكر له حاله مع ابى جهل وقل له : قد سألت هؤلاء القوم عن رجل يأخذلى حق منه فأشاروا اليك فخذحقي منه يرحمك الله فخرج النبي ﷺ مع الرجل الى ابى جهل و ضرب عليه بابه فقال : من هذا ؟ قال : محمد فخرج اليه وقد انتقع لونه فقال له : رسول الله ﷺ أعط هذا حقه قال : نعم لا تبرح حتي اعطيه الذي له فدفعه اليه ثم ان الرجل اقبل حتي وقف على ذلك المجلس فقال : جزاه الله خيراً — يعنى النبي ﷺ — فقد والله اخذ لى بحقي وقد كانوا ارسلوا رجلا ممن كان معهم خلف النبي ﷺ وقالوا له : انظر ماذا يصنع ؟ فسألوا الرجل ماذا رأيت ؟ قال : رأيت عجبا والله ما هو الا ان ضرب عليه بابه فخرج اليه ومعه رمحه فقال:اعط هذا الرجل حقه فقال نعم فاخرج

له حقه فعند ذلك قالوا: لأبي جهل ويلك ما رأينا مثل ما صنعت قال: ويحكم والله ماهو الا أن ضرب علي بابي وسمعت صوته فملئت رعبا. فهذا بعض ما وقع منهم من الأذي والاستهزاء برسول الله ﷺ.

ايذاؤهم لمن أسلم من اصحابه ﷺ

واما ما وقع منهم فى تعذيب من اسلم من الصحابة رضي الله عنهم فكانوا اذا سمعوا برجل أسلم له شرف، ومنعة لاموه ووبخوه وتهددوه وآذوه بقدر ما يتسنى لهم وان كان ضعيفا ضربوه وعذبوه أشد العذاب ومما وقع لابى بكر رضى الله عنه من الاذى أنه خرج مع رسول الله ﷺ واصحابه من دار الارقم حتي اتوا المسجد فقام ابو بكر فى الناس خطيباً ورسول الله ﷺ جالس ودعى الى الله ورسوله وهو اول خطيب فى الاسلام دعى الى الله تعالى فثار المشركون على ابى بكر وعلى المسلمين فضربوهم ضربا شديدا ووطىء أبو بكر بالارجل وضرب ضربا شديدا وصار عتبة بن ربيعة يضرب ابا بكر بنعلين مخصوفتين على وجهه حتي صار لا يعرف أنفه من وجهه فجاءت بنو تيم يتعادون فأجلت المشركين عن أبى بكر الى أن ادخلوه منزله ولا يشكون فى موته فرجعوا الى المسجد فقالوا: والله لئن مات أبو بكر لنقتلن عتبة ثم رجعوا الى أبى بكر وصار والده ابو قحافة و بنو تيم يكلمونه فلا يجيب حتى اذا كان آخر النهار تكلم وقال: ما فعل رسول الله ﷺ؟ فعذلوه فصار يكرر ذلك فقالت أمه والله مالى علم بصاحبك فقال: اذهبي

الى أم جميل بنت خطاب فاسألها عنه وأم جميل هى أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت اسلمت وتخفى اسلامها . فخرجت ام ابى بكر اليها وقالت: لها ان ابابكر يسأل عن محمد بن عبدالله فقالت: لا اعرف محمدا ولا أبا بكر ثم قالت لها :تريدين أن أخرج معك قالت :نعم فخرجت معها الى ان جاءت أبابكر فوجدته صريعا فصاحت وقالت : ان قوما نالوا هذا منك لأهل فسق وانى لأرجو أن ينتقم الله منهم فقال لها : ابو بكر ما فعل رسول الله ﷺ ؟ فقالت له : هذه أمك تسمع قال : فلا عين عليك منها قالت : سالم قال :اين هو؟ قالت: في دار الارقم فقال : والله لا اذوق طعاما ولا شرابا أو آتى رسول الله ﷺ فامهلته أمه حتى اذا هدأت الرجال وسكن الناس خرجت به أمه يتكىء عليها حتي دخل على رسول الله ﷺ فرق له رقة شديدة وأكب عليه يقبله وأكب عليه المسلمون كذلك فقال أبو بكر : بابى أنت وأمى يا رسول الله ما بى من باس الا ما نال الناس من وجهى وهذه أمي برة بولدها فعسي الله ان يستنقذها بك من النار فدعى لها رسول الله ﷺ ودعاها الى الاسلام فأسلمت .

واما تعذيبهم لعمار بن ياسر ، وأبيه ياسر ، وأمه سمية ، واخيه عبد الله ، فكانوا يعذبونهم أشد العذاب مرة بالنار ، ومرة بالضرب ، وغير ذلك من انواع العذاب لاجل أن يخرجوهم من دين الاسلام فمر بهم النبي ﷺ فقال : صبراً آل ياسر، صبراً آل ياسر ، فان موعدكم الجنة

فمات ياسر فى العذاب وأعطيت سمية أم عمار لابى جهل يعذبها وكان الذي اعطاها له عمه أبوحذيفة بن المغيرة لانها كانت مولاته فأخذها ابو جهل وعذبها تعذيباً شديدا رجاء ان يفتنها فى دينها فلم تجبه لما يسأل ثم طعنها فى فرجها بحربة فماتت وكان ابو جهل يلبس عماراً درعا من حديد فى اليوم الصائف الشديد الحر ويطرحه فى الرمضاء .

واما خباب بن الارث فكان يعذب بالنار فكانوا يوقدون النار و يضعونها على ظهره فما يطفيها الا ودك ظهره — أى شحم ظهره — فاتي النبي ﷺ وهو متوسد بردة فى ظل الكعبة وقال : يارسول الله الا تدعوا الله لنا ؟ فقعد رسول الله ﷺ محمرا وجهه فقال له : انه كان من قبلكم ليمشط أحدهم بأمشاط الحديد مادون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك عن دينه ليظهرن الله هذا الامر حتي يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله والذئب على غنمه

وقد اشتد العذاب على الموالى فكان ابو بكر رضي الله عنه اذا مر بأحد من العبيد يعذب أشتراه وأعتقه فمن أولئك العبيد بلال بن رباح كان مولى أمية بن خلف الجمحي وامه حمامة ، وعامر بن فهيرة ، وأبو فكيهة ، ولبيبة جارية بنى المؤمل ، والنهدية ، وبنتها ، وزنيرة ، وأم عبيس ، أمة بنى زهرة . فكان أمية بن خلف يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد ان يجيعه و يعطشه ليلة و يوما فيطرحه على ظهره في الرمضاء اذا اشتدت حرارتها

بحيث لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له :لا تزال هكذا حتي تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى، فيأبى ذلك ، يقول: احد احد ومر به ورقة بن نوفل وهو يعذب ويقول احد احد فقال : ورقة نعم احد احد والله يا بلال ثم قال : ورقة لامية ابن خلف« ومن يصنع ذلك به من بنى جمح» والله لأن قتلتموه لاتخذنه حنانا : وكانوا يعطونه للولدان فيرطونه بحبل ويطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول احد احد فيخرج مرارة العذاب بحلاوة الايمان فمر به ابو بكر رضي الله عنه وهو يعذب وعلى صدره صخرة عظيمة فقال : لامية بن خلف الاتتق الله فى هذا المسكين؟ فقال: انت أفسدته فأنقذه بما ترى قال: ابو بكر عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به قال قبلت هو لك فاعطاه ابو بكر غلامه ذلك وأخذ بلالا فأعتقه . واشترى أم بلال حمامة وهى تعذب وأعتقها .واشترى عامر بن فهيرة وهو يعذب فى الله حتي لايدري ما يقول وكان لرجل من بنى تميم من قرابة أبي بكر فأعتقه . وأشترى اخت عامر وامه وكانتا لعمر بن الخطاب وكان يعذبهما فأعتقهما ، واشترى أبا فكيهة وهو يعذب وكان عبدا لصفوان بن امية فكان صفوان يربط في رجله حبلا ويجره فى نصف النهار فى شدة الحر مقيداً الى الرمضاء فيضع على بطنه صخرة فيخرج لسانه من شدة العذاب وكان امية بن خلف والد صفوان يقول له : زده عذابا حتي يأتى محمد فيخلصه بسحره فاشتراه ابو بكر

رضي الله عنه وأعتقه ، واشترى ابو بكر رضى الله عنه أم عنيس وأعتقها وكانت امة لبنى زهرة فكان الاسود بن عبد يغوث الزهرى يعذبها واشترى ايضاً ابو بكر ابنتها لطيفة واعتقها ، واشترى ابو بكر لبيبة جارية المؤمل بن حبيب واعتقها : واشترى ابو بكر رضى الله عنه الزنيرة وكانت أمة عمر بن الخطاب وكان يعذبها ومعه جماعة من قريش فتأبي الا الاسلام وكان ابو جهل يقول : الا تعجبون الى هؤلاء واتباعهم ؟ لو كان ما أتى به محمد خيرا ما سبقونا اليه افتسبقنا زنيرة الى رشد ، ولما اشتد الضرب والعذاب على الزنيرة عميت وذهب بصرها فقال لها المشركون ماأصاب بصرك الا اللات والعزي فقالت لهم : والله ماهو كذلك وماتدريا اللات والعزى من يعبدهما ولكن هذا أمر من السماء وربى قادر على ان يرد علي بصرى فرد الله عليها بصرها صبيحة تلك الليلة فقالت :قريش هذا من سحر محمد فأعتقها ابو بكر رضى الله عنه .

هذا بعض ما كان يصنعه المشركون من تعذيب الموالى والمستضعفين من المسلمين ليكرهوهم على الخروج من دين الاسلام فلو كان دين الاسلام باطلا لما ثبت هؤلاء على دينهم رغم ما نالوه من العذاب على تركه وقد ظهر بعد ذلك كما سيأتى ان معظم هؤلاء الذين امتحنوا فى دينهم قد مكنهم الله تعالى ممن عذبهم فأخذوا بثارهم وانتقموا منهم وصار بعضهم سادة عليهم .

وكان المسلمون مجتمعين يوما فقالوا : ما سمعت قريش القرآن جهرا

من رسول الله ﷺ فمن منكم يسمعهم القرآن جهرا ؟ فقال : عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انا فقالوا : نخشى عليك منهم انما نريد رجلاله عشيرة يمنعونه من القوم فقال دعونى فان الله سيمنعنى منهم ثم انه قام عند مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام فى المسجد وقت طلوع الشمس وقريش في انديتهم فقال : (بسم الله الرحمن الرحيم ، الرحمن علم القرآن) واستمر فيها رافعاً صوته فقالوا : ما بال ابن أم عبد فقال : بعضهم يتلو بعض ما جاء به محمد ثم قاموا اليه يضربون وجهه وهو مستمر فى قراءتها حتي قرأ غالب السورة ثم انصرف الى أصحابه وقد دمي وجهه فقال له : اصحابه هذا الذى خشينا عليك منه فقال : والله ما رأيت أعداء الله أهون علي مثل اليوم ولو شئتم لأتيتهم بمثلها غداً . فقالوا : لا قد أسمعتهم مايكرهون .

وكان الصحابة رضى الله عنهم مجدون فى بث الدعوة مع النبي ﷺ ويحاولون كل الاوجه التي يمكن بها التفاهم مع قومهم وعشيرتهم ولكن المعاندين منهم لا يريدون التفاهم أبدا و يصغون الى حديثهم ولا يحبون ان يستمعوا القرآن بالاخص منهم ولا يرون أثقل منهم لانهم يفهمون انهم على الحق ولكن الحسد قد أخذمن أسماعهم وابصارهم وقلوبهم كل مأخذ فلذلك ينفرون منهم و يبعدون كل البعد عن سماع القرآن لانه أعظم موبخ لهم على حالتهم التى هم عليهامن الكفر، والعناد ، والضلال، والغي، ومع ذلك كله فان اصحاب رسول الله ﷺ مجدون فى عملهم ولا يثنى عزمهم شيء مهما

عظم وكبر عن بث الدعوة الى الاسلام مهما استطاعوا أملا انهم ينجحون ولو بعض النجاح بواسطة التفاهم مع من يجدون فيه بعض الاصغاء اقتداء برسول الله ﷺ لان العناد كان مستحكما فى أدمغتهم الا من هداه الله تعالى منهم وقد نجحوا بجهودهم ومساعيهم فأخذ يدخل فى الاسلام كل من اراد الله له بالهداية من رجال ونساء وموالى وتتابع الناس ممن صغى الى القرآن وظهر نوره واضحا أمامه كالشمس فى رابعة النهار لان التفاهم مع من يريد التفاهم منهم سهل جداً لكونهم أمة واحدة ولغتهم واحدة والذكاء مفرط فيهم ولذلك نجد بعضهم يؤمن حال سماعه للقرآن فيرسخ فى قلبه بمجرد السماع مرة واحدة ثم يعذب العذاب الاليم بعد ذلك على الخروج منه والكفر به فلم يخرج منه ولو قرض لحمه بالمقاريض وهذا أعظم دليل على ان الايمان هو نور الهي متى دخل القلب لا يخرج منه وأما الذين ارتدوا منهم فهؤلاء لم يدخل الايمان فى قلوبهم ولو دخله لما ارتدوا أبدا مهما عذبوا ولو قطعت رقابهم والدليل على ذلك ما وقع على المستضعفين من انواع العذاب وهم فى أشد حالات التعذيب يقول : احدهم احد احد حيث ان الايمان لم يكن مصلحة شخصية مجردة اذا حاول الانسان انالتها بالتي هى احسن وبما استطاعه من الحيل على الوصول اليها فاذا استعصت عليه تركها واذا تحصل عليها ثم اكره على تركها تركها غير آسف عليها بل الايمان غير ذلك فانه نور متي دخل القلب سكنه ولم يخرج منه ابدا وقد عرف الايمان من ذاق

حلاوته والذى لم يدخل الايمان قلبه ولم يذق حلاوته فلا يعرف له طعما ولا يستطيع له فهما ولا يمكن تصوره له بالوصف . والمكابرة في ذلك لا محل لها

الهجرة الاولى الى الحبشة

وقعت فى شهر رجب من السنة الخامسة للبعثة النبوية وذلك انه لما رأي رسول الله ﷺ ان المشركين يشتدون في اذى اصحابه ويبالغون في تعذيبهم ولا يستطيع ان يكفهم عنهم قال لهم : لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده احد وهى ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه فخرج اليها كل من خاف الفتنة فرارا الى الله بدينه فكان الذى هاجر اليها احدي عشر رجلا واربعة نسوة اما الرجال فهم (١) عثمان بن عفان (٢) عبدالرحمن بن عوف (٣) الزبير بن العوام (٤) ابو حذيفة بن عتبة (٥) مصعب بن عمير (٦) ابوسلمة بن عبدالاسد (٧) عثمان بن مظعون (٨) عامر بن ربيعة (٩) سهيل بن بيضاء (١٠) ابو سبرة بن أبى رهم العامرى (١١) حاطب بن عمر العامري وأما النساء فهن (١) رقية بنت النبي ﷺ زوجة عثمان بن عفان (٢) سهلة بنت سهل امرأة أبى حذيفة (٣) أم سلمة بنت أبى أمية امرأة أبى سلمة (٤) ليلى بنت أبى خيثمة امرأة عامر بن ربيعة . وكان عليهم عثمان بن مظعون .

وكان أول من خرج عثمان بن عفان مع زوجته رقية رضي الله عنهما فقال رسول الله ﷺ ان عثمان لأول من هاجر باهله بعد نبي الله لوط عليه السلام وتتابع المهاجرون منسلين برا مشاة الى ان وصلوا الساحل ثم استأجروا سفينة بنصف دينار فلما سمعت قريش بهجرتهم خرجوا في أثرهم حتى جاؤا الى البحر حيث ركبوا فلم يدركوهم . فأبطأ على رسول الله ﷺ خبرهم فقدمت امرأة فقالت قد رأيتهما وقد حمل عثمان امرأته على حمار فقال: رسول الله ﷺ صحبهما الله ولما وصلوا الحبشة اكرمهم النجاشي واقاموا عنده آمنين وقالوا جاورنا بها خير جار على ديننا و عبدنا الله تعالى لا نؤذي ولا نسمع شيئا نكرهه فمكثوا بارض الحبشة بقية رجب وشعبان الى رمضان فبلغهم أن عظماء قريش اسلموا واصطلحوا مع رسول الله ﷺ فقال المهاجرون من بقي بمكة اذا أسلم هؤلاء عشائرنا أحب الينا فخرج جماعة منهم عثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وعثمان ابن مظعون ، وذلك في شوال سنة خمس من البعثة حتي وصلوا دون مكة بساعة لقوا ركبا فسألوهم عن قريش فقالوا لهم ذكر محمد آلهتهم بخير .

وذلك ان رسول الله ﷺ قرأ سورة (والنجم اذا هوى) حتي بلغ (افرأيتم اللات والعزى ، ومناة الثالثة الاخرى) فالقي الشيطان في أمنية قريش تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهم لترتجى فظنوا أن النبي ﷺ تلى ذلك ضمن السورة ففرحوا لكونه مدح آلهتهم فلما بلغ السجدة من

السورة سجدوا معه ثم لما عاد اشتم آلهتهم عادوا بالشر . فلما بلغ من عاد من الحبشة أن قريشاً لا يزالون على ماهم عليه من الشرك والاذى تشاوروا في الرجوع الى أرض الحبشة ثم قالوا قد بلغنا مكة فندخل ننظر ما فيه قريش فدخل بعضهم في جوار ، و بعضهم مستخفياً .

اسلام عمر بن الخطاب

عمر بن الخطاب بن نوفل بن عبدالعزي بن رباح بن عبدالله بن قرط ابن رزاح بن عدي بن كعب القرشي العدوى . وأمه حنتمة بنت هاشم بن المغيرة المخزومي . ولد بعد الفيل بثلاثة عشر سنة كان طويلا جسيما أصلع أشعر شديد الحمرة كثير السبلة في اطرافها صهوبة وفي عارضه خفة كان اذا رآه رسول الله ﷺ ورأى ابا جهل عمرو ابن هشام يقول : اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب او بأبي جهل بن هشام فكان احبهما الى الله تعالى عمر بن الخطاب وكان عمر من اشراف قريش واليه كانت السفارة في الجاهلية فكانت قريش اذا وقع بينهم حرب او بينهم وبين غيرهم بعثوه سفيرا وان نافرهم منافر او فاخرهم مفاخر رضوا به و بعثوه منافرا او مفاخراً . وكان من اشد الناس على رسول الله ﷺ وسبب اسلامه انه كان في يوم شديد الحر بالهاجرة في بعض طرق مكة اذ لقيه نعيم بن عبد الله النحام القرشي العدوى وكان قد اسلم وكتم اسلامه فقال له : اين تذهب يا عمر ؟ انك الصلب القوي

فى دينك وقد دخل عليك هذا الامر فى بيتك قال: وما ذاك ؟ قال : اختك قدصبأت فرجع . وقد كان النبي ﷺ يجمع الرجل والرجلين اذا اسلما عند رجل به قوة فيكونان معه ويصيبان من طعامه وقد ضم الى سعيد بن زيد زوج فاطمة بنت الخطاب اخت عمر خباب بن الارث وكان يختلف اليهما يعلمهما القرآن فلما جاء عمر قرع الباب فقيل من بالباب؟ فقال ابن الخطاب وكانوا جلوسا يقرؤن فى صحيفة فقامت اخته فاطمة ففتحت له الباب فدخل عليها فقال يا عدوة نفسها قد بلغنى عنك انك قد صبأت فوثب على ختنه سعيد بن زيد واخذ بلحيته وضرب به الارض وجلس على صدره فجاءت لتكفه عن زوجها فلطمها لطمة شج بها وجهها فسال الدم فلما رات الدم بكت وغضبت وقالت له اتضربنى يا عدو الله ؟ على ان اوحد الله لقد اسلمت على رغم انفك يا ابن الخطاب فما كنت فاعلا فافعل قال: عمر رضي الله عنه فاستحييت حين رايت الدم فقمت وجلست على سريرو انا مغضب فنظرت فاذا كتاب في ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب اعطنيه انظره وكان عمر قارئاً فقالت : اخته لا اعطيكه لست من اهله انت لا تغتسل من الجنابة ولا تتطهر ولا يمسه الا المطهرون قال : عمر فما زالت بها حتي اعطتنيه فاذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي وجعلت افكر ثم رجعت اليه فاذا فيه (سبح لله ما فى السموات والارض)

حتى بلغ (آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) الى قوله (ان كنتم مؤمنين) فقال : اشهد ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله فخرج القوم يتبادرون بالكبير استبشاراً بما سمعوا منى ثم قالوا : يا ابن الخطاب ابشر فان رسول الله ﷺ دعى يوم الاثنين فقال اللهم اعز الاسلام بعمر او بعمرو وانا نرجوا ان تكون دعوته لك فقلت : اخبروني بمكان رسول الله ﷺ قالوا : هو فى اسفل الصفا فجئت الى رسول الله ﷺ فى دار الارقم حيث كان ﷺ مختفيا فيها بمن معه من المسلمين فقرعت الباب فقيل من هذا ؟ قات : ابن الخطاب قال : وقد عرفوا شدتى على رسول الله ﷺ ولم يعلموا باسلامى فما اجترأ احد منهم ان يفتح الباب فقال : ﷺ افتحوا فان يرد الله به خيرا يهده وقال : حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه لما راى وجل القوم افتحوا له فان يرد الله به خيرا يسلم و يتبع النبي ﷺ وان يرد غير ذلك كان قتله هينا ففتحوا له قال : عمر فدخلت واخذ حمزة بيمينى والزبير بيسارى حتي دنوت من النبى ﷺ فقال ارسلوه فأرسلونى فجلست بين يديه فأخذ بمجمع ثيابى فجذبني اليه جذبة شديدة ثم قال : اسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه فقلت : اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة قال عمر : وكان الرجل اذا اسلم استخفى باسلامه فقلت : يا رسول الله الستا على الحق ان متنا وان حيينا ؟ بلى والذي نفسى بيده انكم على الحق

ان متم وان حييتم قلت : ففيم الاخفاء يا رسول الله؟ علام نخفى ديننا ؟ نحن على الحق وهم على الباطل فقال :ﷺ يا عمر انا قليل وتدرايت ما لقينا فقال عمر : والذى بعثك بالحق نبياً لا يبقى مجلس جلست فيه بالكفر الا جلست فيه بالايمان فغدا عمر الى جميل بن حبيب وكان ينقل الحديث ولا يكتم شيئا فقال له عمر : اعلمت يا جميل؟ انى قد اسلمت ودخلت فى دين محمد فقام جميل يجر رداءه وتبعه عمر حتى اذا قام على باب المسجد صرخ جميل باعلا صوته يا معشر قريش وهم فى انديتهم حول الكعبة الا ان ابن الخطاب قد صبأ ويقول عمر من خلفه : كذب ولكن اسلمت وشهدت ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقام الناس اليه يضربونه ويضرب بهم فما زالوا كذلك حتي قال : خله ابو جهل من هذا ؟قالوا ابن الخطاب فقام على الحجر واشار بكمه الا انى اجرت ابن اختي فانكشف الناس عنه لجلالة خاله عندهم . ثم ذهب عمر رضي الله عنه الى داره فاجتمعت قريش عند داره فجاء العاص بن وائل السهمى ابو عمرو بن العاص وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بحرير فقال : ما بالك ؟ قال : زعم قومك انهم سيقتلوني لانى اسلمت قال : لا سبيل اليك بعد ان آمنت فخرج العاص فلقي الناس قد سال بهم الوادي فقال اين تريدون قالوا : نريد ابن الخطاب الذى صبأ قال : لا سبيل اليه فأنا له جار فكر الناس وانصرفوا ثم رد عمر رضى الله عنه الى العاص جواره قال عمر :

فما زلت اضرب واضرب حتي اعز الله الاسلام : وكان اسلامه سنة ست من البعثة وعمره ست وثلاثون سنة وقد أعز الله الاسلام باسلامه .

ثم اسلم بدار الارقم بعد عمر خالد ، واياس ، وعامر ، وعاقل (ابنا البكير) بن عبد ياليل بن ناشب بن مغيرة بن سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة الليثي حليف بنى عدي . واسلم الحارث بن خالد بن صخر بن عامر القرشى التيمي .

واسلم الحارث ، وسعيد ابن عبد قيس بن لقيط الفهري القرشي .

واسلم الحارث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم القرشي السهمى كان احد اشراف قريش فى الجاهلية واليه كانت الحكومة والاموال التى كانوا يسمونها لآلهتهم . واسلم مع الحارث ابناه بشير ، ومعمر . واسلم خالد بن حزام بن خويلد القرشى الاسدى اخو حكيم بن حزام . واسلم سفيان بن معمر بن حبيب القرشي الجمحى . واسلم معه ابناه جابر ، وجنادة ، وامراته حسنة وهى امهما وام شرحبيل بن حسنة . واسلم هشام بن ابي حذيفة بن المغيرة المخزومي القرشى . واسلم طليب بن عمير بن وهب بن كثير بن عبد بن قصى واسلمت امه اروى بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ وسبب اسلامها انه لما اسلم ابنها طليب بن عمير دخل على امه اروي بنت عبد المطلب فقال : لها قد اسلمت وتبعت محمدا وما يمنعك ان تسلمى وقد اسلم اخوك حمزة قالت انظر مايصنع اخواي قال فانى اسألك بالله الا آتيتنة فسلمت

عليه فأتته فسلمت عليه وقالت اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله وصارت تعضد النبي ﷺ بلسانها وتحض ابنها على نصرته والقيام بامره . ويعد من مسلمى دار الارقم مصعب بن عمير الذى تقدم اسلامه وام أبى بكر الصديق الذى تقدم اسلامها ايضاً .

خروج النبي ﷺ من دار الارقم

فما زال عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد اسلامه يراجع النبي ﷺ فى الخروج من دار الارقم الى المسجد حتى وافقه على ذلك فخرجوا فى صفين فى أحدهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفى الآخر حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه حتي دخلوا المسجد ولهم كديد ككديد الطحين أى لهم ضجة وغبار من تكبيرهم وتهليلهم ومشيهم فنظرت قريش اليهم فاصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها قبل فسمي رسول الله ﷺ عمر الفاروق لان الله سبحانه وتعالى فرق به بين الحق والباطل .

تآمر قريش على قتل النبي ﷺ

لما رأت ذلك قريش من عزة النبي ﷺ بمن معه واسلام عمر بن الخطاب وغيره ممن أسلم بدار الارقم من أشرافهم وعزة من هاجر الى الحبشة وفشو الاسلام فى القبائل أجمعوا على أن يقتلوا النبى ﷺ فبلغ ذلك أبا طالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب وأدخلوا رسول الله ﷺ شعبهم

ومنعوه ممن أراد قتله فأجابوه الى ذلك حتي كفارهم وقد فعلوا ذلك حمية على عادتهم العربيـة فى المناصرة ، وانخذل عنهم بنـو عمهم عبد شمس ونوفل فهجاهم أبو طالب فى قصيدته اللامية بقوله .

جزى الله عنـا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غـير آجل

كتاب الصحيفة

فلمـا رأت قريش ما صنع أبو طالب من حماية النبي ﷺ اجتمعوا وائتمروا فيما بينهم وقرروا أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيـه على بنى هاشم وبنى المطلب أن لا ينكحوا اليهم ، ولا ينكحوهم ، ويبيعوا منهم شيئا ولا يبتاعوا منهم ، ولا يقبلوا منهم صلحاً أبدا حتى يسلموا رسول الله ﷺ للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوا تلك الصحيفة فى جوف الكعبة والذى كتبها منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فشلت أصابعه وكان ذلك في غرة المحرم سنة سبع من البعثة النبوية فانحاز بنوهاشم وبنوا المطلب الى أبى طالب فدخلوا معـه في شعبه الا أبا لهب فكان مع المشركين وكان اجتماعهم وتحالفهم ومكاتبتهم في خيف بنى كنانة — وهو المحصب من منى — ولما فارقهم أبو لهب وظاهر عليهم قريشا لقي هنداً بنت عتبة فقال يابنت عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقها وظاهر عليها ؟ قالت : نعم فجزاك الله خيرا با أبا عتبة .

حالتهم في الشعب وشدة المقاطعة

ومضى على ذلك مدة وهم منقاطعون لا يبايعونهم ولا يكلمونهم حتي انهم جهدوا في الشعب وكانوا يأكلون الخبط وورق الشجر من قلة وجود الطعام وكانوا اذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشترى شيئاً من الطعام ليقتاتوا به فيقوم أبو لهب فيقول : يا معشر قريش غالوا على أصحاب محمد حتي لايدركوا شيئا معكم فقد علمتم حالى ووفاء ذمتى فيزيدون عليهم فى السلعة قيمتها أضعافا مضاعفة حتي يرجع الرجل منهم الى أطفاله وهم يتضاورون من الجوع وليس لديهم شيء يعللونهم به

وكان بعض أفراد قريش يواصلونهم ببعض الطعام سرا وذلك إما لقرابة أو شهامة وكان ممن وصلهم في الشعب هشام بن عمرو العامرى بما يقدر من الطعام فادخل عليهم في ليلة ثلاثة أحمال طعاما فعلمت قريش بذلك فمشوا اليه حين أصبح فكلموه فقال : انى غير عائد لشيء خالفتكم فيه فانصرفوا عنه ثم عاد الثانية فادخل عليهم حملا فغالظته قريش فى القول وهموا بقتله فقال لهم أبو سفيان بن حرب دعوه رجل وصل أهله ورحمه أما انى أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل لكان أحسن بنا . وكان ممن يصلهم بالطعام أيضا حكيم بن حزام فلقيه أبو جهل مرة ومع حكيم غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة رضى الله عنها فى الشعب فقال : أبو جهل لحكيم تذهب بالطعام لبنى هاشم والله لا تذهب أنت وطعامك حتي أفضحك

بمكة فحضرهما أبو البحترى فقال : لابى جهل مالك وماله فقال له ابو جهل يحمل طعاما لبنى هاشم فقال له : أبو البحترى طعام كان لعمته عنده افتمنعه أن يأتيها به؟ خل سبيل الرجل فأبى أبو جهل حتي نال أحدهما من الآخر فأخذ ابو البحتري لحي بعير فضرب به اباجهل وشجه ووطئه وطئاً شديدا فأنكف عن ذلك .

وكان أبو طالب مدة اقامتهم بالشعب يأمر النبي ﷺ كل ليلة أن يأتى فراشه حتى يراه كل من أراد به شراً فاذا نام الناس أمر أحد بنيه أو اخوانه أو بنى عمه أن يضطجع على فراش النبي ﷺ ويأمره هو أن يأتي بعض فراشهم فيرقد عليها وفى ذلك يقول ابو طالب .

ألا أبلغا عنى على ذات بيننا لؤيا وخصا من لؤي بنى كعب
ألم تعلموا انا وجدنا محمدا نبيا كموسي خط فى اللوح والكتب
وان عليه فى العباد محبة ولا خير فيمن خصه الله بالحب
وان الذى ألصقتم من كتابكم لكم كائنا نحسا كراغية السقب
أفيقوا أفيقوا قبل أن يحفر الثرى ويصبح من لم يجن ذنباً كذى ذنب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا أواصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حربا عوانا وربما أمر على من ذاقه حلب الحرب
فلسنا ورب البيت نسلم أحمدا لعزاء من عض الزمان ولا كرب
ولما تبن منا ومنكم سوالف وأيد اثرت بالقاسية الشهب

بمعترك ضيق ترى كسر القنا به والنسور الطخم يعكفن كالشرب
كان ضحال الخيل فى حجراته ومعمعة الابطال معركة الحرب
أليس أبونا هاشم شد أزره ؟ وأوصي بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتي تملنا ولا نشتكي ما قد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى اذا طار أرواح الكماة من الرعب

وقل فى قصيدة أخرى :

أطاعوا ابن المغيرة وابن حرب كلا الرجلين منهم ملئيم
وقالوا خطة حمقا وجورا وبعض القول أبلج مستقيم
لنخرج هاشم فيصير منها بلاقع بطن مكة والحطيم

هكذا قضت صروف الدهر أن يصطدم المصلحون صدمات تتبع بعضها بعضا لدي قيامهم فى شؤون الاصلاح ولكن هؤلاء المصلحين وبالاخص الانبياء لا يصدهم صاد ولا يثنى عزمهم أحد ولذلك لما قضت قريش على بنى هاشم و بنى عبد المطلب بما قضت لاجل تكاتفهم على حماية رسول الله ﷺ فرغما عن كل ذلك و مامم فيه من الكرب والشدة والضيق فان رسول الله ﷺ قائم بنشر دعوته بين قومه وعشيرته و من يفد من العرب الى مكة غير مبال بما حصل ولا بما سيحصل لانه على يقين من الوصول الى اصلاح قومه وعشيرته و الناس اجمعين حيث أن لكل شيء نهاية ولكل شر زوال ولكل ضيق فرج ولكل هم مخرج والصبر هو قدوة الثبات والثبات قرين النجاح ومن صبر ظفر إن ذلك لمن عزم الامور .

الهجرة الثانية الى الحبشة

لما تعاقدت قريش وتعاهدت على مقاطعة بنى هاشم و بنى المطلب اشتد البلاء على من آمن من المستضعفين ومن آمن من القبائل الاخرى خرجوا مهاجرين الى الحبشة وذلك لما علموا عن معاملة ملكها لمن هاجر اليه من المسلمين وخرج معهم بعض بنى هاشم و بنى المطلب و هذه اسماء من هاجر الهجرة الثانية الى الحبشة (١) جعفر بن ابى طالب مع امرأته أسماء بنت عميس فولدت له بالحبشة عبد الله بن جعفر (٢) عثمان بن عفان و إمرأته رقية بنت رسول الله ﷺ (٣) عمرو بن سعيد بن العاص وامرأته فاطمة بنت صفوان (٤) اخوه خالد بن سعيد بن العاص وإمرأته أمينة بنت خلف بن سعد فولدت له بالحبشة سعيد بن خالد و أمة بنت خالد (٥) عبد الله بن جحش بن رئاب (٦) أخوه عبيد الله بن جحش و امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب فتنصر بالحبشة ومات بها فتزوج النبي ﷺ بعده أم حبيبة بنت أبى سفيان و جهزها النجاشى وأرسلها له (٧) قيس بن عبد الله بن أسد بن خزيمة و امرأته بركة بنت يسار (٨) معيقيب ابن ابى فاطمة من آل العاص (٩) ابو حذيفة بن عتبة (١٠) ابو موسى الاشعرى وهو قد وفد على النبي ﷺ بمكة و آمن به ثم هاجر الى الحبشة (١١) عتبة بن غزوان (١٢) الزبير بن العوام (١٣) الاسود بن نوفل بن خويلد (١٤) يزيد بن زمعة (١٥) عمرو

ابن أمية (١٦) طليب بن عمير بن وهب (١٧) مصعب بن عمير العبدري (١٨) سويبط بن سعيد بن حرملة العبدرى (١٩) جهم بن قيس العبدري وزوجته أم حرملة بنت عبد الاسود وأبناه عمرو ، وخزيمة (٢٠) أبو الروم ابن عمير العبدرى (٢١) فراس بن النضر بن الحارث العبدري (٢٢) عبد الرحمن بن عوف (٢٣) عامر بن أبي وقاص الزهري (٢٤) المطلب ابن أزهر الزهري و أمرأته رملة بنت أبي عوف بن صبيرة فولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن المطلب (٢٥) عبد الله بن مسعود (٢٦) عتبة ابن مسعود (٢٧) المقداد بن الاسود (٢٨) الحارث بن خالد التيمى وامرأته ريطة بنت الحارث فولدت له بالحبشة موسى بن الحارث، وعائشة بنت الحارث وزينب بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث (٢٩) عمرو بن عثمان التيمى (٣٠) ابو سلمة بن عبد الاسد وامرأته أم سلمة فولدت له بالحبشة زينب بنت ابى سلمة (٣١) شماس بن عثمان المخزومي (٣٢) هبار بن سفيان ابن عبد الاسود المخزومي (٣٣) أخوه عبد الله بن سفيان (٣٤) هشام ابن أبي حذيفة بن المغيرة المخزوى (٣٥) سلمة بن هشام بن المغيرة المخزومى (٣٦) متعب بن عوف بن سلود (٣٧) عثمان بن مظعون (٣٨) ابنه السائب بن عثمان (٣٩) أخوه قدامة بن مظعون (٤٠) اخوه عبد الله بن مظعون (٤١) حاطب بن الحارث الجمحى وامرأته فاطمة بنت المجلل وابناه (٤٢) محمد بن حاطب (٤٣) الحارث

ابن حاطب (٤٤) أخوه خطاب بن الحارث وامرأته فكيهة بنت يسار (٤٥) سفيان بن معمر الجمحى وابناه (٤٦) جابر بن سفيان (٤٧) جنادة ابن سفيان وأمهما حسنة (٤٨) شرحبيل بن حسنة (٤٩) عثمان بن ربيعة الجمحي (٥٠) خنيس بن حذافة بن قيس السهمي (٥١) عبد الله بن الحارث بن قيس السهمى (٥٢) قيس بن حذافة بن قيس السهمي (٥٣) ابو قيس بن الحارث بن قيس السهمى (٥٤) عبد الله بن حذافة السهمى (٥٥) الحارث بن الحارث بن قيس السهمى (٥٦) معمر بن الحارث السهمى (٥٧) بشر بن قيس السهمى (٥٨) أخوه من أمه سعيد بن عمرو (٥٩) سعيد ابن هشم بن سعيد السهمي (٦٠) محمية بن الجزاء حليفهم (٦١) السائب ابن الحارث بن قيس السهمى (٦٢) عمير بن رئاب بن حذيفة السهمى (٦٣) معمر بن عبد الله بن نضلة العدوي (٦٤) عروة بن عبد العزى العدوى (٦٥) عدي بن نضلة بن عبد العزي العدوى (٦٦) ابنه النعمان بن عدي (٦٧) عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب (٦٨) أبو سبرة ابن أبى رهم العامري وامرأته أم كلثوم بنت سهل بن عمرو (٦٩) عبد الله بن مخرمة ابن عبد العزي العامرى (٧٠) عبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس العامري (٧١) سليط بن عمرو بن عبد شمس العامري (٧٢) اخوه السكران ابن عمرو بن عبد شمس وامرأته سودة بنت زمعة العامرية (٧٣) مالك ابن ربيعة بن قيس العامرى وامرأته عمرة بنت السعدى بن وقدان العامري

(٧٤) ابو حاطب بن عمرو بن عبد شمس العامري (٧٥) سعيد بن خولة من اليمن حليف بنى عامر (٧٦) أبو عبيدة بن الجراح (٧٧) سهيل بن بيضاء (٧٨) عمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال الفهري (٧٩) عياض ابن زهير بن أبي شداد الفهري (٨٠) عمرو بن الحارث بن زهير الفهري (٨١) عمرو بن عبد غنم بن زهير الفهري (٨٢) سعد بن عبد قيس بن لقيط الفهري (٨٣) الحارث بن عبد قيس بن فهر الفهري

فهؤلاء الذين هاجروا الى الحبشة وهم من عموم قبائل قريش ومن أهل الشرف فيهم قد تركوا أهلهم ووطنهم وديارهم وكل عزيز وغال عندهم وهاجروا الى بلد لا يعرفون من لغتها شيئا ولا يعلمون عن عادات أهلها ولا أخلاقهم ولا شكل الحياة والمعيشة معهم شيئا كل ذلك تحملوه وكابدوا من المشاق مالا يطاق لاجل أن يكونوا آمنين على دينهم وأن يؤدوا عبادتهم بكمال الحرية هذا الذى من أجله تركوا الاهل والوطن وهذا الأمن هو الذي درسوه عن بلاد الحبشة وعلموه ممن سبقهم اليها وهذه هى حلاوة الايمان وهؤلاء هم الذين دخل الايمان في قلوبهم وأصبح مقدساً عندهم عن الآل والعشيرة والوطن وهكذا يكون الايمان الصحيح وهكذا ينبغى أن يكون المؤمنون.

أقامة الصحابة بأرض الحبشة

لما وصل اصحاب رسول الله ﷺ الى ارض الحبشة واطمأنوا بها وجدوا من ملكها النجاشي كل حفاوة ، واقبال ، واكرام، واجلال، وأقاموا صلاتهم وأدوا فروضهم وتدارسوا القرآن بكل هدوء وحرية فقال : عبد الله ابن الحارث بن قيس السهمي يصف حالتهم بها وما من الله تعالى عليهم من النعمة .

يا راكبا بلغن عنى مغلغلة ... من كان يرجوا بلاغ الله والدين
كل امرىء من عباد الله مضطهد ... ببطن مكة مقهور ومفتون
انا وجدنا بلاد الله واسعة ... تنجي من الذل والمخزاة والهون
فلا تقيموا على ذل الحياة وخز ... ي الممات وعيب غير مأمون
انا تبعنا رسول الله واطرحوا ... قول النبى وغالوا فى الموازين
فاجعل عذابك فى القوم الذين بغوا ... وعائذ بك أن يغلوا فيطغوني

رسل قريش الى النجاشي لارجاع الصحابة

فلما رأت قريش ان اصحاب رسول الله ﷺ قد أمنوا واطمأنوا على دينهم وأنفسهم بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً . ائتمروا بينهم على ان يبعثوا منهم رجلين جلدين الى النجاشي وان يهدوا اليه هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتى النجاشي منها الأدم

فجعلوا له أدما كثيرة وهيئوا هدية اخرى لبطارقته ثم بعثوا بها عبدالله بن ربيعة ، وعمرو بن العاص ومعهما عمارة بن الوليد بن المغيرة وقالوا لهما ادفعوا الى كل بطريق هديته قبل ان تكلما النجاشي فيهم ثم قدما الى النجاشي هداياه ثم سلاه ان يسلمهم اليكما قبل ان يكلمهم .

فلما علم ابو طالب بذلك بعث الى النجاشي بهذه القصيدة يحضه على حسن جوارهم والدفاع عنهم .

الاليت شعري كيف في الناس جعفر وعمرو وأعداه العدو والاقارب
فهل نال أفعال النجاشي جعفر وأصحابه او عاق ذلك شاغب
تعلم أبيت اللعن انك ماجد كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بأن الله زادك بسطة واسباب خير كلها بك لازب
وانك فيض ذو سجال غزيرة ينال الأعادي نفعها و الاقارب

فقدما عبدالله بن ربيعة ، وعمرو بن العاص ، على النجاشي فدفعا الى البطارقة هداياهم قبل ان يكلما النجاشي وقالا لكل بطريق منهم انه قد ضوى الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم وجاؤا بدين مبدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم اشراف قومهم ليردهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم فلما قبل منهما البطارقة ذلك قدما هدايا الملك فقبلها النجاشي منهما ثم قالا له

أيها الملك انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاؤا بدين ابتدعوه لانعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عينا وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه فقالت البطارقة حوله صدقا أيها الملك قومهم أعلى بهم عيناوأعلم بما عابوا عليهم وأسلمهم اليهما فليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشي ثم قال : لااله الا الله اذا لا أسلمهم اليهما ولا يكاد قوم جاورونى ونزلوا بلادي واختاروني على من سواى حتي أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان فى أمرهم فان كانوا كما يقولان أسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهم وأحسنت جوارهم ما جاوروني ثم ارسل الى اصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم فلما جاءهم رسول النجاشي اجتمعوا ثم قال: بعضهم لبعض ما تقولون للرجل اذا جئتموه قالوا: نقول والله ما علمنا وما أمرنا به نبينا كائنا فى ذلك ماهو كائن فلما جاؤا وقد دعى النجاشي أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله فسألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من هذه الملل ؟ فتكلم جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه فقال له: أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الاصنام، ونأكل الميتة ،ونأتي الفواحش ، ونقطع الارحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلك حتي بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه ، وصدقه ،

وأمانته ، وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ، ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة ، والاوثان ، وامرنا بصدق الحديث ، وأداء الامانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار ، والكف عن المحارم ، والدماء ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، واكل مال اليتيم ، وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وامرنا بالصلاة ، والزكاة والصيام ، فعدد عليه أمور الاسلام وقال : فصدقناه ، وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئا وحرمنا ما حرم علينا ، واحللنا ما أحل لنا ، فعدي علينا قومنا فعذبونا ، وفتنونا عن ديننا ، ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله تعالى ، وان نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا ، وظلمونا ، وضيقوا علينا ، وحالوا بيننا وبين ديننا ، خرجنا الي بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك فقال : له النجاشي هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ فقال : له جعفر نعم فقال : له النجاشي فاقرأه علي فقرأ عليه صدرا من (كهيعص ذكر رحمة ربك عبده زكريا) فبكي النجاشي حتي اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتي اخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلاه عليهم فقال النجاشي : ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لا أسلمهم اليكما ولا يكادون فلما خرج عبد الله بن ربيعة وعمرو بن العاص قال : عمرو والله لآتينه

غدا عنهم بما أستأصل به خضراءهم فقال : له عبد الله بن ربيعة وكان أتقى الرجلين لا تفعل فان لهم أرحاما وان كانو قد خالفونا قال عمرو : والله لاخبرنه أنهم يزعمون أن عيسي بن مريم عبد . ثم غداعلى النجاشى الغد فقال: عمرو أيها الملك انهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما. فارسل اليهم فسلهم عما يقولون فيه . فأرسل النجاشى اليهم ليسألهم عنه فاجتمع القوم ثم قال : بعضهم لبعض ماذا تقولون في عيسى بن مريم اذاسألكم عنه ؟ قالوا :نقول والله ما قال الله وماجاءنا بهنبينا كائنا في ذلك ماهوكائن فلما دخلوا عليه قال: لهم النجاشي ماذا تقولون فى عيسى بن مريم؟ فقال جعفر : نقول فيه الذي جاءنا به نبينا ﷺ هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول فضرب النجاشي بيده الى الارض فأخذ منها عودا ثم قال : والله ما عدا عيسي بن مريم مما قلت هذا العود فتناخرت بطارقته حين قال ما قال فقال :النجاشي لبطارقته وان نخرتم ثم قال : للصحابة والله اذهبوا فأنتم سيوم (آمنون) بأرضى من سبكم غرم ثم قال : من سبكم غرم ، ثم قال : من سبكم غرم ، ماأحب أن لى دبرا (جبلا) من ذهب واني آذيت رجلا منكم ثم قال : النجاشي ردوا عليهما هدايا هما فلاحاجة لى بها فوالله ماأخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيعهم فيه فخرج من عنده عبد الله ابن ربيعة وعمرو بن العاص مقبوحين مردودا عليهما ما جاآ به . واقام

الصحابة رضى الله عنهم عنده بخير دار ، على أحسن جوار .

هـذا ما وقع بين رسل قريش و بين أصحاب رسول الله ﷺ عند النجاشي الملك العاقل الرشيد الذي لايقبل الفرية من صاحبها ولا يرتشي فى الحق ولا يؤثر عليه أحدا مهما كان بطريقا ، او متزلفا ، أو وزيرا ، او خطيرا . فانه عند ماسمع من رسل قريش ما افتروه على من هاجر اليه من المسلمين لم يسعه الا أحضارهم فاحضر أصحاب رسول الله ﷺ أمام خصومهم وسألهم عما قيل في حقهم واستوضح منهم حجتهم فادلوا بها غير مبالين بما سيكون لان الحق معهم والايمان سلاحهم وكانت النتيجة ادحاض المفترين ،ورد كيد الظالمين،واعادتهم خائبين . فلم يفد عمروا دهاؤه ولاجرءته لأن سلاحه كان غيا . والحكم كان عادلا ، وخصومه كانوا أقوى منه بالايمان وأفصح منه حجة بالقرآن ، فما سمع النجاشي دفاع جعفر عن المسلمين وافصاحه عن حكمة الدين وما جاء به سيد المرسلين ﷺ من الهدى ، ودين الحق ، والاصلاح ، والرشاد ، حتي طرب من ذلك وصادق على ما افصح به جعفر رغما عن رضاء البطارقة أو عدمه وهذا شأن كل ملك عادل ، عاقل ، حكيم ، خبير ، عدم الاصغاء الى فرية المفترين ، او وشاية الواشين ، أو تزلف المتزلفين ، فان النجاشي لو تعجل في الامر ولم يحضر أصحاب رسول الله ﷺ ولم يسمع منهم دفاعهم أمام خصومهم لما سجل له التاريخ هذه المنقبة الكبري ولا هذه المزية العظمى

طيلة اربعة عشر قرنا وستبقي الى أبد الآبدين . أما لو أنه استعجل في الامر واصغى الى الغرية واخذ بقول رسل قريش واغراء بطارقته المرتشين لسجل عليه التاريخ ضد ذلك كما سجل على غيره من الملوك الظالمين

هجرة ابى بكر الصديق

لما هاجرت الصحابة رضى الله عنهم الى الحبشة ضاقت علي ابى بكر الصديق رضى الله عنه مكة وأصابه فيها الاذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله ﷺ ومقاطعتهم لبنى هاشم وبنى المطلب استأذن من رسول الله ﷺ في الهجرة فأذن له فخرج يريد الحبشة حتي اذا بلغ برك الغماد(١) لقيه ابن الدغنة أخو بنى الحارث بن يزيد وهو سيد الاحابيش (٢) فقال : لابى بكر الى اين يا أبا بكر ؟ قال : أخرجنى قومى وآذونى ، وضيقوا علي قال : له ابن الدغنة ولم ؟ فوا الله انك لتزين العشيرة ، وتعين على النوائب وتفعل المعروف ، وتكسب المعدوم ، إرجع وانت فى جوارى فرجع معه حتى اذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال : يامعشر قريش انى قد أجرت ابن ابى قحافة فلا يتعرضن له احد الا بخير فكفوا عنه . وكان لابى بكر مسجد عند باب داره فى بنى جمح فكان يصلي فيه وكان رجلا رقيقاً اذا قرأ القرآن استبكي فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون

(١) موضع باليمن وراء مكة بخمس ليال (٢) نفر من قريش يقطنون حبشيه وهو جبل باسفل مكة تحالفوا انهم يد على غيرهم

من هيئته فمشى رجل من قريش الى ابن الدغنة فقالوا : يا ابن الدغنة انك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا انه رجل اذا صلى وقرأ ماجاء به محمد يرق ويبكي وكان له هيئة ونحر (يقال نحر الرجل انتصب فى الصلاة ونهد صدره او وضع يمينه على شماله) فنحن نتخاوف على صبياننا ونسائنا وضعفائنا أن يفتنهم فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ماشاء فمشي ابن الدغنة اليه فقال له : يا ابا بكر انى لم اجرك لتؤذى قومك انهم قد كرهوا مكانك الذي انت به وتأذوا بذلك منك فادخل بيتك فاصنع فيه ما احببت قال : ابو بكر : رضى الله عنه او ارد عليك جوارك وارض بجوار الله تعالى قال :ابن الدغنة فاردد علي جوارى قال: قد رددته عليك فقام ابن الدغنة فقال : يا معشر قريش ان ابن ابي قحافة قد رد علي جواري فشأنكم بصاحبكم فلقي سفيه من سفهاء قريش ابا بكر وهو عامد الى الكعبة فحثي على رأسه التراب فمر بأبي بكر الصديق الوليد بن المغيرة فقال : له ابو بكر ألا ترى الى مايصنع هذا السفيه ؟ قال : أنت فعلت ذلك بنفسك قال : أبو بكر : أي رب ما أحلمك ، أي رب ما أحلمك ، أي رب ما أحلمك .

هكذا تكون الشهامة ، وهكذا يكون الثبات ، كان من أسلم من الصحابة يتمنى أن يجد من يجيره ويحميه من تعديات المشركين وأبو بكر يجد من يحميه من تعدى المعتدين ومن تحدى الظالمين ثم يرفض ذلك لاجل أن لا تكون له عليه منة او تحكم ويرضي بقضاء ربه بما يقضيه

عليه ويحتسب بما يحصل عليه فى عبادة ربه لربه والله انها لشهامة قل من يقدم عليها ولكن درجات الايمان تتفاوت فى شخص الانسان بحسب قوته وارادته .

نقض الصحيفة

مضي على بنى هاشم و بنى المطلب نحو ثلاث سنين فى شعبهم بعد أن قاطعتهم قريش فلا يصلهم أحد بشيء الا صادروه ولا واساهم قريب أو بعيد الا وبخوه حتي عيل صبرهم فبينما هم على ذلك اذ قيض الله تعالى من يسعى لهم فى نقض الصحيفة من أعدائهم فذهب هشام بن عمرو بن ربيعة العامري الى زهير بن أبي امية المخزومي ابن عاتكة بنت عبد المطلب فقال : يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام ؟ وتلبس الثياب ، وتنكح النساء ، وأخوالك حيث قد علمت لا يباعون ، ولا يبتاع منهم ، ولا ينكحون ، ولا ينكح اليهم ، أما انى أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبى الحكم ابن هشام ثم دعوته الى مادعاك اليه منهم ما أجابك اليه أبدا . قال زهير : ويحك يا هشام فماذا أصنع ؟ انما أنا رجل واحد والله ان لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها حتي أنقضها قال له هشام : قد وجدت رجلا قال : من هو؟ قال : أنا قال زهير : أبغنا رجلا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدي فقال له : هشام يا مطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لنجدنها

اليها منكم سراعا قال المطعم: ويحك فما أصنع ؟انما أنا رجل واحد قال هشام: قد وجدت ثانيا قال : ومن هو ؟ قال : أنا قال : ابغنا ثالثا قال : قد فعلت قال : من هو؟ قال : زهير بن أبي أمية قال: أبغنا رابعا فذهب هشام الى ابي البختري ابن هشام فقال له : نحوا مما قال لمطعم بن عدي فقال أبو البختري: وهل من احد يعين على هذا ؟ قال : نعم قال : من هو ؟قال : زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا معك قال أبغنا خامسا فذهب هشام الى زمعة ابن الاسود بن المطلب الاسدي فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال له : وهل على هذا الامر الذي تدعوني اليه من احد ؟ قال : نعم ثم سمى له القوم فقعدوا حطم الحجون ليلا بأعلا مكة فاجتمعوا هنالك ثم أجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام على نقض الصحيفة وقال زهير : أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم وغدا زهير عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال : يا أهل مكة أنأكل الطعام ؟ ونلبس الثياب و بنو هاشم و بنو المطلب هلكي لايبتاعون ولا يبتاع منهم والله لاأقعد حتي تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة .قال أبو جهل : وكان فى ناحية المسجد كذبت والله لاتشق قال زمعة بن الاسود : أنت والله أكذب ما رضينا كتابتها حيث كتبت قال ابو البختري : صدق زمعة لا نرضي ما كتب فيها ولا نقر به قال المطعم : صدقتما و كذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها قال هشام بن عمرو : نحو ذلك فقال :

أبوجهل :هذا أمر قضي بليل تشورفيه بغير هذا المكان . وابو طالب جالس في ناحية المسجد فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارض قد أكلتها الا باسمك اللهم . وقد قال : رسول الله ﷺ لابي طالب ياعم ان الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا أثبتته فيها ونفت منها الظلم، والقطيعة، والبهتان، فقال ابوطالب : أربك أخبرك بهذا؟ قال : نعم قال : فوالله ما يدخل عليك احد ثم خرج الى قريش فقال : يا معشر قريش ان ابن أخي أخبرني بكذا وكذا فهلم الى صحيفتكم فان كانت كما قال ابن اخي فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها وان كان كاذبا دفعت اليكم ابن اخي فقال القوم : رضينا فتعاقد القوم على ذلك ثم نظروا الى الصحيفة فاذا هي كما قال رسول الله ﷺ فلم يزدادوا الا شرا حتى قام هشام بنقضها . فلما مزق القوم الصحيفة و بطل مافيها قال أبو طالب : يمدح أولئك النفر الذين قاموا بنقضها — بقصيدة هذا بعضها — وهي بطولها في سيرة ابن هشام .

ألا هل أتى بحر يناصع ربنا على نابهم والله بالناس أرود
فيخبرهم ان الصحيفة مزقت وان كل مالم يرضه الله مفسد
جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا على ملأ يهدى لحزم ويرشد
وكنا قديما لا نقر ظلامة وندرك ما شئنا ولا تتشدد

فكان نقض الصحيفة سنة عشر من البعثة وعادت بنوهاشم و بنوالمطلب الى منازلهم وصاروا في تجارتهم ومعايشهم كما كانوا قبل كتابة الصحيفة .

وفد نجران

قد ذكرنا فيما تقدم ان رسول الله ﷺ كان يدعوا الناس سراً وجهراً الى الاسلام حال مقاطعة قريش له ولآله رغما عن كلما تقوم به صناديد قريش من معاكسته ، ومقاومته ، ومناضلته ، بكل ما أوتوا من قوة ، وصلابة ، وتعد ، فكانت الوفود ترد الى مكة وتبحث عنه ﷺ للاستعلام عن حقيقة ما اشيع عنه فى عموم أنحاء الجزيرة فورد على رسول الله ﷺ وفد نجران وهم عشرون نفراً من نصارى نجران وهى بين اليمن ونجد والحجاز وذلك انه بلغهم مبعث النبي ﷺ ممن هاجر الى الحبشة فوجدوا النبي ﷺ فى المسجد فجلسوا اليه وسألوه وكلموه وكان رجال من قريش فى انديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ كما ارادوا دعاهم رسول الله ﷺ الى الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت اعينهم من الدمع ثم استجابوا له وآمنوا به وعرفوا منه ما هو موصوف به فى كتابهم فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقال لهم : خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من اهل دينكم ترتادون الاخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتي فارقتم دينكم فصدقتموه بما قال لا نعلم ركبا أحمق منكم فقالوا لهم : سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما انتم عليه فنزل عليه ﷺ قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون ، واذا يتلى عليهم

قالوا آمنا به انه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين ، أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون ، واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) ونزل قوله تعالى (واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق) هذه قضية اسلام نصارى نجران وايمانهم بمجرد سماعهم للقرآن وهو شأن كل باحث عن حقيقة الاديان لأن غرض الباحث عن الشيء الوصول اليه.

فظن أبو جهل ومن على شاكلته من مشركي قريش ان الناس جميعا على شاكلتهم متوغلون في الغباوة ، والجهل ، والغطرسة ، والغي ، لا يسمعون ولا يبصرون ، وهم عن طريق الهدى حائدون ، وللضلال متمسكون فنصاري نجران أتوا الى مكة للبحث عن النبي ﷺ والوقوف على حالته هل هي مثلما وضحها الانجيل لهم ؟ او دعوة مجردة عن الحقيقة فلما فهموا حقيقته ، ووقفوا على طريقه ، وسمعوا ما أنزل عليه من ربه ، آمنوا به وصدقوه لانهم لم يأتوا بقصد المغالطة ولا المكابرة ولا لتشويه الحقيقة كما يريد أبو جهل وغيره لأن أبا جهل لو اراد ان يترك الكفر والعناد واتبع سبيل الرشاد لكان من السابقين الاولين الى الاسلام ولكن من يضلل الله فلا هادي له .

وفد ضماد الازدي

وفد ضماد الازدي من ازد سنوأة على رسول الله ﷺ بمكة فلما وصل مكة سمع سفهاء قريش يقولون إن محمداً مجنون فقال : لو أنى رأيت هذا الرجل لعل الله أن يشفيه على يدي وكان يرقي على الريح قال ضماد : فأتيته فقلت : يا محمد اني أرقي من الريح فان الله يشفي على يدي من شاء فهل لك ؟ فقال رسول الله ﷺ :ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهدي الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده و رسوله فقال لهضماد : أعد علي كلماتك هؤلاء فاعادها عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات فقال : لقد سمعت قول الكهنة ، وقول السحرة ، وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هولاء هات يدك أبايعك على الاسلام فبايعه وقال رسول الله : ﷺ وعلى قومك قال : وعلى قومي .

وفد الطفيل بن عمرو الدوسي

قدم مكة الطفيل بن عمرو الدوسي وكان شريفاً شاعراً لبيباً فعارضه رجال من قريش فقالوا له : يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد اعضل بنا ، وقد فرق جماعتنا ، وشتت أمرنا ، وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل و بين أبيه ،و بين الرجل و بين أخيه ،و بين الرجل

و بين زوجته و إنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئاً قال الطفيل : فوالله ما زالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتي حشوت في أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا (قطنا) فرقا من أن يبلغني شيء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه قال : فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله ﷺ قائم يصلى عند الكعبة قال: فقمت منه قريباً فأبى الله الا أن يسمعنى بعض قوله قال: فسمعت كلاما حسنا فقلت فى نفسي واثكل أمي اني رجل لبيب شاعر ما يخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول فان كان الذي يأتى به حسناً قبلته وان كان قبيحا تركته قال فمشيت حتي انصرف رسول الله ﷺ الى بيته فاتبعته حتي دخل بيته فدخلت عليه فقلت : يا محمد أن قومك قد قالوا لي : كذا وكذا فوالله ما برحوا يخوفونى أمرك حتي سددت أذنى بكرسف لئلا اسمع قولك ثم أبى الله الا ان يسمعنى قولك فسمعته قولا حسنا فاعرض علي أمرك قال: فعرض علي رسول الله ﷺ الاسلام وتلا القرآن فلا والله ما سمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه قال فأسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت : يا نبى الله انى أمرؤ مطاع فى قومي وأنا راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم اليه قال : اللهم اجعل له آية قال فخرجت الى قومى فاصبحت فيهم فلما نزلت أتانى ابي وكان شيخاً كبيراً فقلت له : اليك عنى يا أبت

فلست منك ولست مني قال لم يا أبتي ؟ قلت : أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ قال: اى بنى فدينى دينك قال : فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال حتي أعلمك ما علمت فذهب فاغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فأسلم ثم أتته زوجته فقال لها : مثل ما قال لابيه فعرض عليها الاسلام فأسلمت قال : فدعوت قومي دوساً الى الاسلام فابطؤا على ثم جئت الى رسول الله ﷺ بمكة فقلت له يا نبي الله انه قد غلبني على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال : اللهم اهد دوسا ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم قال: فلم أزل بارض دوس أدعوهم الى الاسلام حتي هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة ومضي بدر ، وأحد ، والخندق ، ثم قدمت على رسول الله ﷺ بمن أسلم معي من قومي ورسول الله ﷺ بخيبر حتي نزلت المدينة بنحو ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله ﷺ بخيبر فأسهم لنا مع المسلمين ثم لم أزل مع رسول الله ﷺ حتي فتح الله عليه مكة . ثم بعثه رسول الله ﷺ الى ذى الكفين صنم عمرو بن حمق فأحرقه ثم رجع الى رسول الله ﷺ فكان معه بالمدينة حتى قبض رسول الله ﷺ فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين الى طليحة ثم سار مع المسلمين الى اليمامة حتي استشهد بها رضي الله عنه .

هذه قصة الطفيل بن عمرو الدوسي أوردتها كاملة ليتضح للقارىء حالة هذا الاعرابى الجاف في مبدأ أمره وحالة نصيحة قريش له بالابتعاد

عن رسول الله ﷺ وعدم الاصغاء لحديثه والتجنب عن سماع القرآن لانه ساحر وسحره القرآن وكان من نتيجة نصحهم له ان جعلوه حريصا على مامنع فكانهم نبهوه عن شيء كان بعيدا عن فكره فاستعمل تلك النصيحة مدة وجيزة حتي سد اذنه بالقطن كي لا يسمع من سحر محمد شيئا ولكن مع أسفهم الشديد لم تدم تلك النصيحة برهة من الزمن حتي لفظها وأخذ يتتبع أثر النبي ﷺ في المسجد وفي بيته حتي أسلم وذهب الى قومه قبل أن يدرس طريقة الاسلام التي هي الشفقة، والالفة ، والرقة ، واللطف، فاستعمل جفاء البادية مع أعز الناس لديه وهو والده وزوجته فاحتملوا غلظته ولكن قومه لم يجيبوه الى ما دعاهم اليه ولما عاد الى رسول الله ﷺ وطلب منه أن يدعو على قومه فأرشده النبي ﷺ الى طريق الدعوة الى الاسلام وهي الرفق واللين ونهاه عن الغلظة والجفاء فلما عاد واتبع هذه الطريقة المثلى نجح وأطاعه قومه وفهموا الاسلام عن طريقة الاسلام وجاهدوا في الله حق جهاده. حتى نالوا الشهادة في سبيل الله .

وفاة ابي طالب

لما مرض ابو طالب مرضه الذي توفي فيه جمع وجوه قريش فقال :: يا معشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه، وانى أوصيكم بمحمد خيراً فانه الامين في قريش ، والصديق في العرب، والجامع لكل ما أوصيكم به ، وقد جاء

بامر قبله الجنان ، وانكره اللسان ، مخافة الشنان ، وايم الله كاني أنظر الى صعاليك العرب وأهل الوبر ، والاطراف ، والمستضعفين ، من الناس ، قد أجابوا دعوته ، وصدقوا كلمته ، وعظموا امره ، فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ، ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا ، واذا أعظمهم عليه ، أحوجهم اليه ، وأبعدهم منه أحظاهم عنده ، قد محضته العرب ودادها ، وأصفت له فؤادها ، وأعطته قيادها ، يا معشر قريش كونوا له ولاة ، ولحزبه حماة ، والله لا يسلك احد سبيله الا رشد ، ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ، ولو كان لنفسي مدة ، ولاجلي تأخير ، لكففت عنه الهزاهز ، ولدفعت عنه الدواهي .

وقد كان عنده من الاشراف عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وابو جهل بن هشام ، وأمية بن خلف ، وأبو سفيان بن حرب ، فقالوا : ياأبا طالب انك منا حيث قد علمت وقد حضرك ما ترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا ودينا وندعه ودينه ، فبعث اليه أبو طالب فجاءه رسول الله ﷺ فقال : يا ابن أخي هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك ، وليأخذوا منك ، فقال رسول الله ﷺ : ياعم كلمة واحدة يعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل : نعم وأبيك وعشر كلمات قال : تقولون لااله الا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه

فصفقوا بايديهم ثم قالوا: أتريد يامحمد أن تجعل الآلهة الها واحدا ان امرك لعجيب . ثم قال : بعضهم لبعض انه والله ما هذا الرجل بمعطيكم شيئا مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتي يحكم الله بينكم وبينه . ثم تفرقوا فقال أبو طالب : لرسول الله ﷺ والله يابن أخى ما رأيتك سألتهم شططا

ثم لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابى أمية فقال : ياعم قل لااله الاالله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال له : أبوجهل وعبدالله بن أبى أمية ياأبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزالا به حتى قال آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب هذه رواية البخارى وأما رواية ابن اسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما اتى رسول الله ﷺ أبا طالب في مرضه قال له : ياعم قل لااله الا الله كلمة أستحل بها لك الشفاعة يوم القيامة قال : يابن اخي والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى وان تظن قريش اني انما قلتها جزعا من الموت لقلتها لا أقولها الا لأسرك بها فلما تقارب من أبي طالب الموت قال : نظر العباس اليه يحرك شفتيه قال : فأصغى اليه باذنه قال : فقال : يابن أخي والله لقد قال أخى الكلمة التى أمرته ان يقولها قال : فقال : رسول الله ﷺ لم أسمع .

ومن شعر أبي طالب فى ذلك :

ودعوتنى وعلمت انك صادق ولقد صدقت فكنت قبل أمينا
ولقد علمت بان دين محمد من خير أديان البرية دينا

قال على بن ابى طالب : رضي الله عنه تبع ابوطالب عبد المطلب فى كل أحواله حتي خرج من الدنيا وهو على ملته واوصاني أن أدفنه في قبره — يعنى عبد المطلب — فأخبرت رسول الله ﷺ فقال : اذهب فواره وقال العباس رضي الله عنه للنبي ﷺ ما أغنيت عن عمك فوالله كان يحوطك ويغضب لك قال : هو فى ضحضاح من نار ولولا أنا لكان فى الدرك الاسفل من النار .

ولما توفى أبو طالب كان عمره خمسة وثمانون سنة وكانت وفاته سنة عشر من البعثة النبوية وقبل الهجرة بثلاث سنين و بعد الخروج من شعب بنى هاشم بشهر واحد ودفن بالحجون .

قام ابو طالب بكفالة النبي ﷺ منذ وفاة والده عبد المطلب وعمر النبي ﷺ ثمان سنين الى أن توفى مدة اثنين وأربعين سنة أحسن قيام فطيلة الاثنين والاربعين سنة والنبي ﷺ تحت رعايته، واحاطته ، وصيانته واعزاز جانبه ، وتدريبه على طلب المعيشة بأخذه معه الى الشام فى تجارة وارشاده الى خديجة بنت خويلد والسفر الى الشام بتجارتها وعقد له النكاح

عليها وقاوم قريشاً مدة دعوته ﷺ حتي احتدت قريش وتحدت على أبي طالب لاجله واشتدت ولما رأي ذلك جمع بنى هاشم وبنى المطلب وعاهدهم على الدفاع عن النبي ﷺ فقاطعتهم قريش ثلاث سنين وهم لا يبايعونهم ولا يواسوهم ولا يناكحوهم ولم يكتف أبو طالب حال حيانه بذلك بل أراد أن يواصل رعايته للنبي ﷺ حتي بعد وفاته ولم يشأ ان يتركه للقضاء والقدر بل جمع قومه أشراف قريش وساداتها وقام فيهم خطيبا مرشداً اياهم الى متابعة النبي ﷺ وأن يكونوا من حزبه وبين لهم مزاياه بأفصح عبارة، واوضح مقالة، وحذرهم من مخالفته وترك المثابرة على العناد والاستصبح صناديد قريش أذنابا، ودورها خرابا، وأعظمهم عليه اليوم شدة وشرا، أحوجهم اليه غداً، فلم يصغوا لنصحه ولم يلتفتوا لارشاده شأن الطغاة المعاندين، والحمق المشاكسين. نظر أبوطالب الى كل ذلك من وراء بصيرته نظرة الرجل الكبير الخبير الذى يدرس حقائق الامور عن بعد فنظرة واحدة الى شعره المشبع بالحكم والبلاغة تعرف قدر أبى طالب وماهو عليه من بعد النظر ولكن السعادة بيد الله تعالى يكتبها لمن يشاء.

وفاة خديجة بنت خويلد

توفت خديجة أم المؤمنين ، وسيدة نساء العالمين ، وحبيبة سيد المرسلين ، بعد وفاة أبي طالب ببضعة أيام وذلك في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة عشر من البعثة وقبل ثلاث سنين من الهجرة وعمرها خمس وستون سنة ودفنت بالحجون بشعب بني هاشم وهي أم أولاد رسول الله ﷺ ولم يلد له من عموم نسائه غيرها رضى الله عنها الا أبنه ابراهيم من مارية القبطية ونزل رسول الله ﷺ فى قبرها ووراها بيده ولم تكن صلاة الجنائز قد فرضت . فحزن عليها رسول الله ﷺ حزنا شديداً وكان يسمى ذلك العام عام الحزن . ومدة أقامتها معه ﷺ خمس وعشرون سنة . ولا تكاد تخرج من ذاكرته مدة حياته وكانت تغار عائشة رضي الله عنها من كثرة ذكر النبى ﷺ لها قالت عائشة : رضى الله عنها ذكر رسول الله ﷺ خديجة ذات يوم فتنا وتنها فقلت : عجوز كذا وكذا قد ابدلك الله بها خيراً منها قال : ما ابدلنى الله خيراً منها لقد آمنت بي حين كفر بى الناس، وصدقتنى حين كذبنى الناس، وأشركتنى فى مالها حين حرمني الناس ،ورزقنى الله ولدها وحرمنى ولد غيرها قالت : والله لا أعاتبك فيها بعد اليوم . و بشرها رسول الله ﷺ بقصر في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب .

كما أنه يوجد من الرجال عظام كذلك يوجد من النساء عظيمات فكانت خديجة رضي الله عنها أعظم أمرأة عقلا ، ودراية ، وحلما ، وحكمة وخبرة ، وجرأة ، وارادة ، فكانت لرسول الله ﷺ وزيرة ، وصديقة ، وشويرة ، وأنيسة ، فقد واسته بمالها ، وعطفت عليه بكليتها ، وجزيتها ، بأشد من عطفها على أولادها فكانت تسليه وترق له وتدافع عنه بما تستطيع من قوة ، ومال ، وجاه وهي أول من آمنت بالله ورسوله وصدقت النبي ﷺ فيما جاء به عن ربه وآزرته على أمره فكان لايسمع رسول الله ﷺ من المشركين شيئا يكرهه من رد عليه أو تكذيب له الا فرج الله عنه بها فتثبته وتصدقه وتخفف عنه وتهون عليه ما يلقى من قومه ولو أردت ان اسرد فضائلها لما وسعه هذا الجزء ولكن يكفيها فخرا انها صارت سيدة نساء العالمين فما بعد هذه الرفعة ، رفعة ولا اعلا من هذه المنزلة ، منزلة ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

زواجه على سودة بنت زمعة

بعد وفاة خديجة رضي الله عنها بعدة ايام جاءت الى رسول الله ﷺ خولة بنت حكيم فقالت له : افلا أخطب عليك فقال : بلى قال : انكن معشر النساء أرفق بذلك فخطبت عليه سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس العامرية رضي الله عنها كانت من السابقات الى الاسلام وقد تزوجت

السكران بن عمرو وهاجرت معه الهجرة الثانية الى الحبشة ثم رجعت معه الى مكة وتوفى بها فتزوجها رسول الله ﷺ وهي اول امراة دخل بها رسول الله ﷺ بعد خديجة رضي الله عنها .

زواجه على عائشة

عائشة رضي الله عنها بنت ابى بكر الصديق رضي الله عنهما وأمها أم رومان بنت عامر بن عويمر الكنانية ولدت بعد البعثة بأربع سنين ولما توفت خديجة بنت خويلد رضي الله عنها قالت خولة بنت حكيم : امرأة عثمان بن مظعون رضي الله عنه وذلك بمكة لرسول الله ﷺ ألا تزوج ؟ قال : من ؟ قالت : ان شئت بكرا وان شئت ثيبا قال : فمن البكر قالت: بنت أحب خلق الله اليك عائشة بنت أبى بكر قال :ومن الثيب قالت: سودة بنت زمعة قال : فاذهبي فاذكريهما علي فجاءت بيت أبى بكر الصديق رضى الله عنه فوجدت أم رومان والدة عائشة فقالت لها : ما أدخل عليكم من الخير والبركة قالت : أم رومان وما ذاك ؟ قالت : أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة قالت : وددت انتظري أبا بكر فجاء أبو بكر فذكرت له ذلك فقال : وهل تصلح له وهي بنت أخيه ؟ فرجعت خولة للنبي ﷺ فذكرت ذلك له قال : قولي له أنت أخي في الاسلام وابنتك تحل لي فجاءته فأخبرته فأنكحه وهي يومئذ بنت ست سنين ودخل بها بالمدينة وهى ابنة تسع سنين في شوال من السنة الاولى من الهجرة .

خروجه الى الطائف

لما توفى ابو طالب وتوفت بعده خديجة بنت خويلد رضي الله عنها تتابعت على رسول الله ﷺ المصائب فكانت خديجة رضي الله عنها كما قدمنا وزيرة صدق على الاسلام يشكوا اليها فتواسيه وتسليه وكان عمه أبو طالب عضداً له وحرزا فى أمره ومنعة وناصرا على قومه وبتوالى مالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى مالم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب حتى أعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه الشريف ترابا فدخل ﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت اليه أحد بناته فجعلت تغسل التراب عنه وهي تبكي فقال لها : رسول الله ﷺ لاتبكي يا بنية فان الله مانع أباك فخرج رسول الله ﷺ الى الطائف وهو على بعد خمسين ميلا من مكة شرقا وذلك في شوال من السنة العاشرة من البعثة النبوية يلتمس النصر من ثقيف والمنعة بهم من قومه رجاء ان يقبلوا منه ماجاءهم به من الله عز وجل لأنهم كانوا أخواله فلما انتهى الى الطائف عمد الى سادة ثقيف يومئذ وأشرافهم وهم أخوة ثلاثة عبد ياليل ، ومسعود ، وحبيب ، ابناء عمرو بن عمير بن عوف بن ثقيف وعندهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس اليهم رسول الله ﷺ فدعاهم الى الله تعالى وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له : أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك . (اي ينتفها ويقطعها)

وقال الآخر: أما وجد الله احدا يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله لا أكلمك أبدا لئن كنت رسول الله كما تقول لأنت أعظم خطراً (اى قدرا) من أن أرد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان أكلمك فقام رسول الله ﷺ من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقال لهم: اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني وكره رسول الله ﷺ ان يبلغ قومه عنه فيدئرهم ذلك عليه (يعني يحرشهم عليه) فلم يفعلوا واغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتي اجتمع عليه الناس وحصبوه بالحجارة حتى أدموا قدميه وابتلت نعلاه بالدماء وألجؤوه الى حائط لعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة ابن ربيعة وهما فيه وكان الطائف مصيف قريش ولهم به بساتين وحدائق ورجع عنه سفهاء ثقيف الذين كانوا يؤذونه فعمد الي ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه ويريان ما لقي من سفهاء أهل الطائف فلما اطمئن قال رسول الله: ﷺ (اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني أم الى عدو ملكته أمري ان لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك هي اوسع لي أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من ان تنزل بي غضبك أو يحل على سخطك لك العتبي حتي ترضي ولا حول ولا قوة الا بك)

فلما رأي أبنا ربيعة عتبة وشيبة ما لقيه رسول الله ﷺ تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له : خذ قطفا من عنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ ثم قال له : كل فلما وضع رسول الله ﷺ فيه يده قال : بسم الله ثم أكل فنظر عداس في وجهه ثم قال : والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له : رسول الله ﷺ ومن أهل اي البلاد أنت ياعداس وما دينك ؟ قال : نصراني وأنا رجل من أهل نينوي فقال له : رسول الله ﷺ من قرية الرجل الصالح يونس بن متي فقال له : عداس وما يدريك ما يونس بن متي فقال : رسول الله ﷺ ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي فأكب عداس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ، ويديه ، وقدميه فلما رأي ذلك أبنا ربيعة قال : أحدهما للآخر قد أفسد عليك غلامك فلما جاءهما عداس قالا له : ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : ياسيدى مافي الارض شيء خير من هذا لقد أخبرني بأمر ما يعلمه الا نبي فقالا له : ويحك ياعداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه .

ثم انصرف رسول الله ﷺ راجعا من الطائف الى مكة حين يئس من ثقيف حتي اذا كان بنخلة وهي على مرحلة من الطائف شمالا بغرب قام من جوف الليل يصلي فمر به نفر من الجن فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته

انصرفوا فأنزل الله تعالى عليه (قل أوحي الي انه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً)

دخوله مكة فى جوار المطعم بن عدى

فلما أقبل رسول الله ﷺ على مكة وتيقن ان قريشا لا تكف عن أذاه خصوصا وانه قد نال من ثقيف ما نال وعاد خائبا ففكر فيمن يدخل فى جواره فلما بلغ مكة نزل بحراء وأرسل الى الاخنس بن شريق بن عمرو حليف بني زهرة ليجيره اذا دخل مكة فقال: أنا حليف والحليف لا يجير ثم أرسل الى سهيل بن عمرو وطلب جواره فقال : ان بني عامر لا تجير على بني كعب ثم أرسل الى المطعم بن عدي أن يدخل فى جواره فأجابه الى ذلك ثم تسلح المطعم بن عدي وأهل بيته وخرجوا حتي أتوا المسجد فقام المطعم على راحلته فنادي يا معشر قريش انى قد أجرت محمدا فلا يؤذيه أحدمنكم ثم بعث الى رسول الله ﷺ أن ادخل فدخل رسول الله ﷺ المسجد وطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف الى منزله والمطعم بن عدي وولده مطيفون به ﷺ فبات عند المطعم تلك الليلة فلما اصبح خرج المطعم وقد لبس سلاحه هو وبنوه وكانوا سبعة وقالوا : لرسول الله ﷺ طف واحتبوا بحمائل سيوفهم فى المطاف مدة طوافه ﷺ فاقبل أبو سفيان ابن حرب على المطعم فقال: أمجير أم تابع فقال: بل مجير فقال: اذا لا تخفر

في جوارك فقد أجرنا من أجرت فجلس حتى قضى رسول الله ﷺ طوافه ثم دخل المسجد يوما والمشركون عند الكعبة فلما رآه أبو جهل قال : هذا نبيكم يابني عبد مناف قال عتبة بن ربيعة : وما تنكر أن يكون منا نبي او ملك فأخبر بذلك النبي ﷺ فقام فقال : أما أنت يا عتبة بن ربيعة فوالله ما حميت لله ولا لرسوله ولكن حميت لانفك ، وأما أنت يا ابا جهل ابن هشام فوالله لا يأتي عليك غير كبير من الدهر حتى تضحك قليلا وتبكي كثيراً ، وأما أنتم يا معشر الملأ من قريش فوالله لا يأتي عليكم غير كبير من الدهر حتى تدخلوا فيما تنكرون .

رجوع بعض مهاجري الحبشة الى مكة

بلغ مهاجري الحبشة أن قريشاً أسلمت فرجع منهم تسعة وعشرون رجلا وستة نسوة وهذه أسماؤهم (١) عثمان بن عفان وزوجته رقية (٢) حذيفة بن عتبة وامرأته سهلة (٣) عبد الله بن جحش (٤) الزبير ابن العوام (٥) مصعب بن عمير (٦) سويط بن سعد (٧) طليب بن عمير (٨) عبد الرحمن بن عوف (٩) المقداد بن الاسود (١٠) عبد الله ابن مسعود (١١) ابو سلمة بن عبد الاسد وامرأته أم سلمة (١٢) شماس ابن عثمان (١٣) سلمة بن هشام (١٤) عياش بن أبي ربيعة (١٥) متعب ابن عوف (١٦) عثمان بن مظعون (١٧) ابنه السائب بن عثمان

(١٨) خنيس بن حذافة (١٩) هشام بن العاص (٢٠) عامر بن ربيعة و إمرأته ليلي (٢١) عبد الله بن مخرمة (٢٢) عبد الله بن سهيل (٢٣) أبو سبرة بن أبي رهم و امرأته أم كلثوم (٢٤) السكران بن عمرو و امرأته سودة بنت زمعة وهي التي تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاته (٢٥) سعد بن خولة (٢٦) أبو عبيدة بن الجراح (٢٧) عمرو بن الحارث (٢٨) سهيل بن بيضاء (٢٩) عمرو بن أبي سرح فلما بلغوا مكة ظهر لهم خلاف ما بلغهم من اسلام قريش فدخل مكة بعضهم بجوار و بعضهم دخلها سرا و بعضهم عرفهم قومهم فسجنوهم واضطهدوهم .

الاسراء و المعراج

أورد المفسرون وعلماء الحديث روايات كثيرة فى كون الاسراء والمعراج حصل لرسول الله ﷺ بروحه وجسده ، أو بروحه ، وهل وقع يقظة ، أو مناما ، ووقع مرة أو مرتين أو أكثر فتركت البحث فى ذلك لأنه يحتاج الى جزء خاص وأتيت بما جاء فى كتاب الله من سورة الاسراء وما لخصه الحافظ ابن القيم من الصحيحين فى زاد المعاد وعن غيره مما لا يستغنى عنه قال تعالى (بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذى اسري بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصي الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا أنه هو السميع البصير) قال الحافظ ابن القيم ثم أسري برسول

الله ﷺ بجسده على الصحيح من المسجد الحرام الى بيت المقدس راكباً على البراق صحبة جبرائيل عليهما الصلاة والسلام فنزل هناك وصلى بالانبياء اماما وربط البراق بحلقة باب المسجد ثم عرج به تلك الليلة من بيت المقدس الى السماء الدنيا فاستفتح له جبرائيل ففتح له فرأى هنالك آدم أبا البشر فسلم عليه فرحب به ورد عليه السلام وأقر بنبوته وأراه الله أرواح السعداء عن يمينه وأرواح الاشقياء عن يساره ثم عرج به الى السماء الثانية فاستفتح له فرأى فيها يحيى بن زكريا، وعيسى بن مريم فلقيهما وسلم عليهما فردا عليه ورحبا به وأقرا بنبوته ثم عرج به الى السماء الثالثة فرأى فيها يوسف فسلم عليه فرد عليه ورحب به وأقر بنبوته ثم عرج به الى السماء الرابعة فرأى فيها ادريس فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ثم عرج به الى السماء الخامسة فرأى فيها هارون بن عمران فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ثم عرج به الى السماء السادسة فلقي فيها موسى بن عمران فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته فلما جاوزه بكى موسى فقيل له ما يبكيك؟ فقال: أبكي لان غلاما بعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي ثم عرج به الى السماء السابعة فلقي فيها ابراهيم فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته ثم رفع الى سدرة المنتهى ثم رفع له البيت المعمور ثم عرج به الى الجبار جل جلاله فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى وفرض عليه خمسين صلاة فرجع حتى مر على موسى فقال له:

بم أمرت ؟ قال: بخمسين صلاة قال: ان أمتك لاتطيق ذلك ارجع الى ربك فأسأله التخفيف لامتك فالتفت الى جبرائيل كانه يستشيره فى ذلك فاشار ان نعم ان شئت فعلا جبرائيل حتي أتى به الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه هذا لفظ البخاري في بعض الطرق فوضع عنه عشرا ثم أنزل حتى مر بموسي فاخبره فقال : ارجع الى ربك فأسأله التخفيف فلم يزل يتردد بين موسى وبين الله عزوجل حتى جعلها خمسا فأمره موسى بالرجوع وسؤال التخفيف فقال :قد استحييت من ربى ولكن أرضى وأسلم فلما بعد نادى مناد قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادى . والانبياء الذين رآهم رسول الله ﷺ فى السموات السبع رأى أرواحهم وأما أجسادهم فهي مستقرة في قبورهم كما ان رسول الله ﷺ روحه فى الرفيق الاعلى وبدنه فى ضريحه غير مفقود وأذا سلم عليه المسلم رد الله عليه روحه حتي يرد السلام ولم يفارق الملأ الاعلى هذا ماقرره ابن القيم .

فلما أصبح رسول الله ﷺ في مكة أخبر أم هانىء بنت أبى طالب عن اسرائه فقال : أريد أن أخرج الى قريش فأخبرهم فتعلقت أم هانىء بردائه ﷺ وتوسلت اليه ان لايخرج ولا يخبر قريشا بذلك فأبى وخرج حتى اتى الحطيم عند الكعبة فمر به ابو جهل فقال : كالمستهزئ : هل من شيء ؟ قال : رسول الله ﷺ نعم أسرى بى الليلة قال ابوجهل : الى اين ؟ قال : الى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت بين أظهرنا قال : نعم فلم ير

أبو جهل أن يكذبه مخافة أن يجحد الحديث فقال : أرأيت ان دعوت قومك أتحدثهم ما حدثتنى ؟ قال : نعم قال أبوجهل : يامعشر بنى كعب بن لؤى فانفضت اليه المجالس وجاؤا حتى جلسوا اليهما فقال : حدث قومك بما حدثتنى به فقال رسول الله ﷺ انى أسري بى الليلة قالوا : الى اين ؟ قال : الى بيت المقدس فلما سمعوا ذلك ضجوا واعظموا ذلك الاسراء وصار بعضهم يصفق و بعضهم يضع يده على رأسه تعجبا و قال المطعم بن عدي ان أمرك قبل اليوم كان أمرا يسيرا غير قولك اليوم انا أشهد انك كاذب نحن نضرب أكباد الابل الى بيت المقدس مصعداً شهرا ومنحدراً شهراً ثم تزعم انك أتيته فى ليلة واحدة واللات والعزي لا أصدقك وما كان هذا الذى تقول قط . فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه : يا مطعم بئسما قلت لابن أخيك جبهته و كذبته أنا أشهد انه صادق . قالوا : أتصدقه انه ذهب الى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح قال ابو بكر : نعم اني لاصدقه فيما هو ابعد من ذلك اصدقه في خبر السماء في غدوة و روحة فقال المطعم : لرسول الله ﷺ صف لنا بيت المقدس ، اراد بذلك اظهار كذبه — لانه لم يسبق له انه رأى القدس — وعرف ابو بكر الصديق قصد المطعم من ذلك فقال ابو بكر : صفه لي يا رسول الله فانى قد جئته فجاءه جبرائيل بصورته ومثلها بين عينيه لانه ﷺ جاء بيت المقدس ليلا ولم يتمكن من رؤيته تماما بحيث يأتي علي وصفه كما ينبغي

فجعل رسول ﷺ يصفه ويقول باب منه في موضع كذا وابو بكر يقول اشهد انك رسول الله حتى اتى علي اوصافه التي يعرفونها فقالوا صدق الوليد ابن المغيرة انه لساحر فانزل الله تعالى (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس) ثم قالوا :هل رأيت في مسراك ما نستدل به على صدقك؟ قال : ﷺ اني مررت بعير بني فلان بوادي كذا فانفر عيرهم حس الدابة فندلهم بعير فدلتهم عليه وأنا متوجه الى الشام ثم أقبلت حتى اذا كنت بمحل كذا مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما ولهم أناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه وشربت مافيه ثم غطيت عليه كما كان وانتهيت الى عير بني فلان فنفرت من الدابة وبرك منها بعير أحمر عليه جوالق مخطط ببياض لا أدري أكسر البعير أم لا ؟ وانتهيت الى عير بني فلان بمكان كذا وكذا فيها جمل عليه غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير نفرت وصرع ذلك البعير وانكسر واضلوا بعيرا لهم قد جمعه فلان بدلالتي لهم عليه فسلمت عليهم فقال بعضهم : هذا صوت محمد فلما انتهي رسول الله ﷺ من وصف مسراه أحصته قريش الى ان قدم أصحاب العير الذين مر بهم النبي ﷺ فسألوهم عن ذلك كله فقالوا كله صدق فوقع هذا التصديق منهم موقع الدهشة والاستغراب فأما أهل الايمان الكامل الذين قد ثبت الله الايمان في قلوبهم مثل ابي بكر الصديق رضي الله عنه فازدادوا ايمانا مع ايمانهم ويقينا على يقينهم وأما الذين لم يتمكن

الايمان من قلوبهم فارتدوا وأما أهل الكفر والعناد فازدادوا كفر وعناداً.

فهذا ما وقع من حديث الاسراء وتكذيب قريش له حتى بعد تيقنهم من اصحاب العير التي مر بهم فى اسرائه وأما حديث المعراج فان رسول الله ﷺ لم يخبرهم به ولم يخبر حتي أصحابه بعروجه الى السموات السبع ومافوقها لان الناس كانوا مبتدئين فى الاسلام وقد استعظموا حديث الاسراء فما بالك بالمعراج ولم يحدث رسول الله ﷺ اصحابه بقصة المعراج الا بعد الهجرة و بعد ان تيقن من تمكن الايمان فى قلوبهم وتمرنهم على المعجزات وخوارق العادات ، بملازمتهم له مدة طويلة . والذي يوجب الاستغراب هنا ان بعض أرباب الاقلام ممن له منشورات فى تاريخ الاسلام ، والسير يحاولون تأويل الاسراء والمعراج بما يلائم العقول البسيطة و يميلون الى الروايات الواردة في ان الاسراء والمعراج كان بروحه أو مناما و يريدون بذلك اقناع ملاحدة الاسلام وسد افواههم من جهة وارضاء المؤمنين من جهة أخرى ويكلفون أنفسهم مالا يطيقون بدون أدني نتيجة حيث ان من كان دابه العناد، والمكابرة، والسفسطة لايمكن اقناعه ولو أقمت له الف دليل وبرهان على ذلك كما وقع من مشركي قريش مع النبي ﷺ فى الاسراء وغيره من المكابرة بعد التيقن من صحة ما حدثهم به رسول الله ﷺ لان كثيرا من الناس لايصدق الا بما يلائم عقله ولو كان سخيفا أو قاصراً عن ادراك الحقائق ويتصلب لفكره بدون أن يتعقل الشيء أو يتدبره أو

يسأل عنه من هو أعلى منه علما ، وفهما ، وادراكا . فالناس هنا على درجات من جهة الفهم، والادراك ،والتصوير العقلي فمنهم من يدرك الشيء لاول وهلة بدون تردد أو شك أو تحير ومنهم من يحتاج الى التروي ، والتدبر ،والتفاهم مع محدثه ، ومنهم من يرد الشيء بغير تدبر، ولا تفكر، ولا تصور، ولا تأمل وهؤلاء على قسمين فقسم منهم معاند ومكابر لا يريد الفهم ولا التفاهم أمثال كفار قريش ،والقسم الثانى هم الملاحدة الذين يطبقون الاشياء على عقولهم السخيفة وجعلوا عقولهم معيارا للحقائق مع أن عقولهم قد خلقها الله قاصرة بليدة مجردة عن ادراك الحقائق وتصور المخلوقات فلا يصدقون الا بالاشياء الظاهرة الملموسة البسيطة ، وأما الاشياء الدقيقة التي تحتاج الى تدبر، وتفكر ، وتأمل فلا نصيب لعقولهم فيها البتة مع أن فى الكون أشياء لم يكتشفها العلم الحديث الذى هو حجة أولئك الملاحدة مثل الروح التي هي موجودة في كل ذي نسمة فقد عجز عن معرفتها أهل العلم الحديث بل عجزوا عن معرفة ماهو أقل منها شأنا مع أن وجود الروح في اشخاصهم وملازمتها لهم مدة حياتهم فيكف والحالة هذه اذا ثبت عجزهم عن معرفة ماهو ملازم لاشخاصهم! أيمكنهم ان يصلوا الى معرفة ما هو بعيد عن شخصيتهم ؟ و بعيد عن ابصارهم ،و بصائرهم ، و بعيد عن عقولهم ومداركهم ، وبعيد عن أفهامهم ، وتصوراتهم ! فاذا كانت عقولهم ومداركهم عجزت عن حقيقة ماهو موجود فى شخص كل انسان منهم

فكيف لا يعجزون عن معرفة الاشياء البعيدة عن الحس والمشاهدة ، فهم جديرون بان يقفوا مكتوفي الأيدى أمام معجزات الانبياء والرسل صلوات الله عليهم وعن ادراك حقيقة الملائكة والجن وعن ادراك خوارق العادات

وأما تصديق الصحابة للنبي ﷺ في كل ماجاء به فهو مبني على صدق رسول الله ﷺ في المحسوسات والمعقولات فلما تبين لهم صدقه فى الاشياء المحسوسة ،والملموسة ،والمعقولة ،صدقوه في كلما حدث به عن المغيبات عن أبصارهم حيث ان الانسان اذا تأكد صدق الشخص في عموم ما حدث به ولم يثبت عليه انه كذب مرة واحدة في حديثه لا شك انه يصدقه في كل ما حدث به على الاطلاق ولا يدخله الريب في كلمة واحدة من كلامه. والزمن لا يزال يبرهن على صدق ماجاء به النبي ﷺ وقد ظهر ذلك لكثير من مفكري الغرب وقد اعتنقوا دين الاسلام حينما ظهرت لهم حقيقة الدين الاسلامى وكما لنا ان العقل النير ليس هو كالعقل المظلم كما ان الفكر الثاقب لا يشبه الفكر المنحجر وعليه فكل من أراد الوصول الى معرفة أسرار النبوة وصحة ما جاء به الانبياء صلوات الله عليهم فعليه ان يتجرد من العناد و يدرس ما جاؤا به من عند الله تعالى درسا دقيقا بفكر ثاقب ، وقلب طاهر وأما اذا ارتكن على مجرد النظر السطحي والعقل الفارغ المجرد من العلوم الصحيحة فبغير شك لا يصل الى الغاية المطلوبة أصلا حيث ان البحث المجرد من الثقافة والمبني على التصورات الفارغة لا يوصل الى ادراك

الحقائق وهذه هي القاعدة الصحيحة عند علماء البحث والتدقيق .

وقد وقع هذا الاسراء والمعراج في الليلة السابعة والعشرين من شهر رجب في السنة الثانية عشر من البعثة وقبل الهجرة بثمانية أشهر على أشهر الروايات .

عرض نفسه على القبائل

لما دخل رسول الله ﷺ مكة في جوار المطعم بن عدي بعد رجوعه من الطائف ويأسه من ثقيف ورأي من قومه أشد ما كانوا عليه من مخالفته والتباعد عنه وعدم الاصغاء الى ما جاء به واصبح التفاهم معهم من المستحيلات . أخذ يعرض نفسه في الموسم على القبائل يدعوهم الى الله تعالى ويخبرهم انه نبي مرسل ويسألهم ان يمنعوهم حتى يبين ما بعثه الله به فكان يقف بمنى على منازل القبائل من العرب يقول : يا بني فلان اني رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وان تؤمنوا بي وتصدقوني وتمنعوني حتى ابين عن الله ما بعثني به وكان يمشي خلفه أبو لهب وعليه حلة عدنانية فاذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله قال : ابو لهب يا بني فلان ان هذا انما يدعوكم ان تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن الى ما جاء به من البدع والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه . فأتى رسول الله ﷺ كندة في منازلهم وفيهم سيد لهم يقال له مليح فدعاهم الى الله عز وجل وعرض

عليهم نفسه فأبوا عليه. وأتى الى بني عبدالله (بطن من كلب) فدعاهم الى الله تعالى وعرض عليهم نفسه وقال لهم: يا بنى عبد الله ان الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم . وأتى بنى حنيفة فى منازلهم فدعاهم الى الله تعالى وعرض عليهم نفسه فلم يكن احد من العرب رد عليه بأقبح من ردهم . وأتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فقال لهم : رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس والله لو اخذت هذا الفتى من قريش لاكلت به العرب ثم قال له أرأيت ان نحن تابعناك على امرك ؟ ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر بعدك؟ قال: رسول الله ﷺ الامر الى الله يضعه حيث يشاء فقال له : بيحرة أفنهدف نحورنا للعرب دونك فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا لاحاجة لنا بأمرك. فلما رجعت بنوا عامر الى ديارهم أخبرت شيخا لهم قد هرم فلا يستطيع أن يحضر معهم الموسم ومن عادتهم اذا رجعوا من الموسم ذهبوا اليه وأخبروه بما رأوا فى ذلك الموسم فلما قدموا ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا :جاءنا فتي من قريش من بني عبد المطلب يزعم انه نبي يدعونا الى ان نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا قال فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال : يابني عامر هل لها من تلاف؟ هل لذناباها من مطلب؟ والذي نفس فلان بيده ما تقولها اسماعيلي قط وانها لحق فأين رأيكم كان عنكم ؟ ثم اتى رسول الله ﷺ سوق عكاظ ، وذي المجاز ، وكان بهما بنوا

وأما أنا انما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ان لا نحدث حدثا ولا نأوي محدثا واني أري هذا الامر الذي تدعونا اليه يااخا قريش مما تكرهه الملوك فاذا أحببت أن ندنيك و ننصرك مما يلي مياه العرب فعلنا فقال رسول الله : ﷺ ما أسأتم الرد اذ افصحتم بالصدق وان دين الله عز وجل لن ينصره الا من أحاطه من جميع جوانبه أرأيتم ؟ ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله تعالى أرضهم وديارهم وأموالهم و يفرشكم نساءهم تسبحون الله تعالى وتقدسونه فقال النعمان : اللهم فلك ذاك فتلا عليهم رسول الله ﷺ (يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا و مبشراً و نذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا)

فكان رسول الله ﷺ على ذلك من امره كلما اجتمع الناس بالموسم اتاهم يدعوا القبائل الى الله تعالى والى الاسلام و يعرض عليهم نفسه وما جاء به من عند الله تعالى هدى و رحمة لقوم يعقلون وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم و شرف الا تصدى له فدعاه الى الله تعالى وعرض عليه ما عنده . فقدم سويد بن صامت أخو بني عمرو بن عوف مكة حاجا او معتمرا وكان سويد يسميه قومه الكامل لجلده وشرفه ونسبه فيهم فتصدى له رسول الله ﷺ حين سمع به فدعاه الى الله تعالى والى الاسلام فقال له سويد : فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له : رسول الله ﷺ ماالذى معك؟ قال مجلة لقمان (يعنى حكمة لقمان) فقال له : رسول الله ﷺ أعرضها

علي فعرضها عليه فقال له : ان هذا الكلام حسن والذي معي أفضل من هذا قرآن أنزله الله تعالى علي هو هدى ونور فتلا عليه رسول الله ﷺ القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال : هذا القول حسن ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتلته الخزرج فقال : رجال من قومه انه مات على الاسلام . واتى أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بني الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج فسمع بهم رسول الله ﷺ فاتاهم فجلس اليهم فقال لهم : هل لكم فى خير مما جئتم له ؟ فقالوا له : وما ذاك ؟ قال : أنا رسول الله بعثني الي العباد أدعوهم الى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا وأنزل علي الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ : وكان غلاما حدثا أي قوم هذا والله خير مما جئتم له فاخذ ابو الحيسر انس ابن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال : دعنا منك فلعمري لقد جئنا لغير هذا فصمت اياس وقام رسول الله ﷺ عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بغاث بين الاوس والخزرج فقتل أياس بن معاذ وهو يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتي مات فكان قومه لا يشكون في اسلامه وقد استشعر الاسلام في المجلس الذي دعاهم فيه رسول الله ﷺ اليه .

عبس ، وغسان ، وبنو محارب ، وبنو فزارة ، وبنو مرة ، وبنو سليم وبنو النضر بن هوازن ، وبنو الحارث بن كعب ، وبنو عذرة ، وقيس الحطيم ، وغيرهم من قبائل العرب فقال لهم : يأيها الناس قولوا لااله الا الله تفلحوا وخلفه ابوجهل يقول : يا ايها الناس لايغرنكم هذا عن دينكم فانما يريد ان تتركوا عبادة اللات والعزى . ثم أتى رسول الله ﷺ مجلساً آخر ومعه ابو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما عليهما السكينة والوقار فتقدم أبو بكر فسلم فقال : من القوم ؟ قالوا : من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر الى رسول الله ﷺ وقال : بأبي وأمي هؤلاء أغرر الناس وفيهم مرزوق بن عمرو ، وهانى بن قبيصة ، والمثنى بن حارثة ، والنعمان ابن شريك ، وكان مرزوق قد غلبهم لسانا وجمالا وكانت له غديرتان تسقطان على ثوبه وكان أدنى القوم مجلساً من ابي بكر فقال ابو بكر : كيف العدد فيكم ؟ فقال مرزوق : انا لنزيد على الف ولن نغلب الفين قلة فقال ابو بكر : وكيف النعمة فيكم ؟ فقال مرزوق : انا لاشد مانكون غضبا حين نلقى وأشد ما نكون لقاء حين نغضب ، وانا لؤثر الجياد على الاولاد والسلام على اللقاح ، والعز من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا أخرى لعلك أخا قريش فقال أبو بكر : ان كان بلغك أنه رسول الله ﷺ فها هوذا فقال مرزوق : الى م تدع يا أخا قريش ؟ فقال : ﷺ أدعوكم الى شهادة أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأني عبد الله ورسوله والى

أن تؤوني وتنصروني فان قريشا قد تظاهرت على الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل على الحق والله هو الغني الحميد فقال مرزوق : والى م تدع ايضا يا أخا قريش ؟ فوالله ما سمعت كلاما أحسن من هذا فتلا رسول الله ﷺ (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ذالكم وصاكم به لعلكم تعقلون) فقال مرزوق : دعوت والله الى مكارم الاخلاق ،ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك ثم رد الامر الى هانى بن قبيصة فقال : هذا هانى شيخنا وصاحب ديننا فقال هانى : قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وانى أرى تركنا لديننا واتباعنا دينك لمجلس جلسته الينا لا أول له ولا آخر لذل فى الرأى وقلة نظر في العاقبة ان الذلة مع العجلة وانا نكره أن نعقد على من وراءنا عقدا ولكن نرجع وترجع وننظر وننظر . ثم أحب أن يشركه المثنى بن حارثة فقال :وهذا المثنى شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى : — وقد أسلم بعد ذلك — قد سمعت مقالتك يا أخا قريش والجواب فيه جواب هانى بن قبيصة فى ترك ديننا ومتابعتك دينك وانما نزلنا بين حرفين أحداهما اليمامة والاخرى اليمامة فقال له رسول الله ﷺ ماهذان الحرفان؟ قال : انهار كسرى ومياه العرب فاما ما كان من انهار كسري فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول

مالك بن التيهان — من بني عبد الاشهل — (١٢) عويم بن ساعدة .
والاثنان الاخيران من الاوس

فبايعوا رسول الله ﷺ على بيعة النساء وذلك قبل ان يفرض الجهاد . على ان لا يشركوا بالله شيئا ، ولا يسرقوا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ، ولا يعصونه فى معروف. وقال لهم : رسول الله ﷺ فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيئاً فامركم الى الله عز وجل ان شاء غفر وان شاء عذب ثم خرجوا الى المدينة .

ولما وصلوا الى المدينة أظهر الله بهم الاسلام وكان ابو امامة أسعد ابن زرارة يجتمع بالمدينة بمن اسلم منهم واجتمع من الاوس والخزرج أربعون رجلا فكتبوا الى النبي ﷺ أن ابعث الينا من يقرئنا القرآن فبعث اليهم مصعب بن عمير العبدري فنزل في بني غنم على اسعد بن زرارة فجعل يدعوا الناس ويفشي الاسلام وهم في ذلك مستخفون بدعائهم ثم ان أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الاشهل ودار بني ظفر ، فدخل به حائط بستان من حوائط بني ظفر على بئر يقال لها بئر مرق فجلسا فيه واجتمع اليهما رجال ممن أسلم فلما سمع بذلك سعد بن معاذ ، وأسيد بن حضير ،وهما يومئذ سيدا قومهما بني عبد الاشهل وكلاهما مشرك. قال سعد: لأسيد لا أبا لك انطلق الى هذين الرجلين اللذين

أتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا — يعني بالرجلين اسعد بن زرارة ، ومصعب بن عمير — فأزجرهما وانههما عن أن يأتيا دارنا فانه لولا ان أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك حيث هو ابن خالتي فأخذ أسيد بن حضير حربته ثم أقبل اليهما فلما رآه أسعد بن زرارة قال : لمصعب بن عمير ان هذا الذي أتى سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه فلما وقف أسيد ابن حضير متشتما يريد الشر بهم قال : ما جاء بكما الينا؟ تسفهان ضعفاءنا اعتزلا انا ان كانت لكما بأنفسكما حاجة . فقال له مصعب : أو تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال: أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فعرفنا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم ثم قال : ما أحسن هذا! وأجمله ! كيف تصنعون اذا اردتم أن تدخلوا في هذا الدين ؟ قالا له: تغتسل فتطهر وتطهر ثيابك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي . فقام ففعل ذلك وأسلم ثم قال لهما: ان ورائي رجلا أن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه وسأرسله اليكما الآن ثم انصرف الى سعد بن معاذ و قومه وهم جلوس في ناديهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ وهو مقبل اليهم قال احلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به فلما وقف على النادي قال له : سعد بن معاذ ما فعلت قال : كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت وقد حدثت ان بني حارثة خرجوا الى أسعد بن زرارة

العقبة الاولى

فلما أراد الله سبحانه وتعالي اظهار دينه واعزاز نبيه ﷺ وانجاز وعده لرسول الله ﷺ باظهار دينه رغما على أنف كل معاند، وباغ، وحاسد خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقي فيه أبا الحيسر أنس بن رافع ورفاقه ولم يستجب له فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: نفر من الخزرج قال: من موالي يهود قالوا: نعم قال: افلا تجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان مما صنع الله لهم به في الاسلام ان اليهود كانوا معهم في بلادهم وكانوا أهل كتاب، وعلم وكان الاوس والخزرج أهل شرك، وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوا اليهود في بلادهم فكان يقول لهم اليهود: ان نبيا مبعوثا الآن قد جاء زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد، وارم، فلما كلم رسول الله ﷺ الخزرج ودعاهم الى الله تعالى قال: بعضهم لبعض يا قوم تعلمون والله انه النبي الذى توعدكم به اليهود فلا يسبقونكم اليه فأجابوه فيما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا له: انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله

عليه فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله ﷺ راجعين الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا . وهؤلاء الرهط هم ستة نفر من الخزرج وهذه أسماءهم (١) أبو أمامة أسعد بن زرارة (٢) عوف بن الحارث وهو ابن عفراء (٣) رافع بن مالك بن العجلان (٤) قطبة بن عامر بن حديدة (٥) عقبة بن عامر بن نابي (٦) جابر بن عبد الله بن رئاب .

فلما وصلوا المدينة ذكروا لقومهم رسول الله ﷺ ودعوهم الى الاسلام حتي فشى فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله ﷺ وكان ذلك في السنة الحادية عشر من البعثة .

بيعة العقبة الثانية

ولما أتى موسم السنة الثانية عشر من البعثة وافى من الانصار اثنى عشر رجلا فلقيهم رسول الله ﷺ عند العقبة الاولى منهم خمسة من اهل العقبة الاولى وهم (١) أبو أمامة أسعد بن زرارة (٢) عوف بن الحارث (٣) رافع بن مالك (٤) قطبة بن عامر (٥) عقبة بن عامر بن نابى . والسبعة الذين اتوا معهم للبيعة هم (٦) معاذ بن الحارث بن رفاعة وهو أيضا بن عفراء أخو عوف بن الحارث (٧) ذكوان بن عبد القيس الزرقى (٨) عبادة بن الصامت بن قيس (٩) أبو عبد الرحمن يزيد بن ثعلبة البلوي (١٠) العباس بن عبادة بن نضلة . وهؤلاء العشرة من الخزرج ثم (١١) أبو الهيثم

بيعة العقبة الثالثة الكبرى

واذا قيض الآله اناسا لسعيد فانهم سعداء

فلما قدر الله سبحانه وتعالى للأنصار هذه السعادة الكبرى والمزية العظمى والمنزلة العليا خرج من الأوس والخزرج من أسلم منهم الى مكة مع حجاج قومهم المشركين لحضور الموسم وذلك في السنة الثالثة عشر من البعثة النبوية وقبل الهجرة بثلاثة أشهر وكان معهم عبد الله بن عمرو ابن حزام — أبو جابر بن عبد الله — وهو سيد من ساداتهم وشريف من أشرافهم فكلموه وقالوا له : يا أبا جابر انك سيد من سادا تنا وشريف من أشرافنا ، وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطبا للنار غدا فدعوه الى الاسلام فأسلم واستبشروا بأسلامه فلما وصلوا مكة سألوا عن رسول الله ﷺ ولم يكونوا رأوه من قبل فقيل لهم هو مع العباس في المسجد فدخلوا اليه وسلموا عليه وجلسوا عنده فقال : رسول الله ﷺ للعباس تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل قال : نعم هذا البراء بن معرور سيد قومه وهذا كعب بن مالك فقال البراء بن معرور : يا نبي الله انى خرجت في سفري هذا وقد هداني الله للاسلام فرأيت أن لا اجعل هذه البنية من ظهري (يعنى الكعبة) فصليت اليها وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع فى نفسي من ذلك شيء فماذا ترى يا رسول الله ؟ فقال : قد

كنت على قبلة لو صبرت عليها فرجع البراء الى قبلة رسول الله ﷺ الى الشام وواعدوه عند العقبة يكون الالتقاء للبيعة وخرجوا الى الحج فلما كانت الليلة التي وعدوا رسول الله ﷺ الاجتماع فيها كانوا يكتمون أمرهم عن المشركين من قومهم فمكثوا مع قومهم الى أن مضى ثلث الليل فخرجوا من رحالهم متسللين تسلل القطا مستخفين الى الشعب عند العقبة وكانوا ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان وهما أم عمارة بنت كعب أحد نساء بني مازن ، وأسماء بنت عمرو بن عدي أحد نساء بني سلمة فلما اجتمعوا جاء رسول الله ﷺ وجاء معه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلس تكلم العباس فقال : ان محمدا منا من حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا وهو في عز من قومه ومنعة في بلده وقد أبى الا الانحياز اليكم واللحاق بكم فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وذاك وان كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه و بلده فقالوا له : قد سمعنا ماقلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما احببت فتكلم رسول الله ﷺ فدعى الى الله تعالى وقرأ القرآن ورغب في الاسلام ثم قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم فقال العباس ابن عبادة بن نضله : (أخو بني سالم بن عوف) يا معشر الخزرج هل تدرون

ليقتلوه وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك فقام سعد بن معاذ مغضبا مبادرا متخوفا على سعد فأخذ حربته من يده ثم قال : والله ما أراك اغنيت شيئا ثم خرج اليهما فلما رآهما مطمئنين عرف ان أسيد بن حضير انما اراد أن يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قل: يا أبا أمامة أما والله لولا ما بيني و بينك من القرابة ما رمت هذا مني اتغشانا في دارنا بما نكره ؟ فقال: سعد بن زرارة لمصعب بن عمير أي مصعب جاءك والله سيد من ورائه قومه أن يتبعك لايتخلف عنك منهم اثنان فقال له مصعب: فاسمع فان رضيت بما نقوله وقبلته فيها وأن كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد بن معاذ : انصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن فعرفا في وجهه الاسلام قبل أن يتكلم فقال سعد : كيف تصنعون اذا اردتم الاسلام ؟ قالا له: مثل ماقالا لأسيد بن حضير ففعل . ثم رجع سعد الى قومه فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به فلما وقف قال : يا بني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم ؟ قالوا : سيدنا ، وأفضلنا رأيا ، وأيمننا نقيبة قال : فان كلام رجالكم ونساءكم حرام علي حتى تؤمنوا بالله و رسوله قال : فوالله ما أمسى في دار بني عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما ، ومسلمة ، ثم رجع مصعب ابن عمير الى منزل أسعد بن زرارة فاقام عنده يدعوا الناس الى الاسلام حتى لم يبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال و نساء مسلمون

فكتب رسول الله ﷺ الى مصعب بن عمير ان يجمع بهم الصلاة ثم رجع مصعب بن عمير الى مكة .

ان من يتأمل في سرعة دخول الاوس والخزرج في الاسلام بسهولة يعجب و يظن ان الانصار أذكي عقلا ، وأعظم ادراكا ، وأقرب فهما ، والين جانبا ، من قريش مع أن الامر ليس كذلك بل عموم العرب هم متساوون فى الذكاء و الفهم في الغالب الا من تقدم عن غيره بالعلم او الفن أو التجارب أو غير ذلك من غير طريق الفطرة والطبيعة . والفرق بين قريش والانصار في سهولة دخولهما في الاسلام واقبالهما عليه ظاهر ومحسوس وهو أن قريشا قد فهمت قول النبي ﷺ وسمعت منه القرآن وأدركت معانيه لاول مرة ولكن هناك حيلولة عظمى حالت بين قريش والاسلام وهذه الحيلولة ظاهرة متجسمة فيهم وفي أخلاقهم وحركاتهم وسكناتهم وهي الحسد والانانية والعظمة والكبرياء فهذا الذي حال بينهم و بين الاسلام والذين تجردوا من هذه الحيلولة منهم قد دخلوا في الاسلام بالسهولة التى دخل بها الانصار وأما قبول الانصار الاسلام ودخولهم فيه بسهولة سببه أنهم مجردون من الصفات التي حالت بين قريش و بين الاسلام فلما لم يكن هنا غرض يحول بينهم و بين الاسلام تهافتوا عليه تهافت الشخص على ضالته المنشودة فهذا هو الفارق بين بعد قريش عن الاسلام و الدخول فيه وقرب الانصار له وتهافتهم عليه من يهدي الله فلامضل له ومن يضلل فلا هادي له .

وأما سعد بن عبادة فأخذوه وربطوا يده الى عنقه بنسع رحله ثم أقبلوا به حتي أدخلوه مكة يضربونه ويجذبون شعر رأسه . ثم خلصه منهم جبير بن مطعم ، والحارث بن أمية لانه كان يجير لهما تجارتهما ويمنعهم أن يظلموا ببلده فخلص منهم ولحق بقومه .

فلما وصلت الانصار المدينة أظهروا الاسلام بعد ما تبين لهم الرشد من الغي وفهموا حقيقته وظهرت تعاليمه وارشاداته واضحة وعلموا انه لاوصول الى سعادة الدنيا والآخرة الا به وعن طريقه حيث قد تمكن الايمان من قلوبهم وظهر لهم ان عبادة الاصنام ضرب من الحمق والجنون فأصبحوا يسخرون بها وبمن يعبدها ولو كان العابد لها من ساداتهم وما وقعوا برجل يعبد صنما الا سخروا به ومن ذلك انه كان عمرو بن الجموح من شيوخ بني سلمة يعبد صنما من خشب يقال له (مناة) على عادة أشراف القوم في الجاهلية وكان ابنه معاذ بن عمرو قد اسلم وشهد العقبة الكبرى فكان معاذ ابنه ، ومعاذ بن جبل ، وفتية ممن آمن يدلجون بالليل على صنم عمرو فياخذونه ويطرحونه فى حفرة بها أقذار منكس الراس فلما اصبح عمرو ولم يجد الصنم قال : ويلكم من دلج على الهتنا هذه الليلة فأخذ يبحث عنه حتى وجده مطروحا في الاقذرة فأخذه وغسله وطيبه ووضعه فى مكانه وقال : والله لو اعلم من صنع بك لاخزينه فتكرر ذلك منهم ثم ان عمروا علق سيفه في عنق الصنم وقال له : انا لا اعلم من يصنع

ذلك بك فان كان فيك خير فامتنع بهذا السيف فلما أمسى جاء الفتية اليه فاخذوا السيف من عنقه وأخذوا كلاميتا وقرنوه به وطرحوه في بئر مملوءة عذرا فلما أصبح عمرو بحث عنه حتى وجده على تلك الحالة فرجع الى صوابه، وارشده قومه الى الاسلام فاسلم وحسن اسلامه.

ربما يتبادر الى القاريء ان هذه القصة ضرب من الخراف وهي ليس كذلك واني اجزم له بصحتها والذي يجعل الانسان يعتقد في بعض الاضاليل هو التقليد الاعمي الذى تدهور فيه كثير من الناس وليس ثمة سبب غيره لان كثيرا من الناس يقلد في شيء قبل ان يختبره، او يفحصه، او يبحث عنه، وكثير منهم موجود في هذا العصر المنير على قول اهله تجدهم يقلدون تقليدا اعمي بمعنى الكلمة في استعمال شيء مضر بعقيدته، او صحته، أو بعقله، او بمصلحته، بدون ان يتبصره او يتدبره، ولا يفطن للضرر الابعد الوقوع فيه فاذا ذاق المه تفطن اذا كان عاقلا والا سبح فى لجج غيه الى الفناء الابدي

فعبدة الاصنام هم من هذا النوع فمنهم من يفطن الى المضرة بارشاد المرشدين ونصح الناصحين فيؤوب الى رشده ويترك عبادتها مثل عمرو بن الجموح ومنهم من تأخذه النعرة ويغلب عليه الكبر فيتعند ويتعاظم عن الاصغاء الي نصح الناصحين وارشاد المرشدين ويتمادي في غروره وعناده وغيه الى الهلاك المبين مثل ابي جهل ومن على شاكلته ممن تمادى في الجهل الى ان أهلكهم الله تعالى بذنوبهم وجعلهم عبرة الدهر.

علام تبايعون هذا الرجل؟ قالوا : نعم قال : انكم تبايعون على حرب الاحمر والاسود من الناس فان كنتم ترون أنكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله ان فعلتم خزي الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على ماذكرت لكم فهو والله خير الدنيا والآخرة . قالوا : فانا نأخذه على ما قلت فمالنا بذلك يارسول الله ان نحن وفينا قال : الجنة قالوا : ابسط يدك فاخذ البراء بن معرور يده فقال : نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله اصحاب الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر. وقال ابوا الهيثم بن التيهان : يا رسول الله ان بيننا وبين اليهود حبالا ونحن قاطعوها فهل عسيت ان نحن فعلنا ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا ؟ فتبسم النبي ﷺ ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .ثم قال رسول الله :ﷺ اخرجوا الي منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم فاخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس فمن الخزرج أسعد بن زرارة (نقيب بني النجار) وسعد بن الربيع وعبد الله بن رواحة (نقيبا بني الحارث بن الخزرج) ورافع بن مالك بن عجلان (نقيب بني زريق) والبراء بن معرور وعبد الله بن عمرو بن حرام (نقيبا بني سلمة) وعبادة بن الصامت

(نقيب قباء) والمنذر بن عمرو وسعد بن عبادة (نقيبا بني ساعدة) ومن الأوس أسيد بن حضير (نقيب بني عبد الاشهل) وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبد المنذر (نقيبا بني عمرو بن عوف) فقال : رسول الله ﷺ للنقباء أنتم كفلاء على قومكم كفالة الحواريين لعيسى بن مريم قالوا : نعم فأنزل الله تعالى (ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) الآية فقال العباس بن نضلة: للنبي ﷺ والذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا فقال : ﷺ لم أومر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم فرجعوا الى رحالهم فناموا علي ذلك فلما أصبحوا جاءتهم قريش في منازلهم فقالوا : يا معشر الخزرج انه بلغنا أنكم جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله مامن حي من العرب أبغض الينا ان تشب الحرب بيننا وبينهم منكم . فأجابهم من مشركي الخزرج من لم يحضر البيعة ولم يعلم عنها يحلفون لهم بالله انه ما كان من هذا شيء وماعلمنا به فأتوا عبدالله بن أبي بن سلول وسألوه عن ذلك فقال لهم : ان هذا الامر جسيم ماكان قومي ليتفوتوا علي بمثل هذا وما علمته . وكان المشركون من الاوس والخزرج في ذلك الحج خمسمائة نفر فانصرفوا الى المدينة فخرجت قريش في آثارهم يريدون الانصار فأدركوا منهم رجلين كانا تخلفا في امروهما المنذر بن عمرو . وسعد بن عبادة من نقباء الانصار . فاما المنذر فأعجز قريشاً وتخلص منهم ونجى

وهذه اسماء من شهد العقبة الكبرى من الاوس والخزرج فالذي شهدها من الاوس هم (١) أسيد بن حضير (٢) أبو الهيثم بن التيهان (٣) سلمة بن سلامة (٤) ظهير بن رافع (٥) أبو بردة بن دينار (٦) نهير بن الهيثم (٧) سعد بن خيثمة (٨) رفاعة بن عبد المنذر (٩) عبد الله بن جبير (١٠) معن بن عدي بن الجد (١١) عويم بن ساعدة.

فهؤلاء احدى عشر رجلا من الاوس. والذي شهدها من الخزرج (١٢) أبو أيوب الانصاري واسمه خالد بن زيد (١٣) معاذ بن الحارث (١٤) اخوه عوف بن الحارث (١٥) عمارة بن حزم (١٦) أسعد بن زرارة (١٧) سهل بن عتيك (١٨) أوس بن ثابت (١٩) أبو طلحة واسمه زيد بن سهل (٢٠) قيس بن ابي صعصعة (٢١) عمرو بن غزية (٢٢) سعد بن الربيع (٢٣) خارجة بن زيد (٢٤) عبد الله بن رواحة (٢٥) بشير بن سعد بن ثعلبة (٢٦) عبد الله بن زيد بن ثعلبة (٢٧) خلاد بن سويد (٢٨) عقبة بن عمرو بن ثعلبة (٢٩) زياد بن لبيد (٣٠) فروة بن عمرو (٣١) خالد بن قيس بن مالك (٣٢) رافع بن مالك بن العجلان (٣٣) ذكوان ابن عبد قيس (٣٤) عبادة بن قيس بن عامر (٣٥) الحارث بن قيس ابن خالد (٣٦) البراء بن معرور (٣٧) ابنه بشير بن البراء (٣٨) سنان ابن صيفي (٣٩) الطفيل بن النعمان (٤٠) معقل بن المنذر بن سرح (٤١) يزيد بن المنذر بن سرح (٤٢) مسعود بن يزيد بن سبيع (٤٣) الضحاك

ابن حارثة (٤٤) يزيد بن حرام (٤٥) جبار بن صخرة (٤٦) الطفيل ابن مالك (٤٧) كعب بن مالك (٤٨) سليم بن عمرو بن حديدة (٤٩) قطبة ابن عامر بن حديدة (٥٠) يزيد بن عامر بن حديدة (٥١) أبو اليسر واسمه كعب بن عمرو (٥٢) صيفي بن سوادة (٥٣) ثعلبة بن غنمة (٥٤) عمرو بن غنمة (٥٥) عبد الله بن أنيس (٥٦) خالد بن عمرو بن عدي (٥٧) عبد الله بن عمرو بن حرام (٥٨) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام (٥٩) معاذ بن عمر بن الجموح (٦٠) ثابت ابن الجذع (٦١) عمير بن الحارث بن ثعلبة (٦٢) خديج بن سلال (٦٣) معاذ بن جبل (٦٤) أوس بن عبادة بن عدي (٦٥) عبادة بن الصامت (٦٦) العباس بن عبادة بن نضلة (٦٧) ابو عبد الرحمن بن يزيد بن ثعلبة (٦٨) عمرو بن الحرث بن لبدة (٦٩) رفاعة بن عمرو ابن زيد (٧٠) عقبة بن وهب بن كلدة (٧١) سعد بن عبادة بن دليم (٧٢) المنذر بن عمرو بن خنيس . فهولاء اثنان وسبعون رجلا . وأما الرجل تكملة الثالثة والسبعين . فلم يذكر اسمه ابن اسحاق ولم اعثر عليه في كتب السير وأما المرأتان فهما(١) اسماء بنت عمرو بن عدي (٢) نسيبة بنت كعب أم عمارة وكانت شهدت الحروب مع رسول الله ﷺ وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم وابناها خبيب وعبد الله (ابنا زيد ابن عاصم) وابنها خبيب هو الذي اخذه مسيلمة الكذاب فجعل

يقول له : أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقول : نعم فيقول له مسيلمة : افتشهد أني رسول الله ؟ فيقول : لا أسمع وجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات في يده فخرجت أمه مع خالد بن الوليد والمسلمين الى اليمامة وقاتلت بنفسها مع المسلمين حتى قتل مسيلمة فجرحت اثنى عشر جرحا بين طعنة وضربة حتى أخذت بثار ولدها ورجعت الى المدينة . وكانت بيعة النساء بالقبول ولم تكن مثل الرجال بالمصافحة وقد بايعتا اسماء ، ونسيبة النبي ﷺ في العقبة بعد أن أخذ البيعة من الرجال .

هجرة الصحابة الى المدينة

روى أصحاب السير والتاريخ ان للمدينة خمسة وتسعون اسما منها اثرب والبحرة ، والبلاط ، ونقلة ، وخيرة ، ويثرب وسماها النبي ﷺ المدينة فلما تمت البيعة الكبرى مع الانصار وبلغ النبي ﷺ انتشار الاسلام بالمدينة ورغبة الانصار في هجرة النبي ﷺ اليهم أذن لأصحابه الذين كانوا بمكة ان يهاجروا الى المدينة وقال لهم رسول الله : ﷺ ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا أرسالا الى المدينة

فكان اول من خرج الى المدينة مهاجرا من أصحاب رسول الله ﷺ أبو سلمة بن عبد الاسد وكان من مهاجري الحبشة فلما عاد الى مكة آذاه المشركون فهاجر الى المدينة في السنة الثانية عشر للبعثة ومنعه قومه من

أخذ زوجته أم سلمة ، وابنه معه ،فهاجر وحده وترك زوجته وولده فلحقاه في السنة التي بعدها بعد أن أعيت قومها بالبكاء فقالوا لها : الحقي بزوجك ان شئت قالت أم سلمة : رضي الله عنها فرحلت بعيري ووضعت ابني في حجرى ثم خرجت أريد زوجي بالمدينه وما معي احد من خلق الله فكنت ابلغ من لقيت حتى اذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة أخا بني عبد الدار فقال : أين يا بنت أبي أمية ؟ قلت : أريد زوجي بالمدينة فقال:هل معك أحد ؟ فقلت : لاوالله الاالله وابني هذا فقال والله مالك من متترك فأخذ بخطام البعير فانطلق يقودني فوالله ما صحبت رجلا من العرب اراه كان أكرم منه اذا نزل المنزل أناخ بي ثم تنحي الى شجرة فاضطجع تحتها فاذا دنى الرواح قام الى بعيري قدمه ورحله ثم استأخر عني وقال: اركبي فاذا ركبت واستويت على بعيري اتي فاخذ بخطامه فقادني حتى نزلت فلم يزل يصنع ذلك حتى قدم بي المدينة فلما نظر الى قرية بني عمرو بن عوف بقباء قال : ان زوجك فى هذه القرية وكان أبو سلمة نازلا بها .

ان هذا القصة تجسم أمام الانسان المروءة في اعظم مظاهرها وتجعل صاحبها في أعلى عليين من المجد،والسؤدد،والفخار خصوصا اذا كان من الطبقة الكبيرة ذات الاثانية . هذا الرجل الذى قاد بعير أم سلمة هو عثمان ابن طلحة صاحب مفتاح الكعبة، وشيخ السدنة ، وصاحب لواء قريش فى الحرب ،ومن أعظم ساداتهم،ومن أكبر أشرافهم، وهو فى ذلك الوقت من

المشركين ومن أعظم وألد الاعداء للاسلام وكان هو الذي تسبب في ايذاء ابن عمه مصعب بن عمير حين أسلم أخذته الاريحية ، والشيمة العربية التي لا تكاد توجد في غير شخصه فقاد بعير أم سلمة وهو ماش على قدمه من مكة الى المدينة اثنا عشر مرحلة مع ان أم سلمة كانت مسلمة وهو مشرك ولم تكن من أقاربه ولا من ذويه وليس لها عليه منة أو كرامة حتى نقول انه كافأها على ذلك فلا شك انه أصبح مثالا للشيمة ، والمروءة والاحسان ، والجميل فهكذا يكون الرجل العظيم وهكذا تكون المروءة وعلى ذلك فليعمل العاملون وجزى الله صاحب الشيمة والمروءة عن نفسه خيرا .

ثم هاجر عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبي خيثمة . ثم عبد الله بن جحش احتمل أهله وأخاه عبد بن جحش ويكنى أبا أحمد مع امرأته الفرعة بنت أبي سفيان بن حرب فنزلوا على مبشر بن عبد المنذر بقباء . ثم هاجر عمر بن الخطاب فلما أتى المدينة نزل على رفاعة بن عبد المنذر في بني عمرو بن عوف فلحقه أهله وأخوه زيد بن الخطاب وعمرو ، وعبد الله (أبنا سراقة ابن المعتمر) وخنيس بن حذافة السهمي وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر ، وسعيد بن زيد ، وواقد بن عبد الله التيمي (حليفهم) وخولى بن أبي خولى ، ومالك بن أبي خولى (حليفاهم) وبنو البكير وهم أياس ، وعامر ، وحامد ، وخالد ، وخلفاؤهم من بني سعد بن ليث فنزلوا معه على رفاعة بن المنذر بقباء وكذلك عياش بن ابي ربيعة ، وتتابع

المهاجرون الى المدينة فنزل طلحة بن عبيد الله ، وصهيب بن سنان ، على خبيب بن أساف (أخي أبي الحارث بن الخزرج) ثم لما أراد صهيب الهجرة الى المدينة أتته قريش وقالوا له : أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج به ونفسك والله لا يكون ذلك فقال صهيب : ان جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي ؟ قالوا: نعم قال : قد جعلت لكم مالي فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال : ربح صهيب، ربح صهيب وهاجر حمزة بن عبد المطلب ، وزيد بن حارثة ، وابو مرثد ، وابنه مرثد الغنوى حلفاء حمزة وأنيسة ، وأبو كبشة موالي رسول الله ﷺ ونزلوا على كلثوم بن هدم (أخي بني عمرو بن عوف) وهاجر عبيدة بن الحارث بن المطلب وأخواه الطفيل ، والحصين (أبنا الحارث) ومسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب ، وسويبط بن سعد مولى حريملة (أخو بني عبد الدار) وطليب بن عمير (اخو بني عبد الدار بن قصي) وخباب مولى عتبة بن غزوان ونزلوا على عبد الله (أخي أبي الحارث بن الخزرج). وهاجر الزبير بن العوام وأبو سبرة بن ابى رهم ونزلا على المنذر بن محمد بن عقبة بن أحيحة دار بني جحجبي . وهاجر مصعب بن عمير العبدري ونزل على سعد بن معاذ (أخي عبد الاشهل) وهاجر ابو حذيفة بن عتبة بن ربيعة ، وسالم مولى أبي حذيفة وعتبة بن غزوان ، ونزلوا على عبادة بن بشير في دار عبد الاشهل . وهاجر عثمان بن عفان ونزل على أوس بن ثابت فى دار بني النجار . ونزل العزاب

الذين هاجروا الى المدينة بغير أهلهم على سعد بن خيثمة لانه كان عزبا .

ولم يبق بمكة أحد من اصحاب رسول الله ﷺ ممن يستطيع الهجرة الى المدينة الا هاجر اليها الا من حبسه أهله أو كان مستضعفا عديم الحيلة غير أبي بكر الصديق ، وعلي بن أبي طالب مع النبي ﷺ

هجرة النبي ﷺ الى المدينة

أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد ما هاجر أصحابه ينتظر أن يؤذن له في الهجرة حتى أذن له قال عبدالله بن عباس: رضي الله عنهما أذن للنبي ﷺ في الهجرة الى المدينة بقوله تعالى (وقل رب أدخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا) وكان أبو بكر الصديق كثيرا ما يستأذن رسول الله ﷺ في الهجرة فيقول له رسول الله : ﷺ لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فطمع أبو بكر أن يكون رسول الله ﷺ صاحبه

معاهدة قريش على قتله

فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صار له شيعة واصحاب من غيرهم فى غير بلدهم ورأوا خروج اصحابه مهاجرين اليهم عرفوا أنهم نزلوا داراً (يعنى المدينة) وأصابوا من الاوس والخزرج أنصارا وصارت المدينة لهم

منعة وقرارا فتخوفوا من خروج رسول الله ﷺ اليهم وتيقنوا أنه ان خرج الى الانصار بالمدينة أجمعوا على حربهم فقرروا أن يجتمعوا بدار الندوة وهي مجلس الشورى التي بناها قصي بن كلاب فكانت قريش لاتقضي أمرا عظيما الا بعد التشاور في دار الندوة . ويقول القاضي ابن ظهيرة : في تاريخ مكة ان محلها الآن حصوة باب الزيادة . فلما اجتمعوا لذلك بدار الندوة اذا بشيخ عليه بتلة فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفا على باب دار الندوة قالوا : من الشيخ ؟ قل : شيخ من أهل نجد سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا منه ونصحا قالوا : أجل فادخل فدخل معهم .

وقد اجتمع فيها أشراف قريش من بني عبد شمس عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ومن بني نوفل طعيمة بن عدي وجبير بن مطعم ، والحارث بن عامر بن نوفل . ومن بني عبد الدار النضر بن الحارث بن كلدة . ومن بني أسد بن عبد العزى أبو البختري بن هشام ، وزمعة بن الاسود بن المطلب وحكيم بن حزام . ومن بني مخزوم أبوجهل بن هشام ، ومن بنى سهم نبيه ، ومنبه (أبنا الحجاج) ومن بني جمح أمية بن خلف . وكان معهم من قريش وغير قريش ، فقال بعضهم لبعض : ان هذا الرجل قد كان من امره ما قد رأيتم فانا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فاجمعوا

فيه رأيا . فقال قائل منهم : أحبسوه فى الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً ، والنابغة ، ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم . فقال الشيخ النجدى : لا والله ما هذا لكم برأي والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذي أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينتزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتي يغلبونكم على امركم ما هذا لكم برأي فانظروا فى غيره فتشاوروا عليه . فقال آخر : نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا والفتنا كما كانت . قال الشيخ النجدى : لا والله ماهذا لكم برأي الم تروا حسن حديثه ؟ وحلاوة منطقه ، وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم في بلادكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل ما اراد فدبروا فيه رأيا غير هذا . فقال أبو جهل : ابن هشام : والله ان لي فيه لرأيا لم أركم وقعتم عليه بعد قالوا : وما هو يا أبا الحكم ؟ قال : ارى ان نأخذ من كل قبيلة شابا فتي جليدا نسيبا وسطا فينا ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق

دمه في القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل (الدية) فعقلناه لهم . قال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل هذا الرأي لا رأي غيره فتفرق القوم على ذلك واجمعوا عليه .

فأتى جبرائيل عليه السلام رسول الله ﷺ فقال له : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه فلما كانت العتمة من الليل اجتمعوا على بابه يترصدونه متى نام وثبوا عليه وكان معهم ابو جهل بن هشام فقال وهم على بابه : ان محمدا يزعم أنكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وان لم تفعلوا كان لكم منه ذبح ثم بعثتم بعد موتكم فجعلت لكم نار تحرقون فيها . فلما رأى رسول الله ﷺ مكانهم قال: لعلي بن أبي طالب نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الاخضر قم فيه فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك وخرج رسول الله ﷺ فأخذ حفنة من تراب في يده وأخذ الله على ابصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤوسهم وهو يتلو هذه الآيات (يس ، والقران الحكيم ، انك لمن المرسلين ، على صراط مستقيم ، تنزيل العزيز الرحيم ، لتنذر قوما ما أنذر أباؤهم فهم غافلون ، لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ، انا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون ، وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سدا فاغشيناهم فهم لا يبصرون) فما انتهى من تلاوتها الا

وقد وضع التراب على رؤوسهم جميعا ثم انصرف الى حيث أراد فأتاهم ممن لم يكن معهم فقال: ما تنتظرون ههنا؟ قالوا: محمدا قال: خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمدثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته أما ترون ما بكم؟ فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب فدخلوا فوجدوا عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله ﷺ فقالوا والله ان هذا لمحمد نائما فلم يبرحوا حتي أصبحوا فقام علي رضى الله عنه عن الفراش فلما رأوه قالوا والله لقد صدقنا الذى حدثنا وأنزل الله على رسوله ﷺ في ذلك اليوم من القرآن (واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وقوله عز وجل (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فاني معكم من المتربصين) فذهب النبي ﷺ الى دار أبي بكر الصديق رضي الله عنه فلما رآه أبو بكر قال: ما جاء رسول الله ﷺ هذه الساعة الا لامر حدث فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره فجلس رسول الله ﷺ عليه وقال: لأبي بكر أخرج من كان عندك فقال: يا رسول الله انما هما ابنتاي وما ذاك فداك أبي وأمي فقال: ان الله قد اذن لى في الخروج والهجرة فقال أبو بكر: الصحبة يا رسول الله قال: الصحبة فبكى ابو بكر فرحا بصحبة رسول الله ﷺ ثم قال يا نبي الله ان هاتين الرحلتان قد كنت اعددتهما لهذا فاستأجر عبد الله بن اريقط من بني الديل وكان مشركا ليدلهما على الطريق فدفعا اليه الراحلتين فكانتا عنده يرعاهما

ليعادهما ولم يعلم أحد بخروج رسول الله ﷺ غير علي وأبي بكر وآل ابى بكر. اما علي فلما اخبره رسول الله ﷺ بخروجه امره ان يختلف بعده بمكة حتى يودي عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس وكان الناس كل من عنده شيء يخشى عليه وضعه عند رسول الله ﷺ لما يعلم عندهم من صدقه وأمانته.

فخرج رسول الله ﷺ وأبو بكر من خوخة ظهر بيت أبي بكر حتى أتيا غارا في جبل ثور بأسفل مكة فدخل أبو بكر الغار قبل رسول الله ﷺ وفتشه خشية أن يكون به آفة من آفات الجبال فلما اختبره دخل رسول الله ﷺ وكان ابو بكر كئيبا حزينا فرأي أقدام قريش فقال: يارسول الله لو ان بعضهم طأطأ بصره لرآنا قال: رسول الله ﷺ أسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما فانزل الله تعالى (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا) فاطمئن أبو بكر وتيقن ان الله حافظ لهما. وكان أبو بكر قد رتب كلما يلزم لهما بالغار فجعل ابنه عبد الله يتجسس خبر قريش فيما يكيدون لهما واذا أمسي أتاهما في الغار وأخبرهما بما سمع وجعل أسماء بنته تصنع لهما الطعام وتأتيهما به في المساء. وجعل عامر بن فهيرة مولاه يرعى له الغنم واذا أمسي أتاهما بها فاحتلبا منها وذبحا ما يريدان فاذا أصبحا ذهب من عندهما عبد الله بن أبي بكر الصديق لاخذ خبر قريش

واتبع أثره عامر بن فهيرة بالغنم ليعفي أثره حتي لا ترى قريش الاثر فيستدلون على مخبيء رسول الله ﷺ وصاحبه أبي بكر .

وصاروا على ذلك ثلاثة ايام حتى سكن الناس عنهما وقد جعلت قريش حين فقدت النبي ﷺ مائة ناقة لمن يرده عليهم فأتاهما عبدالله بن أريقط الذى أستأجراه دليلا ببعيريهما و بعير ثالث له وأتتهما أسماء بنت أبي بكر بما جهزته لسفرهما ونسيت أن تأتي بحبل تربط به جهاز السفر فحلت نطاقها وعلقت به الجهاز فسماها رسول الله ﷺ ذات النطاقين . فقرب أبو بكر رضي الله عنه الراحلتين الى رسول الله ﷺ وقدم له أفضلهما وقال له : اركب فداك أبي وأمي فقال رسول الله : ﷺ اني لا أركب بعيرا ليس لي فقال ابو بكر : هي لك يا رسول الله بأبي أنت وأمي قل : لا ولكن بالثمن الذي أبتعتها به قال : كذا وكذا قال : قال قد أخذتها به قال ابو بكر : هي لك يا رسول الله فركبا وانطلقا وأردف أبو بكر الصديق رضي الله عنه عامر بن فهيرة مولاه خلفه ليخدمهما في الطريق وأخذ ابو بكر ما بقي من ماله معه وهو نحو ستة آلاف درهم فخرج بهما دليلهما عبد الله بن اريقط وسلك بهما أسفل مكة ثم مضى بهما على الساحل حتى عارض الطريق أسفل من عسفان ثم سلك بهما علي أسفل أمج ثم استجاز بهما حتى عارض بهما الطريق بعد أن أجاز قديدا ثم أجاز بهما من مكانه ذلك فسلك بهما الخرار ثم سلك بهما ثنية المرة ثم سلك بهما

لقفا ثم اجاز بهما مدلجة لقف ثم استبطن بهما مدلجة مجاج ثم سلك بهما مرجح من ذي العضوين ثم بطن ذى كشد ثم اخذ بهما على الجداجد ثم على الأجرد ثم سلك بهما ذا سلم من بطن اعداء مدلجة تعهن ثم على العبابيد ثم اجار بهما الفاجة (القاحة) ثم هبط بهما العرج وقد ابطأ عليهما بعض ظهرهما (وهو البعير المحمل اى قصر) فحمل رسول الله ﷺ رجل من اسلم يقال له اوس بن حجر على جمل له و بعث معه غلاما له اسمه مسعود بن هنيدة ثم خرج بهما الدليل من العرج فسلك بهما ثنية العائر عن يمين ركوبة وهي ثنية الغائر حتى هبط بهما بطن ريم ثم قدم بهما قباء على بني عمرو بن عوف حين اشتد الضحى .

فهذا الطريق الذي سلك رسول الله ﷺ في هجرته الى المدينة كما رواه ابن اسحاق وكان خروج رسول الله ﷺ من بيت ابي بكر الصديق رضي الله عنه ليلة الخميس غرة ربيع الاول ، وخروجه من الغار ليلة الاثنين لخمس خلون من شهر ربيع الاول ووصوله المدينة يوم الاثنين لاثنتى عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول تمام الثلاثة عشر سنة من مبعثه ثلاثة وخمسون سنة من ولادته ﷺ .

واما ما اعتراه فى طريقه من الحوادث فهو لما وصل الى قديد لحق به سراقة بن مالك المدلجي على فرسه يرده الى قريش لان قريشا قد جعلت مائة ناقة لمن ياتي برسول الله ﷺ حيا أو ميتا وهي اعظم جائزة

عند العرب يضحى لاجلها الرجل بنيه ، وأمه ، وأبيه ، وفصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعا لينالها فلما أقبل سراقة على رسول الله ﷺ عثرت به فرسه حتى كادت تقضي على حياته فارتعد لذلك فاهوى بيده الى كنانته فاستخرج منها الازلام فاستقسم بها فخرج الذي يكره فركب فرسه حتى اذا سمع قراءة رسول الله ﷺ ساخت يد فرسه حتى بلغت الركبتين فخرج وزجرها فنهضت واذ الأثر بين يديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فناداهم سراقة بالامان فوقفوا فركب فرسه حتي جاءهم واخبر رسول الله ﷺ ان قريشا جعلت مائة ناقة لمن يأت به او يقتله وانه لحقهم لهذا الغرض وانه قد اعتبر مما وقع عليه وتعهد أنه يرد عنهما من يريد اللحاق بهما وعرض عليهما ما عنده من الزاد والمتاع فلم يرزآه . ولما انتهي رسول الله ﷺ الى الغميم أدركه بريدة بن الحصيب الاسمى فى سبعين راكبا من اهل بيته من بني أسلم يريد أخذه ﷺ ليرده على قريش ليأخذ المائة ناقة فلما أقبل رسول الله ﷺ لم يعرفه فقال له رسول الله : ﷺ من أنت ؟قال :أنا بريدة فالتفت الى ابي بكر فقال : يا أبا بكر برد امرنا وصلح ثم قال له ممن أنت؟ قال :من اسلم فقال :ﷺ لابي بكر سلمنا ثم قال له ممن ؟ قال :من بني سهم قال: خرج سهمك فقال بريدة للنبي ﷺ من أنت: قال ؟ انا محمد بن عبدالله رسول الله فقال بريدة :اشهد ان لا آله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فلما اسلم بريدة اسلم من كان معه من قومه جميعا

فصلى رسول الله ﷺ العشاء فصلوا خلفه فلما اصبح قال بريدة للنبي: ﷺ لاتدخل المدينة الا ومعك لواء فحل عمامته ثم شدها في رمحه وجعلها لواء فحمله ومشى بين يدي رسول الله ﷺ . فلقي رسول الله ﷺ طلحة ابن عبيدالله ، والزبير بن العوام في ركب المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام فكسيا طلحة والزبير رسول الله ﷺ وابابكر ثيابا بيضاء ثم توجه النبي ﷺ مقبلا على المدينة ولحقه حال قدومه المدينة علي بن ابي طالب وذلك بعد ان قام بمكة بعد رسول الله ﷺ ثلاثة ايام وادى عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده ﷺ لاربابها فلما فرغ منها لحق برسول الله ﷺ .

ولما سمع المهاجرون والانصار بالمدينة خروج رسول الله ﷺ من مكة مهاجرا الى المدينة ساروا يغدون كل غداة الى الحرة لاستقباله فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعدما اطالوا انتظارهم فلما آووا الى بيوتهم أوفى رجل من اليهود على اطم من آطامهم (وهو الحصن) لامر ينظر اليه فبصر برسول الله ﷺ واصحابه مبيضين (اي لابسين الثياب البيض) يزول بهم السراب فتظهر حركتهم للعين فلم يملك اليهودي ان قال باعلا صوته يا معشر العرب هذا جدكم (يعني صاحب دولتكم) الذي تنتظرون فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بنى عمرو بن عوف فقام

ابوبكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتا فطفق من يأتي من الانصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي ابا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله ﷺ فأقبل أبو بكر حتي اظله برداءه فعرف الناس رسول الله ﷺ عند ذلك فلبث رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف أربعة عشر يوما .ونزل ﷺ على كلثوم بن هدم ونزل معه علي بن أبي طالب . ونزل ابو بكر الصديق على حبيب بن أساف أحد بني الحارث بن الخزرج بالسنح وكان رسول الله ﷺ يجلس للناس في بيت سعد بن خيثمة . وأسس المسجد الذي أسس على التقوى .

هذه رواية البخاري والجمهور على أنه مسجد قباء وفاقا للبخاري ولما نزل رسول الله ﷺ بقباء قال عمار بن ياسر: ما لرسول الله ﷺ بد من أن يجعل له مكانا يستظل به اذا استيقظ ويصلي فيه فجمع حجارة فبني مسجد قباء فهو أول مسجد صلى رسول الله ﷺ فيه بأصحابه جماعة ظاهرة أي صلاة علانية لانهم كانوا بمكة يصلون سراً جماعة. وأول مسجد بني لجماعة المسلمين عامة هذا ما حققه الحافظ ابن حجر ثم أرسل رسول الله ﷺ الى أخوال جده عبد المطلب بني النجار فجاؤا متقلدين السلاح .

من قباء الى المدينة

فركب رسول الله ﷺ راحلته وأردف أبا بكر خلفه وملأ من بني النجار حوله وكان ذلك صبيحة يوم الجمعة وسار نحو المدينة فأدركت رسول الله ﷺ الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي (وادي رانوناء) فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة وخطب ﷺ أول خطبة في هذا الموضع وهي كما رواها ابن جرير في تاريخه .

« الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأستغفره ، وأستهديه ، وأومن به ، ولا أكفره ، وأعادي من كفره ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ، والنور ، والموعظة ، على فترة من الرسل ، وقلة من العلم ، وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمان ، ودنو من الساعة ، وقرب من الاجل ، من يطع الله و رسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى ، وفرط ، وضل ضلالا بعيدا ، وأوصيكم بتقوى الله فانه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحضه على الآخرة وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك نصيحة ، ولا أفضل من ذلك ذكرا ، وان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عون صدق على ما تبغون من أمر الآخرة ومن يصلح الذي بينه و بين الله من أمره في السر والعلانية لا ينوي بذلك الا وجه الله يكن له ذكر في عاجل أمره وذخر

فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان من سوى ذلك يود لو أن بينه و بينه أمداً بعيداً و يحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد ، و الذي صدق قوله وأنجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول عز وجل (ما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد) فاتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته و يعظم له أجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله يوقى مقته و يوقي عقوبته و يوقي سخطه و ان تقوى الله يبيض الوجوه و يرضي الرب و يرفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا و يعلم الكاذبين فأحسنوا كما أحسن الله اليكم وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة و يحيا من حي عن بينة ولاحول ولا قوة الا بالله فأكثروا ذكر الله واعملوا لما بعد اليوم فانه من يصلح ما بينه و بين الله يكفر الله ما بينه و بين الناس ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه و يملك من الناس ولا يملكون منه الله أكبر ولا قوة الا بالله العظيم » .

فلما انتهى رسول الله ﷺ من خطبة الجمعة وصلاتها ركب راحلته و يمم المدينه . فأتاه عتبان بن مالك وعباس بن عبادة بن نضلة في رجال من بني سالم بن عوف فقالوا : يارسول الله أقم عندنا فى العدد ، والعدة والمنعة قال : خلوا سبيلها فانها مأمورة يعني ناقته فخلوا سبيلها. فانطلق حتى

اذا وازنت دار بني بياضة تلقاه زيادة بن لبيد وفروة بن عمرو في رجال من بني بياضة فقالوا : يا رسول الله هلم الينا الى العدد ، والعدة ، والمنعة قال : خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيلها : فانطلقت حتى مرت بدار بني ساعدة اعترضه سعد بن عبادة ، والمنذر بن عمرو في رجال من بني ساعدة فقالوا : يارسول الله هلم الينا الى العدد ، والعدة ، والمنعة قال : خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيلها . فانطلقت حتى اذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج اعترضه سعيد بن الربيع ، وخارجة بن زيد وعبدالله بن رواحة ، في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا : يارسول الله هلم الينا الى العدد ، والعدة ، والمنعة ، قال : خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيلها . فانطلقت حتى مرت بدار بني عدي بن النجار قالوا : يارسول الله هلم الى أخوالك الى العدد ، والعدة ، والمنعة ، قال : خلوا سبيلها فانها مأمورة فخلوا سبيلها . فانطلقت حتى اذا أتت دار بني مالك بن النجار بركت على باب مسجده ﷺ وهو يومئذ مربد (وهو الموضع الذي يجفف فيه التمر) لغلامين يتيمين من بني النجار وهما سهل ، وسهيل (ابنا رافع ابن عمرو) وكانا في حجر معاذ بن عفراء فلما بركت ورسول الله ﷺ عليها لم ينزل ثم وثبت (أى قامت) فسارت غير بعيد ورسول الله ﷺ واضع لها زمامها لا يثنيها به ثم التفتت الى خلفها فرجعت الى مبركها أول مرة فبركت ثم تحلحلت وزرمت ووضعت جرانها (يعني تمايلت ورغت

وتثبتت في مبركها) وكان مبركها الاخير في موضع منبر رسول الله ﷺ الآن في المسجد النبوي . فنزل عنها رسول الله ﷺ فاحتمل أبو أيوب الانصاري واسمه خالد بن زيد رحله فوضعه في بيته ونزل عليه رسول الله ﷺ . وكان لدخوله المدينة فرح شديد على عموم المسلمين فكانت ذوات الخدور يصعدن على الاجاجير ، يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

والغلمان والولدان يقولون جاء رسول الله ﷺ جاء النبي ولما أقبل رسول الله ﷺ على المدينة لعبت الحبشة بحرابها فرحا وخرجت جواري بني النجار يضربن بالدفوف و يقلن .

نحن جوار بني النجاري ياحبذا محمد من جار

وهن كذلك الى أن بركت الناقة على دار أبي ايوب الانصاري رضي الله عنه فلما دخل رسول الله ﷺ دار أبي أيوب اختار أسفل الدار وترك علوها لأبي أيوب فقال أبو أيوب : للنبي ﷺ يا نبي الله بأبي أنت وأمي إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك وتكون تحتي فاظهر أنت فكن في العلو ونحن فنكون في السفل فقال : يا أبا أيوب ان ارفق بنا و بمن يغشانا أن نكون في أسفل البيت وكان أبو أيوب يصنع العشاء لرسول الله ﷺ

ويبعثه اليه ويتبارك بفضلته هو وزوجته وكان مسجد رسول الله ﷺ بقرب دار أبي أيوب الأنصاري وكان قد بناه أسعد بن زرارة قبل قدوم النبي ﷺ وكان يصلي بالناس الصلوات الخمس ويجمع بهم فيه ولما جاء رسول الله ﷺ كان يصلي فيه بالناس ويجمع بهم مدة .

وذكر ابن اسحاق في المبتدأ ، وابن هشام في التيجان أن بيت أبي أيوب الانصاري الذي نزل فيه رسول الله ﷺ مقدمة المدينة بناه تبع الاول وأسمه تبان بن أسعد وكان معه أربعمائة حبر فتعاقدوا على ان لا يخرجوا منها فسألهم تبع عن سر ذلك فقالوا : إنا نجد في كتبنا ان نبيا اسمه محمد ﷺ هذه دار هجرته فنحن نقيم لعلنا نلقاه فاراد تبع الاقامة معهم ثم بدا له فعمر لكل واحد من اولئك دارا واشترى له جارية وزوجها منه واعطاه مالا جزيلا وكتب كتابا فيه اسلامه ومنه .

شهدت على احمد انه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره لكنت وزيرا له وابن عم

وختمه بالذهب ودفعه الى كبيرهم وسأله ان يدفعه الى النبي ﷺ ان أدركه والا فمن أدركه من ولده أو ولد ولده وبنى للنبي ﷺ دارا اذا قدم المدينة فقد أولى الدار الملوك الى أن صارت لأبي أيوب وهو من ولد ذلك العالم . وأهل المدينة الذين نصروه من اولاد اولئك العلماء وان الكتاب الذي فيه الشعر كان عند أبي أيوب حتى دفعه الى رسول الله ﷺ . روى ذلك صاحب السيرة الشامية .

بناء مسجد رسول الله ﷺ

ثم أراد رسول الله ﷺ أن يزيد في المسجد وأن يجعل له سقفاً وكان بجوار المسجد مربد لسهل ، وسهيل ، (ابني رافع بن عمرو) من بني النجار فاحضر أسعد بن زرارة رضي الله عنه وقال له : يا بني النجار ثامنوني بحائطكم قال : لانطلب ثمنه الا الى الله فابى ذلك ﷺ وابتاعه بعشرة دنانير أداها من مال أبي بكر الصديق رضي الله عنه وكان في موضع المسجد نخل ، وخرب ، ومقابر مشركين فامر بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت ، وبالنخيل فقطعت ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذت ثم جاء رسول الله ﷺ بحجر فوضعه بالاساس ، وجاء ابو بكر الصديق بحجر فوضعه ثم جاء عمر بن الخطاب بحجر فوضعه ، وجاء عثمان بن عفان بحجر فوضعه فجعل اساسه ثلاثة أذرع بالحجارة ثم جاؤا باللبن وعمل فيه المسلمون وكان عمار بن ياسر ينقل لبنتين ، لبنتين ، فقال له رسول الله : ﷺ للناس أجر ولك أجران وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول : هذا الحمال لاحمال خيبر هذا أبر ربنا واطهر ثم تمثل بشعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه .

اللهم ان الاجر أجر الاخرة فارحم الانصار والمهاجره

فأجابه المسلمون وهم يقولون :

لئن قعدنا والنبي يعمل لذاك منا العمل المضلل

وآخرون يقولون :

لايستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

فبنى المسجد وسقف بالجريد وجعلت اعمدته جذوع النخل وعمل له ثلاثة أبواب باب في مؤخره ، وباب يقال له باب عاتكة ، ويسمى اليوم باب الرحمة والباب الذي يدخل منه وهو المسمى باب جبرائيل وجعل طوله مما يلي القبلة الى مؤخره نحو مائة ذراع والجانبين قريبا منه وارتفاعه طول القامة اذا رفع الرجل يده من سقفه وجعل قبلة للقدس مما يلي الجهة الشمالية ثم في منتصف شهر رجب من السنة الثانية للهجرة تحولت القبلة الى الكعبة حينما كان النبي ﷺ يصلي الظهر في مسجد بني سلمة ثم صلى العصر في مسجده متجها الى الكعبة

وكان في المسجد موضع مظلل تأوي اليه المساكين يسمى الصفة وكان اهله يسمون اهل الصفة وكان رسول الله ﷺ يدعوهم بالليل ويفرقهم على اصحابه ويعشي طائفة منهم معه

بناء دور اهله

لما انتهى رسول الله ﷺ من بناء المسجد بنى دورا الى جانبه باللبن وسقفها بجذوع النخل والجريد فلما فرغ من البناء بنى لعائشة رضي الله عنها في البيت الذى يليه شارعا الى المسجد وجعل سودة بنت زمعة

رضي الله عنها في البيت الآخر الذي يليه الى الباب الذي يلي آل عثمان فأقام رسول الله ﷺ في دار أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه منذ قدومه الى صفر من السنة الداخلة حتى تم بناء المسجد ودوره ثم نزل دوره

أول خطبة في المدينة

فلما أتم الله نعمته على الانصار واستجمع لرسول الله ﷺ إسلام هذا الحي من الاوس والخزرج فلم يبق دار من دور الانصار الا أسلم أهله الا ما كان من بعض بطون الاوس وهم خطمة ، وواقف ، ووائل ، وأمية فانهم أقاموا على شركهم فجمع بهم الجمعة في مسجده ﷺ وكان رسول الله ﷺ يخطب على الارض ، وعلى المنبر ، وعلى البعير ، وعلى الناقة وكان اذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه كانه منذر جيش وكان لا يخطب خطبة الا أفتتحها بحمد الله ويتشهد فيها بكلمة الشهادة ويذكر نفسه فيها باسمه العلم وكان اذا قام يخطب أخذ عصا فتوكأ عليها وأحيانا يتوكأ على القوس ولم يصح عنه أنه توكأ على السيف وكان اذا عرض له عارض في خطبته أشتغل به ثم يرجع الى خطبته وكان أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ في مسجده بالمدينة فيما رواه ابن اسحاق عن أبي سلمة بن عبد الرحمن انه قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : أما بعد ايها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن احدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان . ولا حاجب

يحجبه دونه ألم يأتك رسولي ؟ فبلغك ، وآتيتك مالا ، وافضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم فمن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة عشر امثالها الى سبعمائة ضعف والسلام عليكم وعلى رسول الله ورحمة الله وبركاته .

قال ابن اسحاق : ثم خطب رسول الله ﷺ الناس مرة اخرى فقال: ان الحمد لله أحمده واستعينه ، نعوذ بالله من شرور انفسنا ، وسيئات اعمالنا من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ان احسن الحديث كتاب الله تبارك وتعالى، قد افلح من زينه الله في قلبه ، وادخله في الاسلام بعد الكفر ، واختاره على ما سواه من احاديث الناس ، انه احسن الحديث وابلغه ، احبوا ما احب الله ، احبوا الله كل قلوبكم ، ولا تملوا كلام الله وذكره ، ولا تقسى عنه قلوبكم ، فانه من كل ما يخلق الله يختار ويصطفي ، قد سماه الله خيرته من الاعمال ومصطفاه من العباد الصالح من الحديث ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام فاعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ما تقولون بافواهكم وتحابوا بروح الله بينكم ان الله يغضب ان ينكث عهده والسلام عليكم . هذا ما ورد في اول الخطب التي خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة

المعاهدة بين المهاجرين
والانصار واليهود

نزل اليهود المدينة قبل نزول الاوس والخزرج واصل اليهود من بني اسرائيل كما روى أبو نعيم وابن عساكر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال: بلغني ان بني اسرائيل لما اصابهم ما اصابهم من ظهور بختنصر عليهم تعرفوا وكانوا يجدون محمدا ﷺ منعوتا في كتابهم وانه يظهر في بعض هذه القرى العربية بين الشام واليمن يجدون نعتها نعت يثرب فتنزل بها طائفة منهم يرجون ان يلقوا محمدا ﷺ حتى نزلت طائفة من بني هارون ممن حمل التوراة فمات اولئك الآباء وهم مؤمنون بمحمد ﷺ وانهم جاؤا يحثون ابناءهم على اتباعه فادركه من ادركه من ابناءهم فكفروا به وهم يعرفونه لحسدهم الانصار حيث سبقوهم اليه انتهى .

اما اصل الاوس والخزرج فهم من قحطان فلما كان سيل العرم وتفرقت سبا نزل الاوس والخزرج المدينة على اليهود وحالفوهم واقاموا معهم فكانت الدار واحدة . ولما هاجر اصحاب رسول الله ﷺ الي المدينة واستقبلهم الانصار احسن استقبال حتى كان الانصار يقترعون فيما بينهم على انزال المهاجرين دورهم وتباهتهم على اكرامهم . ثم هاجر رسول الله ﷺ ورأى من الانصار ما رأى من الحفاوة والاجلال فكتب رسول الله ﷺ عهدا بين المهاجرين والانصار مع اليهود واقر اليهود على دينهم واموالهم

بشروط اشترطها عليهم وهذا نص المعاهدة كما رواها ابن اسحاق .

« بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي ﷺ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة من دون الناس . المهاجرون من قريش على ربعتهم (استقامتهم) يتعاقلون بينهم اخذ الدية واعطائها وهم يفدون عانيهم (الاسير) بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولي وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الاوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وان المؤمنين

لايتركون مفرحا (المثقل من الدين) بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل . ولا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه . وان المؤمنين المتقدمين على من بغى منهم أو ابتغى دسيسة ظلم ، او اثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين وأن أيديهم جميعا ولو كان ولد أحدهم . ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ولا ينصر كافر على مؤمن . وأن ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم . وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس . وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم . وان سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم . وان كل غازية غزت معنا تعقب بعضها بعضا وان المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله . وان المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه .وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ولا يحول دونه على مؤمن . وانه من اعتبط مؤمنا قتلا علي بينه فانه قود به الى أن يرضى ولي المقتول وان المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم الا قيام عليه . وانه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا ولا يؤويه وأنه من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل . وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء فان مرده الى الله عز وجل والى محمد ﷺ وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين وان يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم

والمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم الا من ظلم ، وأثم ، فانه لا يوتغ الا نفسه — لا يهلك الا نفسه — وأهل بيته . وان ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف . وان ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف . وان ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف وان ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف وان ليهود بني الاوس مثل ما ليهود بني عوف وان ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف الا من ظلم واثم فانه لا يوتغ الا نفسه واهل بيته وان جفنة بطن من ثعلبة كانفسهم وان لبني شطنة مثل ما ليهود بني عوف وان البر دون الاثم . وان موالى ثعلبة كانفسهم وان بطانة يهود كانفسهم وانه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد ﷺ . وانه لا ينحجز على ثار جرح . وانه من فتك فبنفسه فتك واهل بيته الا من ظلم وان الله على أبر هذا . وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة . وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم . وانه لم يأثم امرؤ بحليفه . وان النصر للمظلوم . وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين . وان يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم . وانه لا تجار حرمة الا باذن أهلها وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله ﷺ . وان الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبره . وانه لا تجار قريش ، ولا من نصرها . وان بينهم النصر

على من دهم يثرب . واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه فانهم يصالحونه ويلبسونه وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين الا من حارب في الدين على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم وان يهود الاوس مواليهم وانفسهم على مثل ما لاهل هذه الصحيفة مع البر الحسن من اهل هذه الصحيفة . وان البر دون الاثم لايكسب كاسب الا على نفسه وان الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وابره . وانه لايحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم . وانه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة الا من ظلم أو أثم . والله جار لمن بر واتقى ومحمد ﷺ .

التآخي بين المهاجرين والانصار

لما رأى رسول الله ﷺ ما بين المهاجرين والانصار من الالفة والصداقة ، والمحبة التي أسسها الايمان بينهم أراد ان يربطها أيضا برابطة الاخاء ويذهب عن المهاجرين وحشة الغربة وينسيهم مفارقة الاهل والعشيرة ويشد ازرهم ببعضهم البعض فقال : ﷺ « تآخوا في الله أخوين أخوين ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال: هذا أخي فكان رسول الله ﷺ سيد المرسلين، وامام المتقين، ورسول رب العالمين ، الذي ليس له خطير ولا نظير من العباد ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أخوين . وكان حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله ﷺ وعم

رسول الله ﷺ وأخيه من الرضاع ، و زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ أخوين واليه أوصى حمزة يوم أحد حين حضره القتال إن حدث به حادث الموت وأبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وخارجة بن زهير الخزرجي أخوين وعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعتبان بن مالك الخزرجي أخوين ، وابوعبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، وسعد بن معاذ رضي الله عنه أخوين . وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن الربيع الخزرجي رضي الله عنهما أخوين والزبير بن العوام وسلامة بن سلام (أخو بنى عبد الاشهل) رضي الله عنهما أخوين . وعثمان بن عفان واوس بن ثابت (أخو بني النجار) رضي الله عنهما أخوين ، وطلحة بن عبيد الله وكعب بن مالك (أخو بني سلمة) رضي الله عنهما أخوين . وسعيد بن زيد ، وأبي بن كعب (أخو بني النجار) رضي الله عنهما أخوين . ومصعب بن عمير ، وأبو أيوب الانصاري رضي الله عنهما أخوين وأبو حذيفة بن عتبة ، وعبادة بن بشير (أخو بني عبد الاشهل) رضي الله عنهما أخوين ، وعمار بن ياسر ، وحذيفة بن اليمان الانصاري رضي الله عنهما أخوين . وأبو ذر الغفاري ، والمنذر بن عمر الخزرجي رضي الله عنهما أخوين وحاطب بن أبي بلتعة ، وعويم بن ساعدة (أخو بني عوف) رضي الله عنهما أخوين . و بلال مولى أبي بكر الصديق ، وأبو رويحة بن عبد الله الخثعمي رضي الله عنهما اخوين . ولما جاء المدينة سلمان الفارسي و أسلم آخى بينه وبين ابي الدرداء الخزرجي رسول الله ﷺ ولما عاد جعفر بن ابي طالب

رضي الله عنه من هجرة الحبشة الى المدينة آخى بينه وبين معاذ بن جبل الانصاري رضي الله عنه رسول الله ﷺ .

فهؤلاء الذين أورد أسماءهم ابن اسحاق في سيرة ابن هشام ممن عقد التآخي بينهم رسول الله ﷺ . وتجد بين هؤلاء من الموالي من صار بسبب الاسلام أخا لأعظم سيد وشريف من سادات المهاجرين وأشراف الانصار . فهذا تشريع رسول الله ﷺ في رابطة الاخاء بين المسلمين وجعلهم كتلة واحدة، وجسما واحدا ،وامة واحدة ، لافرق بين العظيم، والحقير والشريف ، والوضيع ، والسيد ، والمولى ، والغني ، والفقير، والعربي والعجمي ، والقوي ، والضعيف في نظر الاسلام ولا فضل لعربي على عجمي ولا لشريف على وضيع الا بالتقوى التي هي أساس السعادة في الدارين الدنيا والآخرة فما أعظم هذه الرابطة الصحيحة وما أقدس هذا التشريع الفخيم في نظر الانسانية ، والهيئة الاجتماعية ، فهل من مجدد له ؟ يربط أواصر الأمم الاسلامية المشتتة في هذا المعمور ، المتبعثرة على ظهر الكرة الارضية تبعثر المتاع فيلم شعثه ويجمع شمله ، أما آن للزمان أن تنجلي عنه غمته ، ويسلك المسلمون الطريق الذي أسسه لهم نبيهم ﷺ والتشريع الذي قد وضعه لهم حتى يعيدوا مجدهم التليد ، وفخرهم المجيد وعزهم الحميد ، ويتخلصوا من الانحطاط السحيق ، والتمزق الشنيع ، أولم ينظروا الى ثمرة هذا الاخاء ؟ الذي شرعه رسول الله ﷺ لتلك الشرذمة

القليلة فحفظ الله تعالى كيانها بذلك الاخاء الصحيح حتى وصلوا الى ماوصلوا اليه من السؤدد ، والمجد ، والمنعة ، والبأس ، واهتزت الكرة الارضية من بأسهم ، وشوكتهم ، وخضعت الممالك لهيبتهم ، وعظيم مجدهم أولم يتفكروا في أمرهم ؟ وما وصلوا اليه بسبب تباعدهم عن تعاليم نبيهم وحيادهم عن طريق الهدى أليس فيهم من يسمع و يبصر ؟ أليس منهم رجل رشيد ؟ أما والله لو فكروا قليلا وفهموا ان لا خلاص لهم من هذا الانحطاط الا بتتبع سيرة نبيهم والسير على صراطه المستقيم ونهضوا من سباتهم ، واهتدوا بهديه ، واستضاؤا بنوره ، لم يمض عليهم غير قليل حتى يصبحوا كأنهم اطلقوا من عقال ولعادوا الى ما كان عليه سلفهم الطاهر وحازوا كل مجد غابر أنظر الى ثمرة الاخاء الذي اوجده رسول الله ﷺ بين اصحابه حتى صار الرجل منهم يوصي بماله لأخيه و يتقدمه على اهله وذويه واليك ما فعل الاخاء في نفسية بلال بن رباح مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما ذلك الحبشي وهو لما دون عمر بن الخطاب رضي الله عنه الدواوين في خلافته كان بلال رضي الله عنه قد خرج مجاهدا الى الشام فقال له عمر : الى من تجعل ديوانك ؟ (يعني عطائك) يابلال فأجابه بلال أعطه لابي رويحة الخثعمي لا أفارقه أبداً للاخوة التي كان رسول الله ﷺ عقد بينه و بيني فضم عمر رضي الله عنه لابي رويحة الخثعمي ديوان بلال وديوان الحبشة لمكان بلال رضي الله عنه ألهم اللهم المسلمين رشدهم ونور بصيرتهم

اسلام عبد الله بن سلام

هو عبد الله بن سلام بن الحارث الاسرائيلي الانصاري ويكنى أبا يوسف وهو من ولد يوسف بن يعقوب عليهما السلام خرج عبد الله بن سلام مع جماعة من أهل المدينة لما سمعوا بقدوم رسول الله ﷺ المدينة لينظروا اليه فنظر عبد الله بن سلام اليه وتأمل وجهه فعلم انه ليس بوجه كذاب فعاد الى نخله وجنى منه الثمار لاهله وعلم أن رسول الله ﷺ نزل على أبي أيوب الانصاري فجاء الى النبي ﷺ والثمار معه فسمع النبي ﷺ يقول : أيها الناس أفشوا السلام، وأطعموا الطعام ،وصلوا الارحام ، وصلوا بالليل والناس نيام ، تدخلون الجنة بسلام فقال : اني أشهد أنك رسول الله وأنك جئت بحق وقد علمت يهود أني سيدهم وابن سيدهم وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسالهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمت فانهم ان يعلموا أني قد أسلمت قالوا في ماليس في فأرسل رسول الله ﷺ الى اليهود فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم النبي : ﷺ يا معشر اليهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو انكم لتعلمون اني رسول الله حقا واني جئتكم بحق فاسلموا قالوا : ما نعلم قال : فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام ، قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال : أفرأيتم ان أسلم ؟ قالوا : حاشا لله ماكان ليسلم قال رسول الله : ﷺ يا ابن سلام أخرج عليهم فخرج فقال : يا معشر اليهود

اتقوا الله فوالله الذي لا اله الا هو إنكم لتعلمون انه رسول الله وأنه جاء بالحق فقالوا له : كذبت فأخرجهم رسول الله ﷺ من عنده . فمن هذا الوقت أخذ اليهود يتظاهرون بما تكنه صدورهم من الحسد والبغضاء ووضع العراقيل لعدم نمو الاسلام .

احضار آله ﷺ من مكة

لما هاجر النبي ﷺ ترك آله بمكة هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه فلما استقر به المنزل بالمدينة أرسل زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه الى مكة ليقدما بآله وجعل معهما عبد الله بن اريقط دليلا فقدما بفاطمة ،وأم كلثوم بنتيه وسودة بنت زمعة زوجته وأسامة بن زيد مولاه وأم أيمن والدة أسامة وأما زينب بنت رسول الله ﷺ فمنعها من الهجرة زوجها .

وخرج عبد الله بن ابي بكر الصديق ومعه أم رومان بنت عامر الكنانية امرأة أبي بكر الصديق ، وأم المؤمنين عائشة زوج النبي ﷺ واسماء بنت أبي بكر زوج الزبير بن العوام وكانت حاملا بابنه عبد الله بن الزبير حتى أتوا المدينة.

عطفه ﷺ على من حبس من اصحابه

فلما استقر رسول الله ﷺ بالمدينة تذكر عياش بن أبي ربيعة وهشام ابن العاص ، وهما محبوسين بمكة فقال : ﷺ من لي بعياش بن أبي ربيعة

وهشام بن العاص فقال الوليد بن الوليد بن المغيرة : أنا لك يا رسول الله بهما فخرج الى مكة فقدمها مستخفيا فلقي امرأة تحمل طعاما فقال لها : أين تريدين يا امة الله ؟ قالت : أريد هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما وكانا محبوسين في بيت لاسقف له فلما أمسي تسور عليهما ثم أخذ مروة فوضعها تحت قيديهما ثم ضربها بسيفه فقطعتهما فكان يقال لسيفه ذو المروة ثم حملهما على بعيره وساق بهماوهو يمشي تحتهما على قدميه حتى قدم بهما المدينه على رسول الله ﷺ

دخوله ﷺ على عائشة

بنى رسول الله ﷺ بعائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما على رأس ثمانية أشهر من مقدمه المدينة وذلك في شهر شوال من السنة الاولى للهجرة وكان سنها تسع سنين ولم يتزوج رسول الله ﷺ بكراً غيرها وأنزلها في الدار التي بناها لها بجوار المسجد وجعل لها شارعا الى المسجد وتكنى أم عبد الله والصحيح أنها لم تلد لرسول الله ﷺ قط وكانت أحب نسائه اليه و يقال لها حبيبة رسول الله ﷺ .

مشروعية الاذان

قد سبق ذكر الصلاة ومشروعيتها ، وصلاة النبي ﷺ بخديجة وصلاته مع علي بن أبي طالب في الشعب ، وضم أبي طالب أبنه جعفر

وصلاته في دار الارقم باصحابه وصلاته في المسجد الحرام ووجوبها خمسة صلوات لليلة الأسراء فمررنا على ذلك كله ولم نبحث في شيء عن مشروعيتها ولا عن كيفيتها وسيتبع ذلك الزكاة ،والصيام ، والحج ، وباقي ما افترضه الله على عباده والسبب في عدم البحث في ذلك هو ان قسم العقائد والعبادات والمعاملات له كتب مختصة بهذا العلم وقد دون في ذلك جهابذة العلماء والفقهاء ،والمحدثين من متون، وشروح ، وحواشي،و بينوا الاصول، والفروع وما ورد في ذلك من روايات متعددة ، ومذاهب متنوعة ، وآراء مختلفة ومن المعلوم أن كل ذلك له تعلق بالسيرة النبوية لان مصدر التشريع منه ﷺ ولكن من حيث ان بحثنا مقتصر في هذا الكتاب على القسم الاجتماعي والسياسي ،والتاريخي من سيرته ﷺ فقط فكذلك لم ندخل في بحثنا من العقائد ،والعبادات، والمعاملات وما في معنى ذلك . ولم نتعرض في كتابنا للأذان الا لكونه فيه الاعلان بالصلاة وبالاجماع والجماعة على رؤس الاشهاد وفيه الظهور من اخفاء حيث قد مضى على النبي ﷺ ثلاثة عشر سنة بمكة مستخفيا هو وأصحابه وقد آن أوان الاعلان بالاسلام وظهور أهل الايمان بعد صرف جهود عظيمة وتحمل مشاق كبيرة كما سبق بيانه .

فلما اطمأن رسول الله ﷺ بالمدينة واجتمع اليه أصحابه المهاجرون والانصار واستحكم امر الاسلام أقام الصلاة جماعة ، وجماعات ، وفرضت الزكاة ، والصيام ، واقامة الحدود ، وفرض الحلال ، والحرام ، وتبوأ الاسلام

بين أظهرهم ، وكان هذا الحي من الانصار هم الذين تبوؤا الدار والايمان فقد كان رسول الله ﷺ حين قدم المدينة يجتمع الناس اليه للصلاة حين مواقيتها بغير دعوة فاراد رسول الله ﷺ أن يجعل بوقا كبوق اليهود الذين يدعون به لصلاتهم ثم كرهه . ثم أمر بالناقوس فنحت ليضرب به للمسلمين للصلاة فبينما هم على ذلك اذ رأى عبدالله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه (أخو أبي الحارث الخزرجي) النداء فأتى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله انه طاف بي هذه الليلة طائف مر بي رجل عليه ثوبان أخضران يحمل ناقوسا في يده فقلت له : يا عبد الله أتبيع هذا الناقوس ؟ قال : ما تصنع به : قلت: ندعوا به الى الصلاة قال : أفلا ادلك على خير من ذلك ؟ قلت : وماهو؟ قال : تقول : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر أشهد أن لا اله الا الله ، أشهد أن لا اله الا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله ، حي على الصلاة حي على الصلاة ، حي على الفلاح حي على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا اله الا الله فلما أخبر بها رسول الله ﷺ قال: انها لرؤيا حق ان شاء الله فقم مع بلال فألقها عليه فليؤذن بها فانه أندى صوتا منك فلما أذن بها بلال سمعها عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج الى رسول الله ﷺ وهو يجر رداءه وهو يقول : يانبي الله والذي بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذي رأى فقال رسول الله : ﷺ فلله الحمد على ذلك هذه رواية ابن هشام عن ابن اسحاق وقد أثبتها الحافظ ابن حجر في الفتح .

اسلام صرمة بن ابى انس

هو أبو قيس صرمة بن أبي أنس (أخو بني عدي بن النجار) كان رجلا قد ترهب في الجاهلية ، ولبس المسوح ، وفارق الاوثان ، واغتسل من الجنابة ، وتطهر من الحائض من النساء ، وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ودخل بيتا له فاتخذه مسجدا لا تدخل عليه فيه طامثة ولاجنب وقال : اعبد رب ابراهيم حين فارق الاوثان وكرهها حتى قدم رسول الله ﷺ المدينه فاسلم وحسن اسلامه وهو شيخ كبير وكان قوالا بالحق معظما لله عز وجل في جاهليته ووصف حسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه قول صرمة في شعر له منه هذه الابيات

يقول أبو قيس واصبح غاديا ألاما استطعتم من وصاتي فافعلوا
فاوصيكم بالله والبر والتقى وأعراضكم والبر بالله أول
وان قومكم سادوا فلا تحسدونهم وان كنتم أهل الرياسة فاعدلوا

ومنها

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسه وكل هلال
عالم السر والبيان لدينا ليس ما قال ربنا بضلال
وله الطير تستريد وتاوى في وكور ومن أناب الجبال

وقال ابو قيس صرمة يذكر ما أكرمهم الله تعالى به من الاسلام وما خصهم الله به من نزول رسول الله ﷺ .

ثوى في قريش بضع عشرة حجة يذكر لو يلقى صديقا مواتيا
ويعرض في أهل المواسم نفسه فلم ير من يؤوي ولم ير داعيا
فلما أتانا أظهر الله دينه فأصبح مسرورا بطيبة راضيا
وألفى صديقا واطمأنت به النوى وكان له عونا من الله باديا
يقص لنا ما قال نوح لقومه وما قال موسى اذ أجاب المناديا
فأصبح لايخشى من الناس واحدا قريبا ولا يخشى من الناس نائيا
بذلنا له الاموال من حل مالنا وأنفسنا عند الوغى والتآسيا

والقصيدة ذكرها ابن هشام عن ابن اسحاق بطولها مع ما قال حسان من شعره وقد اقتصرنا على ذلك خشية الاطالة وكان بلغ من العمر مائة وعشرون سنة .

معاداة اليهود له ﷺ

فلما اطمأنت برسول الله ﷺ داره وأظهر الله بها دينه وسره بما جمع الله اليه من المهاجرين والانصار من أهل ولايته نصبت عند ذلك أحبار يهود لرسول الله ﷺ العداوة بغيا وحسدا وضغنا لما خص الله تعالى به العرب من أخذه رسوله منهم وانضاف اليهم رجال من الأوس والخزرج ممن كان تصلب

على جاهليته فكانوا أهل نفاق على دين آبائهم من الشرك والتكذيب بالبعث الا ان الاسلام قهرهم بظهوره واجتماع قومهم عليه فظهروا بالاسلام واتخذوه جنة من القتل ونافقوا في السر وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبي ﷺ وجحودهم الاسلام وكانت أحبار يهودهم الذين يسألون رسول الله ﷺ ويتعنتونه ويأتونه باللبس ليلبسوا الحق بالباطل فكان القرآن ينزل فيهم وفيما يسألون عنه الا قليلا من المسائل في الحلال والحرام وكان المسلمون يسألون عنها وكان من أشد اليهود حسداً، وجحوداً، وعنادا حي بن اخطب، وأخوه أبو ياسر بن أخطب، وجد بن أخطب، وسلام بن مشكم وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، وعمرو بن أبي الحقيق، وابو رافع الاعور والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق، وعمرو بن جحاش، وكعب بن الأشرف وهو من طيء وأمه من بني النضير، والحجاج بن عمرو، حليف كعب بن الأشرف، وكردم بن قيس حليف بني كعب بن الاشرف فهؤلاء من بني النضير

ومن بني ثعلبة بن الفطيون عبد الله بن صوريا الأعور ولم يكن بالحجاز في زمانه أحد أعلم بالتورات منه، وابن صلوبا ومخيريق، وكان حبرهم. ومن بني قينقاع زيد بن اللصيت، وسعد بن حنيف، ومحمود بن سبحان، وعزير بن أبي عزير، وعبد الله بن صيف وسويد بن الحارث، ورفاعة بن قيس، وفنحاص، واشيع، ونعمان بن أضا، وبحرى بن عمرو، وشاش بن عدي، وشاس بن قيس، وزيد بن

الحارث ، و نعمان بن عمرو ، وسكين بن أبي سكين ، وعدي بن زيد ونعمان بن أبي اوفى أبو انس ، ومحمود بن دحيـة ، ومالك بن الصيف وكعب بن راشد ، وعازر ، ورافع بن أبي رافع ، وخالد ، وازار بن أبي آزار ورافع بن حريملة ، و رافع بن خارجة ، ومالك بن عوف ، ورفاعة بن زيد ابن التابوت ، والحصين بن سلام ، وكان حبرهم وأعلمهم ولما أسلم سماه النبي ﷺ عبدالله فهؤلاء من بني قينقاع . ومن بني قريظة الزبير بن باطا بن وهب ، وعزال بن سموأل ، وكعب بن أسد ، وهو صاحب عقد بني قريظة الذي نقض عام الاضراب ، وشمويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكينـة ، والنحام ابن زيد ، وقردم بن كعب ، ووهب بن زيد ، ونافع ابن أبي نافع ؛ وعدي بن زيد ، والحارث بن عوف ، وكردم بن زيد ، وأسامة ابن حبيب ، ورافع بن زميلة ، وجبل بن أبي قشير ، ووهب بن يهوذا فهؤلاء من بني قريظة . ومن يهود بني زريق لبيد بن أعصم ؛ وهو الساحر عند اليهود ، ومن يهود بني حارثة كنانة بن صوريا . ومن يهود بني عمرو ابن عوف قردم بن عمرو . ومن يهود بني النجار سلسلة بن برهام .

فهؤلاء اليهود هم الأحبار فيهم ، وهم الذين تصدوا لعداوة رسول الله ﷺ وأصحابه وهم أصحاب المسألة والنصب للاسلام ومقصدهم الوحيد هو صد الاسلام ورد جماحه من السرعة التي انتشر بها في كافة أنحاء المدينة بالصفة التي أدهشت عقولهم ، وحيرت أفكارهم ، وشتتت

آراءهم ، ومنشأ كل ذلك الحسد حيث انهم قضوا القرون الطوال من الزمن ولم يستطيعوا ان ينشروا اليهودية في المدينة وضواحيها بالصفة التي انتشر فيها الاسلام في بضعة أشهر ولم يدركوا ان الدين الصحيح هو غير الدين المحرف وان الدعوة الخالصة لله هي غير الدعوة المبنية على الهوى وحب الذات والدليل على ذلك واضح حيث ان اليهود لما انطوت نفوسهم على المكر والخديعة لم يتوفقوا كل حياتهم حتى اليوم ولن يتوفقوا خصوصا في مسألة الدين لأن الدعوة اذا لم تكن خالصة لله تعالى فلا نصيب لها غير الفشل ولما كانت دعوة رسول الله ﷺ الناس الى الاسلام هي من الله والى الله ظاهرة لاغبار عليها قبلتها القلوب الطاهرة من الغي السليمة من المرض يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون .

ومن هؤلاء اليهود ممن تهود من الأوس والخزرج وسبب تهودهم كان في نساء الأوس والخزرج من تنذر ان ولدت ولدا فعاش تهوده لأن اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب وفي هؤلاء الابناء نزل قوله تعالى ﴿ لا اكراه في الدين) حين أراد أباؤهم اكراههم على الاسلام بعد أن تهودوا وجاءهم النبي ﷺ ورأوا أن دين الاسلام حق وأدلته ظاهرة كالشمس واما اليهود الذين ينتمون الى اسرائيل فهم بنو قريظة ، والنضير و بنو قينقاع ومنازلهم بالمدينة وخيبر .

المنافقون من الاوس والخزرج

وكان ممن انضم الى اليهود من المنافقين من الأوس والخزرج جماعة فمن الأوس زري بن الحارث ، وجلاس بن سويد بن الصامت ، واخوه الحارث بن سويد ، وجلاس هو ممن تخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك وقال : لئن كان هذا الرجل صادقا لنحن شر من الحمر فسمع ذلك عمير بن سعيد وكان في حجر جلاس زوج أمه بعد أبيه فقال له عمير : والله يا جلاس انك لاحب الناس الي ، وأحسنهم عندي يدا وأعزهم علي رسول الله ﷺ ولا أحب أن يصيبه شيء يكرهه ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنك ولئن صمت عليها ليهلكن ديني ولأحدهما ايسر علي من الاخرى . ثم مشى الى رسول الله ﷺ فذكر له ماقال جلاس فحلف جلاس بالله لرسول الله ﷺ لقد كذب علي عمير وما قلت ما قال عمير فأنزل الله عز وجل فيه (يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن أغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا أليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير) فتاب جلاس وحسنت توبته ولم يترك عميرا من الخير الذي كان يصنعه له .

ومن بني صبيعة بجاد بن عثمان بن عامر ، ونتيل بن الحارث وهو

الذي قال له رسول الله : ﷺ « من احب أن ينظر الى الشيطان فلينظر الى نتيل بن الحارث » وكان رجلا جسيما أدلم ثائر شعر الرأس احمر العينين اسفع الخدين وكان يأتي رسول الله ﷺ ويتحدث اليه فيسمع منه ثم ينقل حديثه الى المنافقين وقال انما محمد أذن من حدثه شيئا صدقه فأنزل الله تعالى فيه (ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب شديد) ومن بني ضبيعة أبو حبيبة بن الازعر وكان ممن بنى مسجد الضرار . وثعلبة بن حاطب ، ومتعب بن قشير وهما اللذان عاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فنزلت فيهم الآية (ومنهم من عاهد الله) الى آخر الآية ومتعب بن القشير هو الذي قال يوم احد لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا فانزل الله تعالى في ذلك (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) الى اخر الاية والقصة وهو الذي قال يوم الاحزاب كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا لا يأمن ان يذهب الى الغائط فنزل فيه قوله تعالى (وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ماوعدنا الله ورسوله الا غرورا) وقد حصل بالفعل ماوعد به ﷺ أصحابه ونالوا كنوز كسرى وقيصر ورب ما يكون قد عاش متعب وشاهد كنوز كسرى وقيصر وهي تقسم على الذين جاهدوا في الله حق جهاده ونصحوا لله ولرسوله ومنهم عمر بن خلاد ، وعبد الله بن نبتل ، وجارية بن عامر بن العطاف

وابناه زيد ، ومجمع وهم ممن اتخذ مسجد الضرار ، وعبادة بن حنيف (أخو سهل بن حنيف) ويخرج وهم ممن بني مسجد الضرار وكان مجمع بن جارية يحفظ كثيرا من القرآن وكان يصلي بهم في مسجد الضرار ثم أحرق المسجد فلما كان زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلم في مجمع أن يؤم قومه فقال : لا أو ليس بامام المنافقين في مسجد الضرار فقال مجمع : والله الذي لا اله الا هو ما علمت بشيء من أمرهم ولكن كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا لا يقرؤون فقدموني أصلي بهم فتركه عمر فصلى بهم . ووديعة ابن ثابت وهو ممن بنى مسجد الضرار وهو الذى قال انما كنا نخوض ونلعب فأنزل الله عزوجل فيهم (ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) الى آخر القصة .

وخذام بن خالد وهو الذي أخرج مسجد ضرار من داره . وبشر ورافع ابنا زيد . ومربع بن يقظى وهو الذي قال لرسول الله ﷺ حين مروره من حائطه وهوقاصد أحد لاأحل لك يامحمد أن كنت نبيا أن تمر في حائطي واخذ في يده حفنة من تراب ثم قال والله لو أعلم أني لا أصيب غيرك بهذا التراب لرميتك به فابتدره القوم ليقتلوه فقال رسول الله ﷺ دعوه فهذا الاعمى أعمى القلب أعمى البصر فضربه سعيد بن زيد (أخو بني عبد الاشهل) بالقوس فشجه وأخوه أوس بن يقظى وهو الذي يقول : لرسول الله ﷺ يوم الخندق ان بيوتنا عورة وما هي بعورة فائذن لنا فلنرجع اليها فانزل الله

تبارك وتعالى فيه (يقولون ان بيوتنا عورة وماهي بعورة ان يريدون الافرارا) فهؤلاء من أتينا على ذكرهم من منافقي الاوس . واما منافقوا الخزرج فهم حاطب بن امية بن رافع كان شيخا جسيما قد عسى في جاهلية وكان له ابن من اخيار المسلمين يقال له يزيد بن حاطب اصيب يوم احد حتى اثبتته الجراحات فحمل الى دار بني ظفر فاجتمع اليه من بها من رجال المسلمين ونسائهم وهو محتضر فجعلوا يقولون له أبشر يا ابن حاطب بالجنة فأظهر حاطب أبوه نفاقه فقال : أجل جنة من حومل غررتم والله هذا المسكين من نفسه والحومل الذى قصده حاطب هو أرض المجاعة التي تموت فيها الكلاب من عدم وجود أي شيء فيها تأكله فشبه الجنة التي أوعدالله بها عباده المتقين بأرض المجاعة التي تموت فيها الكلاب من شدة الجوع ومنهم بشير بن ابيرق وهو ابو طعمة سارق الدرعين الذي انزل الله تعالى فيه (ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما) وقزمان حليف لهم كان يقول رسول الله : ﷺ انه من اهل النار فلما كان يوم احد قاتل قتالا شديدا حتى قتل بضعة نفر من المشركين فاثبتته الجراح فحمل الى دار بني ظفر فقال له : رجال من المسلمين أبشر يا قزمان فقد أبليت اليوم وقد أصابك ما ترى في الله قال : بماذا ابشر فوالله ما قاتلت الا حمية عن قومي فلما اشتدت به جراحه وآذته اخذ سهما من كنانته فقطع به واهش يده فقتل نفسه وكان الضحاك بن ثابت يتهم بالنفاق وحب اليهود وكان جلاس قبل توبته

ومتعب بن قشير، ورافع بن زيد، وبشر، يدعون بالاسلام فدعاهم رجال من قومهم من المسلمين في خصومة كانت بينهم الى رسول الله ﷺ فقالوا: نتحاكم الى حكام أهل الجاهلية فأنزل الله عزوجل فيهم (الم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا) الى آخر القصة ومن الخزرج رافع بن وديعة، وزيد بن عمرو وعمرو بن قيس، وقيس بن عمرو بن سهيل، والجد بن قيس الذي يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا فأنزل الله تعالى (ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ومن الخزرج عبدالله بن أبي بن سلول وكان رأس المنافقين واليه يجتمعون وهو الذي قال: لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل في غزوة بني المصطلق وفي قوله ذلك نزلت سورة المنافقين بأسرها وفيه وفي وديعة رجل من بني عوف، ومالك بن أبي قوقل، وسويد، وداعي وهم من رهط عبدالله بن أبي بن سلول وهؤلاء القوم الذين كانوا يدسون الى بني النضير حين حاصرهم رسول الله ﷺ أن اثبتوا فوالله لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحداً ابدا وان قوتلتم لننصرنكم فأنزل الله تعالى (الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم احداً ابدا

وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون) ثم القصة من السورة حتى منتهى قوله (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين) .

هذا ما كان من امر المنافقين من الأوس والخزرج ولا شك انه يوجد في كل امة ، او قبيلة ، او عائلة ، المصلح ، والمفسد ، والطيب ، والخبيث والشجاع ، والجبان ، و ينجم النفاق في الشخص لأسباب كثيرة اما لحسد او بغض او للؤم انغرس في طبعه من اصل خلقته فمهما اجتهد في اخفائه لابد وان يظهر عليه اما في قوله او عمله كما قال زهير بن ابي سلمى .

ومهما تكن عند امرىء من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

والافقد برهن الانصار من الاوس والخزرج على صدق ايمانهم وقوة نصرهم وشدة بأسهم على من عادى رسول الله ﷺ و لوكان من اعز الناس عندهم وسيأتى بعد ذلك ما احرزه الانصار من المجد ، والرفعة ، والبسالة والشهامة ، والشجاعة ، والسؤدد ، في حروبهم مع رسول الله ﷺ ومواقفهم العظيمة في عموم المواطن حتى نالوا خيري الدنيا والآخرة رحمهم الله تعالى ورضي عنهم وجزاهم عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء .

المنافقون من اليهود

كان ممن تعوذ بالاسلام ودخل فيه نفاقا من أحبار اليهود من بني قينقاع سعد بن حنيف ، وزيد بن اللصيت ، والنعمان بن أوفى ، وعثمان بن أوفى وزيد بن اللصيت هو الذي قاتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بسوق بني قينقاع وهو الذي قال حين ضلت ناقة رسول الله ﷺ يزعم محمد أنه يأتيه خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته فقال رسول الله ﷺ ان قائلا قال يزعم محمد انه يأتيه خبر السماء ولا يدري أين ناقته واني والله ما أعلم الا ما علمني الله وقد دلني الله عليها فهي في هذا الشعب قد حبستها شجرة بزمامها فذهب رجال من المسلمين فوجدوها حيث قال رسول الله ﷺ وكما وصف ورافع بن حرملة وهو الذي قال فيه رسول الله : ﷺ قد مات اليوم عظيم من عظماء المنافقين . ورفاعة بن زيد بن التابوت وهو الذي قال فيه رسول الله ﷺ وهو قافل من غزوة بني المصطلق حين هبت ريح فاشتدت عليه حتى أشفق المسلمون منها لا تخافوا فانما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار فلما قدم المدينة وجد رفاعة بن زيد بن التابوت مات ذلك اليوم الذي هبت فيه الريح . وسلسلة بن برهام ، وكنانة بن صوريا ، وكان هؤلاء المنافقون يحضرون المسجد فيسمعون أحاديث المسلمين ويسخرون منهم ويستهزؤون بدينهم فاجتمع يوما في المسجد منهم ناس فرآهم رسول

الله ﷺ يتحدثون بينهم خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض فأمر بهم رسول الله ﷺ فأخرجوا من المسجد اخراجا عنيفا فقام ابو ايوب الانصاري الى عمرو بن قيس وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية فأخذ برجله فسحبه حتى أخرجه من المسجد وهو يقول أتخرجني يا أبا أيوب من مربد بني ثعلبة ؟ ثم أقبل أبو أيوب أيضا الى رافع بن وديعة فلببه بردائه ثم نثره نثرا شديداً ولطم وجهه ثم أخرجه من المسجد وقال له: أبو أيوب أف لك منافقا خبيثا أدراجك (أي عد من حيث أتيت) وقام عمارة بن حزم الانصاري الى زيد بن عمرو وكان رجلا طويل اللحية فأخذ بلحيته فقاده بها قودا عنيفا حتى أخرجه من المسجد ثم جمع عمارة يديه فلكمه في صدره فخرج يقول: خدشتني ياعمارة قال له: أبعدك الله يا منافق فما أعده الله لك من العذاب أشد من ذلك فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ . وقام ابو محمد مسعود بن أوس الانصاري الى قيس بن عمرو فجعل يدفع في قفاه حتى أخرجه من المسجد وقام عبد الله بن الحارث الانصاري الى الحارث بن عمرو وكان ذا جمة (والجمة مجتمع شعر الرأس) فأخذ بجمته فسحبه بها سحبا عنيفا على الارض حتى اخرجه من المسجد وقال له أي عدو الله فلا تقربن مسجد رسول الله ﷺ . وقام رجل من بني عمرو بن عوف الى أخيه زوي بن الحارث فاخرجه من المسجد اخراجا عنيفاً وأنزل الله تعالى في هؤلاء المنافقين من اليهود صدرا من سورة البقرة . هذا مارواه ابن اسحاق ملخصاً .

هذه صورة من صور الحالات التي كان عليها المسلمون والمنافقون في المدينة المنورة وهي تمثل المؤمن الصادق في ايمانه وما هو عليه من الرفعة، والسؤدد والبأس، وتمثل المنافق الذي لا مبدأ له في الدين والدنيا غير التملق في الحياة وأمثال هؤلاء كثيرون في الماضي والحال الذين قضوا ويقضون حياتهم في الدنيا بلا مبدأ ولا شرف ويظنون أنهم هم الناس وانهم أصحاب الرأي الثاقب وأنهم هم الذين يعرفون كيف يعيشون وكيف يتمشون مع الزمن وفي نظرهم أن لا حياة الا بالتملق والتزلف ولهم في ذلك أمثلة يضربونها لاثبات نظريتهم فمنها كيفما دارت الزجاجة درنا كما انه في نظرهم كل انسان متمسك بدينه أو بمبدئه متعصب. وهذا شيء طبيعي فكل انسان يرى مخالفه على غير الحق فلو ان الله خلق كافة الناس على شاكلتهم لما كان ثمة شرف ولا مبدأ وقد سجل التاريخ صفة المنافقين وأبداها في صور واضحة كما بين لاصحاب الشرف مكانتهم في الهيئة الاجتماعية أمثال أولئك الانصار الذين خذلوا المنافقين وأرهقوهم على ملأ من الناس مع ان هؤلاء المنافقين هم من أكابر قومهم ولكن هذه سنة الله في خلقه ان جعل المنافقين والمتملقين أذلاء حقيرين لانهم لا يعرفون للشرف طعما ولا للمبدأ قيمة فليختر المرء لنفسه ما يحلو

حالات اليهود ومكرهم

حدثت أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب : قالت: كنت أحب ولد أبي اليه والى عمي أبي ياسر لم القهما قط وولداهما الا أخذاني دونه قالت فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ونزل بقباء في بني عمرو بن عوف غدا عليه أبي حيي بن أخطب وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين قالت فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس قالت فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا قالت : فهششت اليهما كما كنت أصنع فوالله ما التفت الي واحد منهما مع ما بهما من الغم قالت: وسمعت عمي أبا ياسر وهو يقول لأبي حيي بن اخطب اهو هو قال: نعم والله قال: اتعرفه وتثبته قال: نعم قال : في نفسه منه عداوته والله ما بقيت . وكان مما نزل فيه القرآن خاصة من احبار اليهود الذين كانوا يسألونه و يتعنتونه ليلبسوا الحق بالباطل حيي بن اخطب و رفاقه وذلك ان ابا ياسر بن اخطب مر برسول الله ﷺ وهو يتلو فاتحة البقرة (الٓمٓ ذلك الكتاب لا ريب فيه) فأتى اخاه حيي بن اخطب في رجال من يهود فقال تعلموا والله لقد سمعت محمدا يتلوا فيما انزل عليه (الٓمٓ ذلك الكتاب) فقالوا : انت سمعته فقال : نعم فمشى حيي بن اخطب في اولئك النفر من يهود الى رسول الله ﷺ فقالوا له : يا محمد ألم يذكر لنا انك تتلوا فيما انزل اليك (الٓمٓ ذلك الكتاب) فقال رسول الله ﷺ : بلى قالوا : أجاءك

بها جبريل من عند الله فقال : نعم وقالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء ما تعلمهم بين لنبي منهم مامدة ملكه وأكل أمته غيرك فأقبل حيي بن أخطب على من معه وقال لهم الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، فهذه احدى وسبعون سنة أفتدخلون في دين انما مدة ملكه وأكل امته احدى وسبعون سنة ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال : يا محمد هل مع هذا غيره ؟ قال : نعم قال حيي : ماذا؟ قال : (المص) قال حيي : والله هذه أثقل وأطول الألف واحد، واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون ، فهذه احدى وستون ومائة سنة هل مع هذا يامحمد غيره ؟ قال : نعم (الر) قال حيي : هذه أثقل وأطول الألف واحد ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان ؛ فهذه احدى وثلاثون ومائتان هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال : نعم (المر) قال حيي هذه أثقل وأطول الألف واحد، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان فهذه احدى وسبعون ومائتان سنة ثم قال لقد لبس علينا أمرك يا محمد حتى ما ندري أقليلا أعطيت أم كثيراً ثم قاموا عنه فقال أبو ياسر لأخيه حيي ولمن معه من الاحبار ما يدريكم لعله قد جمع هذا كله لمحمد احدى وسبعون واحدى وستون ومائة، واحدى وثلاثون ومائتان ، واحدى وسبعون ومائتان فذلك سبعمائة وأربع وثلاثون سنة فقالوا : لقد تشابه علينا أمره فأنزل الله تعالى (هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن ام الكتاب واخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة

وابتغاء تأويله)وكان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه فقال لهم معاذ بن جبل و بشر بن البراء الانصاري : يا معشر يهود اتقوا الله وأسلموا فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك وتخبروننا انه مبعوث وتصفونه لنا بصفته . فقال سلام بن مشكم: من بني النضير ماجاءنا بشيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكره لكم فأنزل الله تعالى في ذلك (ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين) وقال مالك بن الصيف : حين بعث رسول الله ﷺ وذكر لهم ما أخذ عليهم له من الميثاق وما عهد الله اليهم فيه ، والله ما عهد الينا في محمد عهدا وما اخذ له علينا من ميثاق فأنزل الله تعالى فيه (أوكلما عاهدوا عهداً نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون) وقال ابن صلوبا الفطيوني : لرسول الله ﷺ يامحمد ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل الله عليك من آية بينة فنتبعك لها .فأنزل الله تعالى (ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون) وقال رافع بن حريملة ، ووهب بن زيد: لرسول الله ﷺ يا محمد ائتنا بكتاب تنزله علينامن السماء نقرؤه وفجر لنا أنهارا نتبعك ونصدقك فأنزل الله تعالى (أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل) وكان

حيي بن أخطب وأخوه ياسر من أشد يهود حسداً للعرب اذ خصهم الله تعالى برسوله ﷺ وكانا جاهدين في رد الناس عن الاسلام بما استطاعوا فأنزل الله تعالى فيهما (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره ان الله على كل شيء قدير) . وقال رافع بن حريملة : لرسول الله ﷺ يا محمد ان كنت رسولا من عند الله كما تقول فقل لله فليكلمنا حتى نسمع كلامه فأنزل الله تعالى (وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون) . وقال عبد الله بن صوريا الأعور الفطيوني: لرسول الله ﷺ ماالهدى الا مانحن عليه فاتبعنا يا محمد تهتد فأنزل الله تعالى (وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) الآية . ولما تحولت القبلة من الشام الى مكة أتى رسول ﷺ رفاعة بن قيس ، وقردم بن عمرو ، وكعب بن الاشرف والربيع بن الربيع بن أبي الحقيق ، ورافع بن أبي رافع ، والحجاج ابن عمرو حليف كعب بن الاشرف ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق فقالوا : يامحمد ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه ارجع الى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك وأرادوا بذلك فتنته عن دينه والمكر به والخدعة والتلاعب فأنزل الله

فيهم (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم) وقوله تعالى (ولئن أتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين) وقوله تعالى (الحق من ربك فلا تكونن من الممترين) . وسأل معاذ بن جبل ، وسعد بن معاذ ، وخارجة بن الحارث ، نفراً من أحبار يهود عن بعض ما في التوراة فكتموهم اياه وأبوا أن يخبروهم عنه فأنزل الله تعالى فيهم (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) . ودعا رسول الله ﷺ اليهود من أهل الكتاب الى الاسلام ورغبهم فيه وحذرهم عذاب الله ونقمته فقال له رافع بن خارجة ، ومالك بن عوف : بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيرا منا فأنزل الله تعالى في ذلك (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون) . ودخل ﷺ بيت المدارس على جماعة

من يهود فدعاهم الى الله تعالى فقال له النعمان بن عمرو ، والحارث بن زيد وعلى أي دين أنت يامحمد ؟ قال على ملة ابراهيم ودينه قالا : فان ابراهيم كان يهوديا فقال لهما رسول الله : ﷺ فهلم الى التوراة فهي بيننا وبينكم فأبيا عليه فأنزل الله تعالى فيهما (الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) واجتمع أحبار اليهود مع من أتى من نصارى نجران عند النبي ﷺ فتنازعوا فقال أحبار اليهود : ما كان ابراهيم الا يهوديا ، وقالت نصارى نجران ما كان ابراهيم الا نصرانيا فأنزل الله تعالى فيهم (يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وانتم لاتعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين) وقال : عبد الله بن صيف وعدي بن زيد ، والحارث بن عوف ، بعضهم لبعض تعالوا نؤمن بما انزل على محمد واصحابه غدوة ونكفر به عشية حتى نلبس عليهم دينهم لعلهم يصنعون كما نصنع ويرجعون عن دينه فأنزل الله تعالى فيهم (يا اهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون

وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي انزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم) ودخل ابو بكر الصديق رضي الله عنه بيت المدارس على يهود فوجدهم أناسا كثيراً قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص وكان من علمائهم ومعه حبر من اليهود يقال له اشيع فقال ابو بكر :لفنحاص ويحك يافنحاص اتق الله واسلم فوالله انك لتعلم ان محمدارسول الله قدجاءكم بالحق من عندهتجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والانجيل فقال فنحاص : والله يا ابا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا لفقير وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا وانا عنه لاغنياء وما هو عنا بغني ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا اموالنا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت رأسك أي عدوالله فذهب فنحاص الى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أنظر ما صنع بي صاحبك فقال رسول الله: ﷺ لأبي بكر الصديق ما حملك على ما صنعت فقال أبو بكر : يارسول الله إن عدو الله قال قولا عظيما انه زعم ان الله فقير وأنهم أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال وضربت وجهه. فجحد فنحاص وقال : ما قلت ذلك فأنزل الله تعالى

فيما قال فنحاص رداً عليه وتصديقاً لأبي بكر (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق) ونزل في حق أبي بكر (ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) . وكان كردم بن قيس ، وأسامة بن حبيب ، ونافع ابن أبي نافع ، وبحرى بن عمرو ، وحيي بن أخطب ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، يأتون رجالا من الأنصار يخالطونهم كانوا ينتصحون لهم من أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر في ذهابها ولا تسارعوا في النفقة فانكم لا تدرون علام يكون فأنزل الله تعالى فيهم (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله) أي التوراة التي فيها تصديق ما جاء به محمد ﷺ . وكلم رسول الله ﷺ رؤساء من أحبار يهود منهم عبد الله بن صوريا الأعور وكعب بن أسد ، فقال : يامعشر يهود اتقوا الله وأسلموا فوالله انكم لتعلمون أن الذي جئتكم به لحق قالوا : ما نعرف ذلك يامحمد فجحدوا ما عرفوا وأصروا على الكفر فأنزل الله تعالى فيهم (يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا) وقال سكين وعدي بن زيد : يا محمد ما نعلم أن الله أنزل على بشر من شيء بعد موسى

فأنزل الله تعالى (انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وأوحينا الى ابراهيم واسماعيل واسحاق و يعقوب والاسباط وعيسى وأيوب و يونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل و رسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيما). ودعا رسول الله ﷺ يهود الى الاسلام ورغبهم فيه وحذرهم غضب الله وعقوبته فأبوا عليه وكفروا بما جاءهم به فقال لهم معاذ بن جبل ، وسعد بن عبادة ، وعقبة ابن وهب الانصاري : يا معشر يهود اتقوا الله فوالله انكم لتعلمون أنه رسول الله وقد كنتم تذكرونه لنا قبل مبعثه وتصفونه لنا بصفته فقال رافع ابن حريملة ، ووهب بن يهودا : ما قلنا لكم هذا قط وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده فأنزل الله تعالى في ذلك (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير و نذير والله على كل شيء قدير) وقص القرآن عليهم خبر موسى وما لقي منهم وانتقاضهم عليه وما ردوا عليه من أمر الله حتى تاهوا في الارض أربعين سنة . واجتمع أحبار يهود في بيت المدارس حين قدم رسول الله ﷺ المدينة وقد زنى رجل منهم بعد احصانه بامرأة من يهود قد أحصنت فقالوا: ابعثوا بهذا الرجل وهذه المرأة الى محمد فسلوه كيف الحكم فيهما وولوه الحكم عليهما فان عمل فيهما

بعمالكم من النجيبة فاتبعوه فانما هو ملك وصدقوه وان هو حكم فيهما بالرجم فانه نبي فاحذروه على مافي أيديكم أن يسلبكموه (والنجيبة الجلد بحبل من ليف مطلي بزفت) ثم تسود وجوههما ثم يحملان على حمارين وتجعل وجوههما من قبل ادبار الحمارين فأتوه فقالوا : يامحمد هذا رجل قد زنى بعد احصانه بامرأة قد احصنت فاحكم فيهما فقد وليناك الحكم فيهما فمشى رسول الله ﷺ حتى أتى أحبارهم في بيت مدارس فقال : يا معشر يهود أخرجوا الي علماءكم فاخرجوا له عبد الله بن صوريا ، وأبا ياسر بن اخطب ووهب بن يهودا ، فقالوا : هؤلاء علماؤنا فسألهم رسول الله ﷺ ثم حصل امرهم الى ان قالوا لعبد الله بن صوريا هذا اعلم من بقي بالتوراة فخلا به رسول الله ﷺ وكان غلاما شابا من احدثهم سنا فألظ به (اي اشتد عليه) رسول الله ﷺ المسألة يقول : يا ابن صوريا انشدك الله واذكرك بايامه عند بني اسرائيل هل تعلم ان الله حكم فيمن زنى بعد إحصانه بالرجم في التوراة قال : اللهم نعم والله يا ابا القاسم إنهم ليعرفون انك نبي مرسل ولكنهم يحسدونك ثم جحد بعد ذلك ابن صوريا نبوة رسول الله ﷺ ثم دعا رسول الله ﷺ اليهود بالتوراة وجلس حبر منهم يتلوها وقد وضع يده على آية الرجم فضرب عبد الله بن سلام يد الحبر ثم قال: هذه يانبي الله آية الرجم يأبى ان يتلوها عليك فقال لهم رسول الله: ﷺ ويحكم يامعشر يهود ما دعاكم الى ترك حكم الله وهو بأيديكم فقالوا : أما إنه قد كان فينا

يعمل به حتى زنى رجل منا بعد إحصانه من بيوت الملوك وأهل الشرف فمنعه الملك من الرجم ثم زنى رجل بعده فأراد ان يرجمه فقالوا لا والله حتى ترجم فلانا فلما قالوا له ذلك إجتمعوا فاصلحوا امرهم على النجيبة وأماتو ذكر الرجم والعمل به فقال رسول الله: ﷺ فأنا اول من أحيا أمر الله وكتابه وعمل به ثم أمر بهما فرجما عند باب المسجد فلما وجد اليهودي مس الحجارة قام الى صاحبته فحنا عليها يقيها من الحجارة حتى قتلا جميعاً وأتى رسول الله ﷺ نفر من يهود منهم ابو ياسر بن اخطب ، ونافع بن ابي نافع ، وعازر بن ابي عازر ، وخالد ، وزيد ، وآزار بن ابي آزار ، واشيع فسألوه عمن يؤمن به من الرسل فقال ﷺ : نؤمن بالله وما انزل الينا وما انزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فلما ذكر عيسى بن مريم جحدوا نبوته وقالوا : لا نؤمن بعيسى بن مريم ولا بمن آمن به فأنزل الله تعالى (قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وان أكثركم فاسقون) . وأتى رسول الله ﷺ رافع بن حارثة ، وسلام بن مشكم ، ومالك بن الصيف ، ورافع بن حريملة فقالوا : يا محمد ألست تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه وتؤمن بما عندنا من التوراة وتشهد أنها من الله حق قال بلى ولكنكم حدثتم وجحدتم ما فيها مما أخذ الله عليكم

من الميثاق فيهـا وكتمتم منهما ما أمرتم أن تبينوه للناس فبرئت من احداثكم قالوا : فانا نأخذ بما في أيدينا فانا على الهدى والحق ولا نؤمن بك ولا نتبعك فأنزل الله تعالى فيهم (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين) واتى رسول الله ﷺ النحام بن زيد ، وقردم بن كعب ، وبحرى بن عمرو فقالوا : يامحمد أما تعلم مع الله آلها غيره؟ فقال رسول الله: ﷺ الله لا اله إلا هو بذلك بعثت والى ذلك أدعو فأنزل الله تعالى فيهم (قل أي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي الي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أإنكم لتشهدون ان مع الله آلهة أخري قل لا أشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) وكان رفاعة بن زيد بن التابوت ، وسويد بن الحارث ، قد أظهرا الاسلام ونافقا فكان رجال من المسلمين يوادونهما فأنزل الله تعالى فيهما (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين) الى قوله تعالى (واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون) . وقال جبل بن أبي قشير ، وشمويل بن زيد : لرسول الله ﷺ يامحمد أخبرنا متى

الساعة ان كنت نبيا كما تقول فأنزل الله تعالى فيهما (يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي لايجليها لوقتها الاهو ثقلت في السموات والارض لا تأتيكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون) . وأتى رسول الله ﷺ محمد بن سبحان ونعمان بن أضا ، وبحرى بن عمرو ، وعزيز بن أبي عزيز ، وسلام بن مشكم فقالوا: أحق يامحمد؟ ان هذا الذي جئت به لحق من عند الله فانا لا نراه متسقا كما تتسق التوراة فقال لهم رسول الله : ﷺ أما والله انكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة ولو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله ماجاؤا به فقالوا: عند ذلك وهم جميع فنحاص ، وعبد الله ابن صوريا ، وابن صلوبا ، وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق ، وأشيع بن كعب ، وشويل بن زيد ، وجبل بن عمرو بن سكينة ، يامحمد ما يعلمك هذا انس ولا جن فقال لهم رسول الله : ﷺ أما والله انكم لتعلمون أنه من عندالله واني رسول الله تجدون ذلك مكتوبا عندكم في التوراة فقالوا : يامحمد فان الله يصنع لرسوله اذا بعثه ما يشاء ويقدر منه على ماأراد فأنزل علينا كتابا من السماء نقرؤه ونعرفه والا جئناك بمثل ما تأتي فأنزل الله تعالى فيهم قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيرا) . وأتى رهط من يهود الى رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فغضب رسول الله ﷺ

حتى انتقع لونه ثم ساورهم (أى وثب عليهم) مع النوى غضبا لربه فجاءه جبريل عليه السلام فسكنه فقال : خفض عليك يامحمد وجاءه من الله تعالى بجواب ما سألوه عنه (قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد) فلما تلاها رسول الله ﷺ عليهم قالوا : فصف لنا يا محمد كيف خلقه ؟ كيف ذراعه ؟ كيف عضده ؟ فغضب لذلك رسول الله ﷺ أشد من غضبه الاول وساورهم فأتاه جبريل عليه السلام فقال له : مثل ما قال له أول مرة وجاء من عند الله تعالى بجواب ما سألوه (وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون)

فهذا ملخص ما رواه ابن اسحاق ووافقه عليه بعض المفسرين وهي أيضا صورة من صور حالات اليهود مع رسول الله ﷺ من يوم دخوله المدينة الى أن أبادهم الله تعالى وسحقهم . وذلك الذي ذكرته هو بعض ماوقع من اليهود من ضروب الحيل ، والمكر ، والمغالطة ، واختلاق الكذب لعلهم يتوصلون الى صد ما جاء به رسول الله ﷺ من الهدى ودين الحق كما انهم تسلحوا بالانكار الذي هو سلاح العاجز عن اقامة الحجج والبراهين الصحيحة القاطعة لرد دعوى الخصم لكون الافكار هي سلاح هين قريب التناول حيث كان من المستحيل عليهم رد ما جاء به رسول الله ﷺ بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة المبينة لما أخفوه مما ورد في التوراة

من الآيات الصحيحة الدالة على ثبوت رسالته ﷺ فلو كان عندهم شيء من الانصاف لما كابد النبي ﷺ ما كابده في التفاهم معهم .

فمن مطالعة ما ذكر من محاورتهم له يتضح لكل منصف وضوحا جليا الحق من الباطل ، والمصيب من المخطئ ، والمكابر من الباحث ، ويظهر له ظهورا بينا أن اليهود كان موقفهم موقف الشرور من الاعتراف له ﷺ بالنبوة والرسالة فلو كان عندهم شيء من الانصاف لتركوا الجدل ، ونبذوا المكابرة وتجنبوا المراوغة ، وتسلحوا بالحقيقة وباحثوه ﷺ مباحثة من يريد الوصول الى تحقيق ما جاؤا به من ربه وتفاهموا معه فيما استشكل عليهم فهمه لان في البحث اظهار النتيجة وانما لعلمهم ان ما جاء به ﷺ من ربه هو عين الحق ومطابق لأصل التوراة التي جاء بها موسى عليه السلام فما وسعهم الا انكاره لان التوراة التي بأيديهم محرفة عن أصل التوراة التي جاء بها موسى والقرآن جاءهم باصل التوراة ومصحح للأغلاط التي تعمد وضعها بعض أحبارهم وهم على يقين من ذلك وكان الاعتراف منهم بذلك يضيع المصلحة التي هم أسسوها في عقول بسطائهم من اليهود ويزيل تلك الغطرسة التي يتحكمون بها باسم الدين على قومهم كما قال تعالى في ذلك (يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)

يقول بعض المستشرقين والمبشرين من العصريين أن القرآن مقتبس من التوراة والانجيل فلو كان ذلك صحيحاً لما خفي على أولئك اليهود الذين بذلوا كل ما في وسعهم من محاورة النبي ﷺ ومكابرته وجحود ما جاء به من ربه ولو كان الأمر كذلك لكان هو السلاح الوحيد الذي يستطيعون به رد تيار الاسلام وكفاح القرآن حيث هم اوسع علما بالتوراة وأشد تمسكا بها من المبشرين والمستشرقين بل ان قول المبشرين والمستشرقين هذا لم يخطر ببال أحبار أولئك اليهود ولو خطر ببالهم لحدثنا به التاريخ والحقيقة أن هذا القول بأن القرآن مقتبس من التوراة والانجيل هو قول مختلق من ضمن الاختلاقات التي يختلقونها كل عشية وضحاها والمفتريات التي يفترونها على الاسلام ونبي الاسلام وكتاب الاسلام. والحقيقة التي لا غبار عليها ان الذي ألجأ اليهود على انكار ما جاء به رسول الله ﷺ من الله تعالى وانكار نبوته وجحود رسالته مع يقينهم انه النبي المرسل من ربه الذي بشر به موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام هو لكونه بعث من أصل عربي ولم يبعث من بني اسرائيل كما كانوا يؤملون وصرح به كثير منهم فلو كانت نزعتهم نزعة دينية محضة لما تعصبوا للجنسية بعد أن كانوا يستبشرون بقرب مبعثه يهددون الأوس والخزرج به بانه متى بعث آمنوا به وصدقوه فيما جاء به من ربه وكانوا من حزبه وأنصاره ويكون لهم النصر به على الأوس والخزرج فقضى ربك الذي لا مرد لقضائه بأن

يكون ذلك من حظ الأنصار لامن حظ اليهود ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فجعل السعادة من قسم الاوس والخزرج والشقاء من قسم اليهود فشتت شملهم ، وفرق جمعهم ، وجعل دائرة السوء عليهم.

كتابه ﷺ ليهود خيبر

لم تتوقف دعوة رسول الله ﷺ على يهود المدينة الى الاسلام فحسب بل أنه ﷺ بعد أن بذل جهوداً عظيمة في الوصول الى التفاهم مع يهود المدينة كتب أيضا الى يهود خيبر يدعوهم الى الاسلام والى التفاهم معهم بموجب ما انزل على موسى عليه السلام وهذا نص ما كتبه لهم

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله صاحب موسى وأخيه والمصدق لماجاء به موسى الا ان الله قد قال لكم يامعشر أهل التوراة وانكم لتجدون ذلك في كتابكم (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما) واني أنشدكم بالله وانشدكم بالذي انزل عليكم وأنشدكم بالذي اطعم من كان قبلكم من أسباطكم المن والسلوى وأنشدكم بالذي أيبس البحر لآبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله الا اخبرتموني ؟ هل تجدون فيما أنزل الله عليكم ؟ أن تؤمنوا بمحمد فان

كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم قد تبين الرشد من الغي فأدعوكم الى الله والى نبيه هذا ما رواه بن اسحاق ولم يذكر انه ورد له منهم الجواب في هذا الموضع والظاهر أنهم لم يجيبوه بشيء لأن مذهب اليهود واحد سواء كانوا بالمدينة أو بخيبر هو الكتمان والجحود ، والمكر ، والخدعة

اثارة اليهود الفتنة بين الانصار

لما فشل اليهود في محاورتهم مع رسول الله ﷺ وجدالهم له وقنعوا من فشلهم في ذلك وأن لا سبيل الى مغالطته عمدوا الى طريقة أخرى لعلهم يصلون الى بغيتهم عن طريقها وهي إثارة الفتن بين الأنصار من الأوس والخزرج حتى اذا نجحوا في ذلك أصبح في نظرهم رسول الله ﷺ ومن هاجر معه ضعفاء لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم فيتسنى لهم بعد ذلك قتله وقتل من معه من المهاجرين وقد ترشح لهذه المكيدة أشقاهم وهو شاس بن قيس وكان شيخا قد عمي وتصلب عظيم الكفر ، شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم فمر على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من الفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة والبغضاء في الجاهلية فقال : قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد لا والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شابا من يهود كان معه فقال له: اعمد اليهم فاجلس معهم ثم اذكر يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ماكانوا

تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج وكان الظفر فيه يومئذ للأوس على الخزرج وكان على الأوس يومئذ حضير ابن سماك الأشهيلي وهو أبو أسيد بن حضير الأنصاري رضي الله عنه وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياض ففعل الشاب اليهودي ما أمره به رأس الفساد شاس بن قيس اليهودي وبث بينهم الفتنة فتكلم القوم عند ذلك وتنازعوا وتفاخروا حتى توائب رجلان من الحيين على الركب وهما أوس بن قيظي من الأوس ، وجبار بن صخر من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه : ان شئتم رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالوا قد فعلنا موعدكم الظاهرة (الحرة) السلاح السلاح فخرجوا اليها فبلغ رسول الله ﷺ فخرج اليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال : يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين اظهركم ؟ بعد أن هداكم الله للاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم من الكفر وألف بين قلوبكم فعرف القوم انها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس فأنزل الله تعالى في شاس وصنعه (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجاً وأنتم شهداء وما الله بغافل

عما تعملون) وأنزل الله تعالى في الأوس والخزرج الذين أدخل بينهم شاس ما أدخل من الفتنة وحرضهم على عمل الجاهلية (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) الى قوله تعالى (وأولئك لهم عذاب عظيم) وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مباطنتهم (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها أنتم تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور) الى آخر القصة .

فهذا بعض ما دونه التاريخ وسجلته السير من أعمال اليهود ضد الاسلام وهي صورة أيضا من صور حالاتهم مع رسول الله ﷺ وأصحابه ولكن الله تعالى قد نور قلوب الأنصار بنور الايمان حتى أصبحوا لا يبالون بشيء من أباطيل اليهود ولا نفثاتهم السحرية التي ينفثونها بينهم من إثارة الفتن، وتفرق الكلمة، وتشتيت الشمل وصاروا يؤوبون الى رشدهم في لمحة البصر .

وفد نصارى نجران

قدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران وهم ستون راكباً فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم ومن هؤلاء الاشراف ثلاثة أولوالامر فيهم أحدهم العاقب وهو أمير القوم وذو رأيهم وصاحب مشورتهم واسمه عبد المسيح ، والثاني الأيهم وهو صاحب رحالهم ومجتمعهم والثالث ابو حارثة بن علقمة (أحد بني بكر بن وائل) أسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم فكانت ملوك الروم قد شرفوه ، ومولوه وأخدموه في دينهم، فلما أقبلوا على رسول الله ﷺ من نجران كان أبو حارثة راكبا بغلة له موجها والى جنبه أخ له اسمه كوز بن علقمة فعثرت بغلة أبي حارثة فقال كوز : تعس الأبعد يريد رسول الله ﷺ فقال له أبو حارثة : بل أنت تعست فقال : ولم يا اخي ؟ قال : والله انه للنبي الذي كنا ننتظر فقال له كوز : وما يمنعك منه وأنت تعلم هذا قال : ماصنع بنا هؤلاء القوم (يريد ملوك الروم) شرفونا ، ومولونا ، وأكرمونا ، وقد أبوا الاخلافه فلو فعلت نزعوا منا كل ما ترى فأضمر عليها منه أخوه كوز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك فهو كان يحدث عنه هذا الحديث وكان رؤساء نجران يتوارثون كتبا عندهم فكلما مات رئيس منهم فأفضت الرياسة الى غيره ختم على تلك الكتب خاتما من الخواتم التي كانت قبله ولم يكسرها فخرج الرئيس الذي كان على عهد

النبي ﷺ يمشي فعثر فقال ابنه: تعس الأبعد يريد النبي ﷺ فقال له: أبوه لا تفعل فانه نبي واسمه في الوضائع (يعني الكتب) فما مات لم تكن لابنه همة الا أن شد فكسر الخواتم فوجد فيها ذكر النبي ﷺ فأسلم وحسن اسلامه وحج وهو الذي يقول:

اليك تعدو قلقا وضينها معترضا في بطنها جنينها
مخالفاً دين النصاري دينها

فلما دخلوا على رسول الله ﷺ في مسجده حين صلى العصر كان عليهم ثياب الحبرات جبب وأردية وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلون فقال رسول الله: ﷺ دعوهم فصلوا الى المشرق وهؤلاء الاشراف الأربعة عشر الذين يؤول اليهم أمر نجران هم (١) العاقب وهو عبد المسيح (٢) السيد وهو الأيهم (٣) أبو حارثة (٤) أوس (٥) الحارث (٦) زيد (٧) قيس (٨) يزيد (٩) نبيه (١٠) خويلد (١١) عمرو (١٢) خالد (١٣) عبد الله (١٤) يحنس. فكلم رسول الله ﷺ العاقب عبد المسيح، والسيد الايهم، وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف في أمرهم يقولون في المسيح عيسى عليه السلام هو الله ويقولون هو ولد الله ويقولون هو ثالث ثلاثة وكذلك قول النصرانية فيهم يحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى، ويبرئ الأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طائراً وذلك

كله بأمر الله تبارك وتعالى ولنجعله آية للناس . ويحتجون في قولهم أنه ولد الله بأنهم يقولون لم يكن له أب يعلم وقد تكلم في المهد وهذا لم يصنعه أحد من ولد آدم قبله . ويحتجون في قولهم أنه ثالث ثلاثة يقول الله فعلنا وأمرنا ، وخلقنا ، وقضينا ، فيقولون : لو كان واحدا ما قال : الا فعلت وقضيت ، وأمرت ، وخلقت ، ولكنه هو ، وعيسى ، ومريم ، ففي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله: ﷺ أسلما قالا : قد أسلمنا قال : انكما لم تسلما قالا : بلى قد أسلمنا قبلك قال : كذبتما يمنعكما من الاسلام دعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب وأكلكما الخنزير قالا : ان لم يكن عيسى ولدا لله فمن أبوه وخاصموه جميعاً في عيسى فقال النبي : ﷺ تعلمون أنه لا يكون ولد الا وهو يشبه أباه قالوا : بلى قال : ألستم تعلمون ؟ ان ربنا حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الموت قالوا : بلى قال : ألستم تعلمون ؟ أن ربنا قيم على كل كل شيء يحفظه ويرزقه قالوا : بلى قال : فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً قالوا لا . قال : ألستم تعلمون ؟ أن الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء قالوا : بلى قال : فهل يعلم عيسى من ذلك الا ما علم ؟ قالوا : لا قال : ألستم تعلمون ؟ أن ربنا صور عيسى في الرحم كيف شاء وربنا لا يأكل ولا يشرب قالوا : بلى قال : ألستم تعلمون ؟ أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ثم وضعته كما تضع المرأة ولدها ثم غذي كما يغذى الصبي

ثم كان يطعم ويشرب ويحدث قالوا : بلى قال : فكيف يكون الهاً كما زعمتم؟ فسكتوا فأنزل الله تعالى في ذلك (الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم) الى بضع وثمانين آية من سورة آل عمران و بين فيها كلما اختلف النصاري في عيسى وامه وولادته ودعواهم ان اليهود قتلوه ونفي ذلك وكيف يحيي الموتى وكيف يبرىء الأكمه والأبرص وغير ذلك فلما تلى رسول الله ﷺ كل ذلك عليهم قالوا : يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا اليه . فانصرفوا عنه ثم خلوا بالعاقب عبد المسيح وكان ذا رأيهم فقالوا : ياعبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يامعشر النصارى لقد عرفتم أن محمداً لنبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ولقد علمتم مالاعن قوم نبياً قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم وانه للاستئصال منكم ان فعلتم فان كنتم قد أبيتم الا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه من القول فى صاحبكم فوادعوا الرجل ثم انصرفوا الى بلادكم . فأتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك وان نتركك على دينك ونرجع على ديننا ولكن ابعث رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا

في أشياء اختلفنا فيها من اموالنا فانكم عندنا رضا فقال رسول الله ﷺ إني لأرى العشية ابعث معكم القوي الأمين فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما أحببت الأمارة قط حبي اياها يومئذ رجاء ان اكون صاحبها فرحت الى ظهر مهجر فلما صلى بنا رسول الله ﷺ الظهر ثم نظر عن يمينه ويساره فجعلت أتطاول ليراني فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى ابا عبيدة ابن الجراح فدعاه فقال: اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه قال عمر: فذهب بها ابو عبيدة . رواه ابن هشام عن ابن اسحاق .

فهذا ما جرى من البحث بين رسول الله ﷺ و بين نصارى نجران في حق عيسى عليه السلام وعلم من ذلك ان نصارى نجران لم يجدوا لديهم ما يردون به حجج رسول الله ﷺ في نفي الوهية عيسى أو كونه ابن الله او التثليث فوقفوا مكتوفي الأيدي حيارى لا يدرون ما يقولون في ذلك ولا ما يجيبون به ولما استقلوا بانفسهم وخلوا مع العاقب عبد المسيح كبيرهم صرح لهم بما علمه ويعلمونه من كتبهم عن نبوة محمد ﷺ وأنه لا مناص من اتباعه وقد نصحهم ولكن لا ينفع النصح لمن كان مصراً على رأيه . غير انهم لم يستعملوا المكابرة ، ولا المغالطة ولم يتسلحوا بالمكر والخدعة التي تحصن بها اليهود في بحثهم و مجادلتهم مع رسول الله ﷺ لان انهم اكتفوا بمواعدته والعودة الى بلادهم . والظاهر ان الذي منعهم من الاسلام بعد اعترافهم بنبوته هو خوفهم من ملوك الروم من ان ينتزعوا عنهم ما أولوهم

به من النعم والمفاخر التي نالوها منهم ولم يظهر سبب آخر غيره من سياق الرواية ولم يكن ذلك من الأسباب الجوهرية التي لأجلها يترك الانسان سعادة الدنيا والآخرة ولكن الناس في كل زمان ومكان على درجات فمنهم من يبيع عاجله بآجله ، ومنهم من يضحي اهله وماله وولده وكل عزيز وغال لديه لأجل دينه مثل المهاجرين والأنصار ، ومنهم الذين لا مبدأ لهم ، ولا يعبأون بالأديان ، ولا يقيمون لها وزنا ، امثال الماديين والملحدين فهم الذين ينظرون للأديان واهلها نظر سخرية واستهزاء ويعتقدون انها حديث خرافة وغير ذلك من اصناف البشر مع ان الرجل البصير متى ظهر له الحق اتبعه . الهمنا الله الصواب وهدانا الى سبيل الرشاد .

نفاق عبد الله بن أبي بن سلول

عبد الله بن ابي بن سلول العوفي كان اشرف رجل في الاوس والخزرج وكان رئيسهم في كل عمل قبل الاسلام حتى تقرر بينهم ان يتوجوه ملكا عليهم وقد نظموا الخرز الذي عملوه تاجا على قاعدة اليمن كما علم مما سبق أن أصل الأوس والخزرج من قحطان ليتوجوه به فجاءهم الله تعالى برسول الله ﷺ فدخلوا في الاسلام وعدلوا عن تتويج عبد الله بن أبي بن سلول فوقع اسلام الأوس والخزرج والتفافهم حول النبي ﷺ و رفضهم تتويج عبد الله بن أبي بن سلول ضربة قاضية على آماله بالملك المزعوم الذي

كان غاية آماله ومنتهى رجائه فأوجب ذلك في قلبه العداوة والبغضاء لرسول الله ﷺ وكان لا يترك أي عمل يكون فيه تثبيط الناس عن دخول الاسلام وكان هذا ظاهرا في أعماله، وأقواله ، غير ان الانصار رضي الله عنهم كانوا يحبون أن يدخل معهم في الاسلام ولعله يكون له وجاهة عند رسول الله ﷺ ولكنه لا يستطيع ذلك لشدة ماوقع في قلبه من الحقد ، والحسد والضغينه ، ورسول الله ﷺ يعامله بالرفق والملاطفة حسب عادته في دعوة الناس الى دين الاسلام حدث ابن اسحاق عن زيد بن حارثة رضي الله عنه قال : ركب رسول الله ﷺ الى سعد بن عبادة يعوده من شكوى أصابته على حمار عليه أكاف فوقه قطيفة فدكية مختطمة بحبل من ليف وأردفني رسول الله ﷺ خلفه قال فمر بعبد الله بن أبي وهو في ظل مزاحم (اسم حصن) وحوله رجال من قومه فلما رآه رسول الله ﷺ تذمم (استنكف) من أن يجاوزه حتى ينزل فنزل فسلم ثم جلس قليلا فتلا القرآن ودعا الى الله عز وجل وذكر بالله وحذر وبشر وأنذر وقال : وهو زام (متكبر) لا يتكلم يعني ابن أبي حتى اذا فرغ رسول الله ﷺ من مقاله قال : (يعني عبد الله ابن أبي) لرسول الله ﷺ يا هذا انه لا أحسن من حديثك هذا ان كان حقا فاجلس في بيتك فمن جاءك له فحدثه اياه ومن لم يأتك فلا تغته به ولا تأته في مجلسه بما يكره منه فقال عبد الله بن رواحة: في رجال كانوا عنده من المسلمين بلى فاغشنا به وائتنا في مجالسنا ودورنا و بيوتنا فهو والله مما

نحب ومما أكرمنا الله به وهدانا له وقام رسول الله ﷺ فدخل على سعد ابن عبادة وفى وجهه ما قال عدو الله ابن أبي فقال سعد: والله يا رسول الله اني لأرى في وجهك شيئا لكأنك سمعت شيئا تكرهه فقال: أجل ثم أخبره بما قال ابن أبي فقال سعد: يارسول الله ارفق به فو الله لقد جاءنا الله بك وانا لننظم له الخرز لنتوجه وانه ليرى ان قد سلبته ملكا. ثم بقي ابن أبي بن سلول متردداً حتى غلب عليه الاسلام فدخله نفاقا وله في النفاق والمكر، والاذى، والخذلان ما يوازي عمل اليهود في مكرهم، وحسدهم وأذاهم ونفاقهم وسيأتي تفصيل ذلك في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى.

حمى المدينة

لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانت أوبأ أرض الله من الحمى فأصاب منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه ﷺ وحفظه فكان أبو بكر الصديق، وعامر بن فهيرة مولى بلال رضي الله عنهم في بيت واحد مع أبي بكر فأصابتهم الحمى فدخلت عليهم عائشة رضي الله عنها قبل أن يضرب الحجاب وبهم مالا يعلمه الا الله من شدة الوعك فدنت من أبيها أبي بكر وقالت له: كيف تجدك ياأبت؟ فقال:

كل امرىء مصبح في أهله ... والموت أدنى من شراك نعله

فقالت عائشة رضي الله عنها : والله مايدري أبي مايقول قالت ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت كيف تجدك ياعامر ؟ فقال :

لقد وجدت الموت قبل ذوقه ان الجبان حتفه من فوقه

كل امرىء مجاهد بطوقه كالثور يحمى جلده بروقه

قالت : فقلت والله ما يدري عامر ما يقول قالت : وكان بلال اذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ثم رفع عقيرته فقال :

الا ليت شعري هل أبيتن ليلة بفج وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لى شامة وطفيل

فقالت عائشة رضى الله عنها : فذكرت لرسول الله ﷺ ما سمعت منهم فقلت انهم يهذون وما يعقلون من شدة الحمى قالت : فقال : رسول الله ﷺ اللهم حبب الينا المدينة كما حببت الينا مكة أو أشد وبارك لنا في مدها وصاعها وانقل وباءها الى مهيعة (ومهيعة هي الجحفة) . وكان أصحاب رسول الله ﷺ مما أجهدتهم الحمى يصلون وهم قعود فخرج عليهم رسول الله ﷺ وهم يصلون قعودا فقال لهم : اعلموا ان صلاة القاعد على النصف من صلاة القائم فتجشم المسلمون القيام على ما بهم من الضعف والسقم التماسا للفضل

حديث مخيريق

كان مخيريق حبرا عالما وكان غنياً كثير الاموال من النخل وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يجده في علمه وغلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك حتى اذا كان يوم أحد يوم السبت قال : يامعشر يهود والله انكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق قالوا : ان اليوم يوم السبت قال : لاسبت لكم ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ بأحد وعهد الى من وراءه من قومه ان قتلت هذا اليوم فأموالي لمحمد ﷺ يصنع فيها ما أراه الله فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل فكان رسول الله ﷺ يقول مخيريق خير يهود وقبض رسول الله ﷺ أمواله فعامة صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها . رواه ابن هشام عن ابن اسحاق .

يقول بعض العصريين الملحدين ان المؤرخين من المسلمين تحاملوا على اليهود في تاريخهم ونسبوهم الى كل رذيلة لانهم لم يتفقوا مع النبي ﷺ ولذلك صار عندهم شك فى كل ما يدونه تاريخ الاسلام ومن تصفح التاريخ الاسلامي يظهر له مفتريات هؤلاء الذين يقيسون الوقائع الصحيحة على عقولهم السخيفة ويحكمون عليها بجهلهم حسبما يمليه عليهم ضميرهم الملوث بجرائم التبشير الاجنبي فهذا حديث مخيريق اليهودي أمامنا فانظر ما سجله له

التاريخ من المزايا الشريفة ولغيره ممن تقدم من اليهود مثل عبد الله بن سلام ولمن يأتي بعد ذلك ذكره من اليهود الذين كتبت لهم السعادة وفهموا حقيقة الدين الاسلامي ومايدعوا اليه من شرف الدنيا وسعادة الآخرة فلو لم يكن عند مؤرخي الاسلام انصاف لما ذكروا لهؤلاء شيئا من المجد ، والشرف ولأهملوا ذكرهم على الأقل ولكن من حيث ان هؤلاء القائلين بهذا القول هم مجردون من الانصاف فظنوا ان المؤرخين المسلمين مثلهم .

تم الجزء الاول في اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر سنة الف وثلاثمائة وتسعة وأربعين من الهجرة النبوية

[ويليه الجزء الثاني وأوله اسلام سلمان الفارسي]

مصادر الكتاب

لا أريد هنا أن أدون فهرسة للكتب التي طالعتها وراجعتها فيما يتعلق بهذا الكتاب حرصا على الوصول الى كل ماروي عن حياة رسول الله ﷺ وما ترجم لأصحابه رضي الله عنهم من المزايا الشريفة والتاريخ المجيد لاني قدراجعت في ذلك أكثر من مائة مؤلف مما دبجه يراع جهابذة الاسلام رحمهم الله تعالى وانما اقتصرت على بيان أسماء الكتب التي نقلت منها جملا كثيرة نافعة ومفيدة والعمدة في عموم كتب السير ومتون الاحاديث والتاريخ فيما يتعلق بالغزوات هو راجع الى رواية محمد بن اسحاق المطلبي فهو المصدر وعنه المرجع فى ذلك كما قال الامام الشافعي رضي الله عنه من أراد أن يتجر في المغازي فهو عيال على ابن اسحاق . وأكثر من جمع رواية ابن اسحاق أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري الحميري البصري المتوفي بمصر سنة مائتين وثلاثة عشر من الهجرة . وهذه أسماء الكتب التي أخذت عنها :

عـدد

١ القرآن الكريم

٢ تفسير القرآن لابي جعفر محمد بن جرير الطبري

٣ « « لعماد الدين الحافظ ابن كثير .

٤ « « لعلاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم الخازن

٥ صحيح البخارى لمحمد بن اسماعيل البخارى .

٦ « مسلم لابي الحسين مسلم بن الحجاج

٧ فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ احمد بن حجر العسقلاني

٨ شرح صحيح مسلم لمحي الدين يحيي بن شرف النووي

٩ سيرة ابن اسحاق رواية أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافرى

١٠ الشفاء للقاضى عياض

١١ زاد المعاد للحافظ ابي عبدالله بن القيم الجوزي

١٢ المواهب اللدنية للحافظ أحمد بن محمد القسطلاني

١٣ السيرة سبيل الهدى والرشاد (خط) في اربعة أجزاء ضخام لابي عبدالله محمد الشامي نزيل برقوقية الصحراء تلميذ القسطلاني والسيوطي

١٤ السيرة الحلبية للعلامة علي بن برهان الدين الحلبي

عدد
١٥ بهجة المحافل لعماد الدين يحيي بن أبي بكر العامري وشرحها
١٦ الاستيعاب في أسماء الاصحاب للحافظ ابى عمر يوسف بن عبد البر
١٧ الطبقات للامام بن سعد
١٨ الاصابة فى تمييز الصحابة للحافظ بن حجر العسقلاني .
١٩ تاريخ ابن جرير الطبرى
٢٠ « « الأثير لأبي الحسن على بن محمد الشيباني الجزرى
٢١ تاريخ ابن خلدون مع المقدمة للامام عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى
٢٢ « وفاء الوفاء للعلامة نور الدين على بن جمال الدين السمهودي
٢٣ طبقات الأمم لأبن صاعدة الأندلسى نقلت عنه ما يتعلق بالعرب
٢٤ النهاية في لغة الحديث لابن الاثير .
٢٥ القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز أبادى .
٢٦ أنساب العرب لشهاب الدين احمد بن عبد الله القلقشندي المصري
٢٧ سبائك الذهب في أنساب العرب لمحمد أمين البغدادي السويدي

فهرست

كتاب حياة سيد العرب

صفحة		صفحة	
٢	فاتحة الكتاب	٣٢	سيد العرب
٦	مقدمة في أصل العرب ومساكنهم	٣٣	نسبه الشريف من جهة أبيه
٩	عاد	٣٣	عبد الله
١٥	قريش	٣٣	عبد المطلب
١٦	حضارة العرب	٣٥	هاشم
١٧	ملوك العرب	٣٦	عبد مناف
١٨	علوم العرب	٣٧	قصي
١٩	ديانة العرب	٤٣	كلاب
٧١	التشريع عند العرب	٤٤	مرة
٢٣	أيام العرب وحروبها	٤٤	كعب
٢٦	أسواق العرب	٤٦	لؤي
٣٢	أخلاق العرب	٤٦	غالب
		٤٧	فهر

صفحة		صفحة	
٤٨	مالك	٦٤	وفاة عبد المطلب
٤٨	النضر	٦٨	كفالة عمه أبي طالب
٤٨	كنانة	٦٨	الرحلة الأولى الى الشام
٤٩	خزيمة	٧٠	حرب الفجار
٤٩	مدركة	٧٣	حلف الفضول
٤٩	الياس	٧٥	سفره بتجارة لخديجة بنت خويلد
٥٠	مضر	٧٧	زواجه على خديجة
٥١	نزار	٨١	أولاده ﷺ منها
٥٣	معد	٨٢	بناء الكعبة
٥٣	عدنان	٩٠	حياته مدة الجاهلية
٥٥	نسبه من جهة امه	٩٢	الاستعداد والتأهل للنبوة
٥٥	زواج ابيه على أمه	٩٦	البعثة النبوية
٥٥	وفاة عبدالله بن عبدالمطلب	٩٧	أول ما بدئ به من الوحي
٥٦	ولادته ﷺ	١٠٠	فترة الوحي
٥٨	مرضعاته ﷺ	١٠٢	حالات الوحي
٦٠	اخوانه ﷺ من الرضاعة	١٠٢	أول عمل وجب من أعمال العبادات
٦٠	اعمامه وعماته	١٠٣	معنى سلام الأحجار
٦١	وفاة امه آمنة الزهرية		
٦٣	كفاله جده عبد المطلب		

صفحة

١٠٤ أول من آمن به ﷺ
١٠٩ الدعوة الى الاسلام
١٢٢ دخول دار الارقم
١٢٤ الدعوة الى الاسلام جهراً
١٢٧ معاداتهم له ﷺ
١٣٩ ايذاء المشركين له ﷺ
١٤٧ ايذاؤهم لمن أسلم من اصحابه ﷺ
١٥٤ الهجرة الاولى الى الحبشة
١٥٦ اسلام عمر بن الخطاب
١٦١ خروج النبي ﷺ من دار الارقم
١٦١ تآمر قريش على قتله ﷺ
١٦٢ كتاب الصحيفة
١٦٣ حالتهم في الشعب وشدة المقاطعة
١٦٦ الهجرة الثانية الى الحبشة
١٧٠ اقامة الصحابة بارض الحبشة
١٧٠ رسل قريش الى النجاشي لارجاع الصحابة

صفحه

١٧٦ هجرة أبي بكر الصديق
١٧٨ نقض الصحيفة
١٨١ وفد نجران
١٨٣ وفد ضماد الازدي
١٨٣ وفد الطفيل بن عمرو الدوسي
١٨٦ وفاة أبي طالب
١٩١ وفاة خديجة بنت خويلد
١٩٢ زواجه على سودة بنت زمعة
١٩٣ زواجه على عائشة
١٩٤ خروجه الى الطائف
١٩٧ دخوله مكة في جوار المطعم ابن عدي
١٩٨ رجوع بعض مهاجري الحبشة الى مكة
١٩٩ الاسراء والمعراج
٢٠٧ عرض نفسه على القبائل
٢١٣ العقبة الاولى
٢١٤ بيعة العقبة الثانية

صحيفة

٢١٩ بيعة العقبه الثالثة
٢٢٧ هجرة الصحابة الى المدينة
٢٣١ هجرة النبي ﷺ الى المدينة
٢٣١ معاهدة قريش على قتله
٢٤٢ من قباء الى المدينة
٢٤٧ بناء مسجد رسول الله ﷺ
٢٤٨ بناء دور أهله
٢٤٩ أول خطبة في المدينة
٢٥١ المعاهدة بين المهاجرين والانصار واليهود
٢٥٥ التآخي بين المهاجرين والانصار
٢٥٩ اسلام عبد الله بن سلام
٢٦٠ احضار آله ﷺ من مكة

صحيفة

٢٦٠ عطفه ﷺ على من حبس من أصحابه
٢٦١ دخوله ﷺ على عائشة
٢٦١ مشروعية الأذان
٢٦٤ اسلام صرمة بن ابي أنس
٢٦٥ معاهدة اليهود له ﷺ
٢٦٩ المنافقون من الاوس والخزرج
٢٧٥ المنافقون من اليهود
٢٧٨ حالات اليهود ومكرهم
٢٩٤ كتابه ﷺ ليهود خيبر
٢٩٥ إثارة اليهود الفتنة بين الانصار
٢٩٨ وفد نصارى نجران
٣٠٣ نفاق عبد الله بن أبي بن سلول
٣٠٥ حمى المدينة
٣٠٧ حديث مخيريق

أخطاء الجزء الاول المطبعية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٥	١٧	بعلي	يعلي
٦	٣	عتد	عند
٦	٩	متها	منها
٧	٣	علي	على
٧	٥	مسكنهم	مسكنهم
٧	١١	الجزبرة	الجزيرة
٧	١١	ابراهيم	ابراهيم
١١	١٤	النة	اللة
١٢	٢	اسماغيل	اسماعيل
١٤	١١	وتكلموأ	وتكلموا
١٦	١٦	لا يزلون	لايزالون
١٧	١٢	ذى المنار	ذوالمنار
١٧	١٢	ذى الاذعار	ذوالاذعار
٢٠	٢	بعلو	باسفل
٢٦	١٠	فيزلون	فينزلون
٢٧	١١	فدائد	فدائه
٣١	٢	التاريخ	التاريخ
٣١	٢	ان احد	ان احدا
٣١	٦	ابو بكر	ابا بكر
٣١	١٧	التجار	التجارة
٣٣	٤	بني هاشم	بني هاشم
٣٣	٦	جاه	جاء
٣٤	٥	فسمى	فسمي
٣٦	٣	٣٣	٣٣
٣٧	٣	ابنيه	انباه
٣٧	٦	جدى	جدا
٣٧	١٥	أخوه	أخاه
٤٠	١٠	بنوا	بني
٤٤	١٧	قحواء	خواء
٤٥	٦	كالآخرون	كالآخرين
٤٦	٧	خليفة	خليفته
٤٦	١٤	أثنان	اثنين
٥١	٩	أتكي	اتكى

ص	س	خطأ	صواب
٥٢	١٤	النشؤ	النشء
٥٤	١٥	ورى	وروى
٥٥	٧	ثلاثون	ثلاثين
٥٧	١٢	المعووف	المعروف
٥٩	١٧	فالتزماه	فالتزمه
٦٠	١	حريصان	حريصين
٦١	١٠	اشقاء	شقيقين
٦١	١٠	امهم	امهما
٦٤	١٦	هولاء	هؤلاء
٦٤	١٨	البضاء	البيضاء
٦٥	١	على	علي
٦٦	٦	وار	وارى
٦٦	٧	لدي	لدى
٦٦	١٧	المرجي	المرجى
٦٧	٥	الفتي	الفتى
٦٧	٨	ولى	ولي
٦٨	١١	الكبة	الكعبة
٦٩	١١	سنة	سنه
٧٢	١١	اجيزها	أجيرها
٧٣	٢	ثم	ثم
٧٣	١٢	اربعةعشر	اربعةعشرة
٧٥	٦	متهم	منهم
٨١	٩	ولدان ذكران	ولدين ذكرين
٨١	١٤	علي بن	ابن
٨٢	٣	اثنين	اثنتين
٨٢	١٠	اثنين	اثنتين
٨٢	١١	محسن	محسنا
٨٣	٤	عشرون	عشرين
٨٥	٧	ذا	ذات
٨٥	٣	الحجر برق	الحجر
٨٧	١	عشرون	عشرين
٩٥	٧	عاجز	عاجزا
٩٥	١٧	فتى	وحيث
٩٦	١	بصدق	يصدق
٩٦	١٧	بثلاثة عشر	بثلاث عشرة
٩٧	٣	المستقيم	المستقيم

		خطأ	صواب			خطأ	صواب
٩٩	١٧	يدركن	يدركني	٢	١٣٢	كانها	كانهار
١٠٠	٨	فيانيتني	فياليت	٣	١٣٤	بدو	بدء
١٠٤	١٣	عثمان عامر	عثمان بن عامر	١٤	١٣٦	ابني	ابنا
١٠٥	٣	ان ان	ان	١٧	١٣٦	علي	عليه
١٠٩	١٤	مكة	ملة	٧	١٤٢	الشريفة	الشريف
١١٢	١٨	نوفيل	نوفل	١٣	١٤٣	ابو	ابا
١٢٠	١٧	قبله	قبيلة	٥	١٤٤	ابو جهل	أبا جهل
١٢١	١٨	واليعض	والبعض	٥	١٤٤	ابو لهب	ابا لهب
١٢٣	٣	واقع	واقعا	١٣	١٤٥	بعير	بعيرا
١٢٢	٩	قادنها	قادتها	١	١٤٨	خطاب	الخطاب
١٢٤	٣	بصدع	يصدع	٦	١٥٣	التفافهم	التفاهم
١٢٦	٢	اريتكم	أرأيتكم	١٨	١٥٨	؟	فقال ﷺ
١٣٠	١٤	ابني	ابنا	٤	١٥٨	اللم	اللهم
١٣٠	١٥	ابا البحتري	ابوالبحتري		١٦٠	٠٦١	١٦٠
١٣٠	١٥	ابا سفيان	ابو سفيان	٧	١٦٠	الحارث و	الحارث بن
١٣٠	١٦	ابا	أبو	١٤	١٦٥	-ني	حتى
١٣٠	١٨	نبيهاً ومنبهاً	نبيه ومنبه	١٤	١٦٧	المخزوي	المخزومي
١٣٠	١٨	ابني	ابنا	١٢	١٧١	فقدما	فقدم

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٧٩	٩	فتعدوا	فاتعدوا
١٨٠	١٦	تتشدد	نتشدد
١٨٣		لدوسي	الدوسي
١٨٦	٨	قاحتملوا	فاحتملوا
١٨٦	١٣	سبيل	سبيل
١٩٠	٥	حيانه	حياته
١٩٦	٨	بعدهم	بعضهم
٢٠٣	٨	وانتهيت	وانتهيت
٢٠٤	١	كفر	كفرا
٢٠٥	٣	والتفاهم	والنفاهم
٢٠٥	١٤	قيكف	فكيف
٢٠٦	١١	حيما	حينما
٢٠٧	١	البحت	البحث
٢٠٧	٩	يمنعوهم	يمنعوه
٢٠٧	١٣	تصدقوابي	تصدقوني
٢٠٧	١٣	أبـبن	أبين
٢١٦	١٢	نتشهد	تتشهد
٢٢٠	٦	سبعون	سبعين

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٢٠	٦	وامرأنان	وامرأتين
٢٢٤	٣	عذرا	عذرة
٢٢٧	٦	بايعنا	بايعت
٢٢٧	٩	تسعون	تسعين
٢٣٥	١٦	الرحلنان	الرحلتين
٢٣٨	٤	اجار	أجاز
٢٣٨	١٤	غشر	عشرة
٢٣٨	١٤	الثلاثة	ثلاث
٢٣٨	١٥	عشر	عشرة
٢٣٨	١٥	ثلاثة	ثلاثا
٢٣٨	١٥	خمسون	خمسين
٢٣٩	٨	لمن يأت	يأتي
٢٤٠	٥	فكسيا	فكسا
٢٤٥	٥	من المدينة قباء الى	من قباء الى المدينة
٢٤٥	٥	النجارى	النجار
٢٤٦	١٦	اولي	ولي
٢٤٦	١	اخيه	أخوه
٢٦٥	١١	وعشرون	وعشرين

ص	س	خطأ	صواب	ص	س	خطأ	صواب
٢٧٣	٧	واهش	رواهش	٢٩٢	٨	ما جاؤا	ما جاء
٢٨٩	٧	قال	فقال	٢٩٩	٦	النصاري	النصارى
٢٨٩	١٠	اخري	اخرى	٣٠١	٨	النصاري	النصارى
٢٩٠	١١	حبل	حيل	٣٠١	٩	يبرىء	يبرىء
٢٩١	٧	وجاء	وجاءه			ها انتم	ها انتم أولاء

اطلبوا غالب الكتب العلمية

من مكتبة عبد الله فرا وأخوانه بباب السلام